الدّرس الصّوتيّ عند رضيّ الدّين الأستراباذيّ ٦٨٨ هـ

رسالة تقدّم بها

حسن عبدالغنيّ محمّد جواد الأسديّ

الى مجلس كلّيّة الآداب بالجامعة المستنصريّة وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربيّة

تحت إشراف

الأستاذ الدّكتور هادي نهر

١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م

۝ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ۝ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي
مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝

(سورة الشعراء، الآية ٨٣-٨٥)

اشهد ان اعداد هذه الرسالة جرى باشرافي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابهـــــــــــــا .

التوقيـــــع :

الاســـم : الاستاذ الدكتور هادي نهـــر

(المشرف)

٢٤ - ٢ - ١٩٩٦م

بناء على التوصيات المتوافرة ، ارشـــح هـــذه الرسالـــة للمناقشـــة .

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور نبهان ياسين

رئيس قسم اللغة العربيـــة

ومسؤول الدراسات العليـــا

نحن اعضاء لجنة المناقشة نشهد اننا قد اطلعنا على الرسالة المقدمة من الطالب (حسن عبد الغني محمد جواد الاسدي) الموسومة بـ (الدرس الصوتي عند رضي الدين الاسترباذي ٦٨٨ هـ) وناقشناه في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد انها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وادابها .

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور هادي نهر

(المشرف)

عضوا

١٩٩٦ - ٢ - ٢٤

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور غالب فاضل المطلبي

عضوا

١٩٩٦ / ٢ / ٢٤

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور عبد الله احمد الجبوري

(عضوا)

١٩٩٦ - ٢ - ٢٦

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

رئيس اللجنة

١٩٩٦ / ٢ / ٢٦

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور سامي مكي العاني

عميد كلية الاداب

محتويات البحـث

الموضـوع	الصفحـة
المقدمة	هـ ـ ز
التمهيد	١
الفصل الاول : مواضع الدّرس الصّوتيّ ومصادره ومنهجه ومصطلحاته عند الرضي الدين	٣
المبحث الأول : مواضع الدّراسة الصّوتيّة في مؤلفي رضي الدّين.	٤
المبحث الثّاني : مصادر الثّقافة الصّوتيّة لرضي الدين .	٧
المبحث الثّالث : منهج رضي الدّين في درسه الصّوتيّ:	١٠
ـ المنهج النظري (الاسس الفكرية)	١٠
ـ المنهج العمليّ .	١١
المبحث الرّابع: المصطلحات الصوتيّة عند رضي الدّين:	١٤
ـ مصطلحات مخرجيّة	١٦
ـ مصطلحات الصّفات الصّوتيّة :	٢٠
١ . الصّفات الصّوتيّة المفضلة :	٢٠
آ . صفات المجموعات	٢١
ب . الصّفات المفردة .	٢٣
٢ . الصّفات الصّوتيّة غير المفضلة :	
آ . صفات المجموعات ،	٢٥
ب. الصّفات المفردة	٣٧
ـ مصطلحات التّجاور والتّركيب	٣٧
ـ المصطلحات العامـــــة	٥٥
ـ نتائج الفصل الاول	٦١
الفصل الثاني : اتّجاهات الدّراسة الصّوتيّة :	٦٤
الاتّجاه الأوّل : الاصوات في حالة الافراد:	٦٥
١ . إنتاج الأصوات	٦٥
٢ . أجزاء آلة الصّوت	٦٨
٣ . التّمايز الصّوتي عند الرّضيّ	٧١
١ـ آلية المخارج	٧١
ـ وقفة مع المخارج الصّوتيّة	٧٧
ـ الأصوات المتفرعة	٧٩
٢ـ آلية الصّفات الصّوتيّة	٨١

محتويات البحـــث

محتويات البحث

ملحق بمحتويات البحث :

" المصطلحات الصوتية عند رضي الدين "

ت	المصطلح	الصفحة	ت	المصطلح	الصفحة	ت	المصطلح	الصفحة	ت	المصطلح	الصفحة
١	آلة الحروف	١٦	٣٠	الخفاء	٢٨	٥٩	الإظهار	٤٢	٨٨	لا أبنية ولا أحوال الأبنية	٥٢
٢	آلة الصوت	١٦	٣١	الذلاقة	٣٠	٦٠	الاستدلال	٤٢	٨٩	المتقاربة	٥٢
٣	آلة اللفظ	١٧	٣٢	الرخاوة	٣٠	٦١	الإعلال	٤٤	٩٠	المتحرك	٥٢
٤	الأدخل	١٧	٣٣	الشدة	٣٠	٦٢	التقاء الساكنين	٤٤	٩١	الجانية	٥٢
٥	الأعلى	١٧	٣٤	شبه النفخ	٣١	٦٣	التقاء المثلين	٤٤	٩٢	المضارعة	٥٢
٦	الاعتماد	١٨	٣٥	التضجيج	٣١	٦٤	الإمالة	٤٤	٩٣	مقاطع الكلام	٥٤
٧	الأترك	١٨	٣٦	العلة	٣٢	٦٥	البيان	٤٥	٩٤	المناسبة	٥٤
٨	أوضاع آلة الحروف	١٨	٣٧	القلقلة	٣٢	٦٦	بين بين المشهور	٤٥	٩٥	شق واحد	٥٤
٩	الحيز	١٩	٣٨	القوّة	٣٢	٦٧	بين بين البعيد	٤٦	٩٦	ثقل الحركة	٥٥
١٠	المخرج	١٩	٣٩	ما بين الشديدة والرخوة	٣٤	٦٨	بين اللفظين	٤٦	٩٧	الوقف	٥٥
١١	المدرجة	١٩	٤٠	المد	٣٤	٦٩	التبيين	٤٦	٩٨	الوقف الصناعي	٥٥
١٢	المرتفعة	٢٠	٤١	المهموسة	٣٥	٧٠	تجانس الصوت	٤٦	٩٩	الإشباع	٥٥
١٣	المستفلة	٢٠	٤٢	المنخفضة	٣٦	٧١	التخفيف	٤٧	١٠٠	التصويت	٥١
١٤	الموضع	٢٠	٤٣	المنفتحة	٣٦	٧٢	تخفيف الهمزة	٤٨	١٠١	جرس الحروف	٥٦
١٥	فضيلة الحرف	٢٠	٤٤	النفخ	٣٦	٧٣	الترقيق	٤٨	١٠٢	جري الصوت	٥٦
١٦	الاستطالة	٢١	٤٥	الهمس	٣٦	٧٤	التسهيل	٤٨	١٠٣	جري النفس	٥٧
١٧	الإطباق	٢١	٤٦	المهتوت	٣٧	٧٥	التضعيف	٤٨	١٠٤	جوهر الحرف	٥٧
١٨	التقعير	٢٢	٤٧	الهاوي	٣٧	٧٦	تقريب الصوت	٤٩	١٠٥	الحرف	٥٨
١٩	الغنة	٢٢	٤٨	الابتداء	٣٧	٧٧	تناسب الأصوات	٤٩	١٠٦	الدرج	٥٨
٢٠	اللين	٢٢	٤٩	الإبدال	٣٨	٧٨	تنافر	٤٩	١٠٧	الصوت	٥٨
٢١	التأليف	٢٢	٥٠	الإتباع	٣٨	٧٩	الحذف الإعلالي	٥٠	١٠٨	الصوت الساذج	٥٨
٢٢	التفشي والمخارجة	٢٤	٥١	أحوال الأبنية	٣٨	٨٠	الحذف للاعتباط	٥٠	١٠٩	مادة الحرف	٥٩
٢٣	التكرير	٢٤	٥٢	اختلاف الأبنية والأمثال	٣٩	٨١	الحذف الترخيمي	٥٠	١١٠	التفرع	٥٩
٢٤	الاستعلاء	٢٥	٥٣	الإخفاء	٣٩	٨٢	الحذف نسياً	٥٠	١١١	مركب الصوت	٥٩
٢٥	الإطلاق	٢٥	٥٤	الادغام	٤٠	٨٣	حرف مناسب (متوسط)	٥١	١١٢	النبر	٦٠
٢٦	الانحراف	٢٥	٥٥	الازدواج	٤١	٨٤	الساكن	٥١	١١٣	النفس	٦٠
٢٧	التفخيم	٢٦	٥٦	الاستثقال (الثقل)	٤١	٨٥	السلاسة	٥١			
٢٨	الترقيق	٢٦	٥٧	الإشراب	٤٢	٨٦	الفصل	٥٢			
٢٩	الجهر (الهمس)	٢٦	٥٨	الإشمام	٤٢	٨٧	القلب	٥٢			

ٱلرّموز ٱلْمستعملة في الحواشي :

ش ش = شرح شافية ٱبن ٱلْحاجب لرضيّ ٱلدّين ٱلْأستراباذيّ ، تح : محمّد نور ٱلْحسن ومحمّد الزفزاف ومحمّد محي ٱلدّين عبد ٱلْحميد ، (وهي ٱلنّسخة ٱلْمعتمدة في ٱلدّراسة) .

ش ك = شرح الكافية وهو (كتاب ٱلْكافية في ٱلنّحو ، شرحه رضي ٱلدّين ٱلْإستراباذيّ ، دار ٱلْكتب ٱلْعلمية ، بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .

ملاحظة :

١- ٱستعمال " حاشية ٱلْمصطلح " أُريد به : ، ٱلْحاشية ٱلّتي وضعتُها لتوثيق ٱلْمصطلح في كتب ٱلْمتقدّمين أو ٱلْمتأخرين عن ٱلرّضيّ ، ورقم ٱلْإحالة إلى هذه ٱلْحاشية يكون دائماً آخر رقم يخصّ ٱلْمصطلح المعين .

٢- لأسباب فنية جرى ٱستعمال إحالات متعدّدة تحمل ٱلرّقم نفسه مع رجوعها إلى ٱلْحاشية ٱلْمعينة بالرّقم .

٣ . عند وجود رقمي احالة متتابعة في نهاية المصطلح فان الرقم الاول متعلق بالكلام المذكور في نهاية المصطلح ، اما ثاني الرقمين فهو يحيل الى حاشية المصطلح (توثيق المصطلح) .

###############

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحمد للّه مستحقّ ٱلْحمد ، أحمده حمداً كثيراً مباركاً ، وأُصلي وأُسلِّم على خير صفوته من خلقه محمّد ، وأهل بيته ، ٱلطّيّبين ٱلأطهار ، وعلى أصحابه ٱلْمنتجبين ٱلأخيار ، " ٱللَّهُمَّ أَخْرِجْنِي مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلْوَهْمِ ، وَأَكْرِمْنِي بِنُورِ ٱلْفَهْمِ ، ٱللَّهُمَّ ٱفْتَحْ عَلَيْنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا خَزَائِنَ عُلُومِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ " .

أَمَّا بَعْدُ : فهذه دراسة صوتيّة تحاول أن تُبرز مادة ٱحتوتها دفتا مؤلَّفين تراثيين ألّفهما العالم : ٱلشّهير رضي الدّين الأستراباذي النّحويّ ٱلْمتوفى سنة ٦٨٨ هـ (على ٱلأرجح) شرح فيهما متني ٱبن ٱلْحاجب ٱلشّافية وٱلْكافية ، وكان قد أشار عليّ بها ٱلأستاذ ٱلدّكتور غالب فاضل ٱلْمطلبيّ عندما أتيتُه طالباً موضوعاً للدّراسة يكون مكمّلاً لدراسة ٱلْماجستير ، وقد أتمّ الدكتور فضله بوضع ٱلْخطة ٱلأوّليّة للدّراسة .

لقد جاءت رغبتي ٱلشّخصيّة عاملاً فعّالاً في أسباب ٱختيار ٱلْموضوع وقد أعان توفر هذه ٱلرّغبة سببان يتعلقان بالرّضيّ ومادته ، فهذا العالم يأتي بين متأخري نحاة ٱلْعربيّة ليكون في ٱلثُّلّة المقدّمة إلى جنب ٱلْخليل وسيبويه ، وثراء مادته ٱلصّوتيّة وعمقها في كتابيه ، خاصّة مادة شرح ٱلشّافية ، إذْ بإمكان هذه ٱلْمادة أنْ تقدّم تصوّراً واضحاً لفروع ٱلْجانب ٱلْوظيفيّ من ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة ، وهو ٱلْفرع ٱلّذي يبرع فيه علماء ٱلْعربيّة مبكراً ، وماقدّمته هنا يؤيّد ذلك ، ولكنّ هذا التّصوّر - وإنْ تعلّق مجمله بٱلْعربيّة ٱلْمشتركة لغة ٱلْقرآن ، وشعر ماقبل الاسلام ؛ إلّا إنّنا نجد مادة ٱستطراديّة كثيرة خصّ بها أنماطاً متعدّدة من ٱلأداء ٱللّغوي ٱلْمحليّ (ٱللّهجات) ، أيام جمع ٱلْمادة ٱللّغويّة عند علماء ٱلْعربيّة ٱلْمتقدّمين ٱلّتي ربّما فاقت ٱلْمادّة ٱلْمقدّمة ٱلْخاصّة بٱلْعربيّة ٱلْمشتركة (كما حدث في موضوعات ٱلإبدال وٱلإدغام وٱلْوقف وغيرها) ، ومع عظم هذه ٱلْمادّة ، فلم تكن الهدف لدراسته بقدر ماكان ذكرها تقريراً لسلوك ٱلْعربيّة ٱلْمشتركة ، ومحاولة ٱلْوقوف على قوانينها ٱلْمحدّدة ووصم مظاهرها بٱلشّذوذ ، وٱلضّعف ، وٱلْخروج عن العربيّة .

وجاءت الدّراسة في تمهيد وفصول ثلاثة ، جعلت ٱلتّمهيد موضعاً لبيان ٱلْهدف ٱلّذي أسعى إليه ، والمنهج ٱلّذي أروم ٱلتّمسّك به عند تناول ٱلظّاهرة ٱلصّوتيّة عند ٱلرّضيّ :

أمّا ٱلْفصل ٱلأوّل فقد جاء معبّراً عن أفكار ممهّدة للدّرس تحت عنوان : " مواضع ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ومصادره ومنهجه ومصطلحاته عند رضي ٱلدّين " ، وهو وقفة لاينبغي إهمالها ، وٱلتّجاوز عنها خاصّة مبحث " ٱلْمصطلحات " ٱلّذي كوّن ٱلْمادّة ٱلأعظم لهذا ٱلْفصل ، ويعود ذلك إلى طبيعة فهم ٱلْمصطلح وٱلْمنهج ٱلّذي ٱتّبعته فيه من

جهة،وإلى طبيعة بقيّة مباحث ٱلفصل من جهة أخرى؛ومباحث ٱلفصل هي :

ٱلْبحث ٱلأوّل : مواضع ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة في مؤلفيْ رضي ٱلدّين .

ٱلْبحث ٱلثّاني : مصادر ٱلثّقافة ٱلصّوتيّة لرضي ٱلدّين .

ٱلْبحث ٱلثّالث : منهج رضي ٱلدّين في درسه ٱلصّوتيّ .

ٱلْبحث الرّابع: ٱلمصطلحات ٱلصّوتيّة ٱلّتي ٱستعملها رضيّ الدّين .

ثم يأتي ٱلفصل ٱلثّاني بعنوان : "ٱتّجاهات ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة" للوقوف على جوانب ٱلدّرس ٱلْمختلفة ٱلّتي تناولها ٱلرّضيّ وكوّنت ثلاثة ٱتّجاهات هي مباحث هذا ٱلْفصل؛ وهي :

" ٱلإتّجاه ٱلأوّل : ٱلأصوات في حالة ٱلإفراد "

" ٱلاتّجاه ٱلثّاني : ٱلأصوات في حالة ٱلتّجاور وٱلتّركيب (التّعامليّة) "

" ٱلاتّجاه ٱلثّالث: ٱلأصوات في نظام ٱلأداء "

وتمثّل مادّة هذا ٱلفصل محور ٱلدّرس عند ٱلرّضيّ ،فحالة ٱلإفراد تتعلّق بعملية إنتاج ٱلأصوات ومتعلّقاتها من تشريح آلة ٱلصّوت وٱلّتي ٱلْمخارج وٱلصّفات ٱلّتي هي مراتب ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ؛لذلك ٱلصّوت ٱلْمتشابه ٱلأفراد الّذي يعبّر عنه بٱلصّوت ٱلسّاذج أو سَاذج ٱلصَّوْت " . ثم حالة ٱلتّجاور وٱلتّركيب (ٱلتّعامليّة) وتمثّل محل ٱلظّواهر الصّوتيّة التي ناقشها الرّضيّ وجاء هذا ٱلإتّجاه عنده معبّرا عن حالة نطقيّة أي:بمعنى انّه لم يقل إنّها نتاج ٱلتّعامل بين ٱلأصوات ٱلمُتجاوِرة بل إنّ ٱلْمتكلم لسبب يذكره ٱلرّضيّ يعمل تلك ٱلظّواهر ، إلاّ أنّ ٱلفهم ٱلواقعيّ ٱقتضى أنْ أعبّر عنها بٱلتّعامليّة؛وإنّي أعتقد أنّ ذلك لايتعارض وفهم ٱلرّضيّ؛لأنّ ماذكره للظّاهرة لايتعدّى كونه محاولةً لتبرير تلك ٱلتّحوّلات ،ولم يكن ٱلْغرض بيان حقيقة مايحدث ، كما أنّ مايقدّمه ههنا من تحليلات كان ركيزة لي في بيان ٱلتّعامليّة في فهم ٱلظّواهر، وهي مايدخل تحت ٱلْمماثلة ٱلْكليّة كٱلإدغام وما أطلقتُ عليه ٱلْمماثلة ٱلتّناسبيّة؛ٱلْمماثلة ٱلْجزئيّة وٱلْمخالفة وٱلإبدال وٱلْقلب المكانيّ وٱلْحذف .

أمّا ٱلإتّجاه ٱلثّالث فقد جاء للوقوف على فهم ٱلرّضيّ لسلوك ٱلأصوات داخل بناء ٱلكلمة وٱلسّلسلة ٱلكلاميّة؛وكيفيّة ٱلتّتابع ٱلّذي ترتضيه فيما بينها (صوامتها وصوائتها) في بداية ٱلْعمليّة ٱلكلاميّة وعند ٱلدّرج ؟ ويكوّن موضوعا " ٱلْتقاء ٱلسّاكنين وٱلإبتداء " ٱلْمصدر ٱلْمهم لمعلومات هذا ٱلإتّجاه . ثم ٱلْفصل ٱلثّالث (ٱلأخير) وهو فصل العلاقة ٱلْمتبادلة بين ٱلأنظمة ٱللغويّة تحت عنوان (علاقات ٱلنّظام ٱلصّوتيّ)،وقد صوّر

ٱلْبحث ٱلْأوّل : علاقة ٱلنّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلنّحويّ وٱلْبحث ٱلثّاني : علاقة ٱلنّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلصّرفيّ " حاجة منهجيّة في فهم ٱلظّاهرة ٱللّغويّة (وهي منهج ٱلنّحو ٱلْوصفي ٱلْحديث) أُحاول رصدها عند ٱلرّضيّ وٱلْوقوف على مواضع إدراكه لها ؛ وكانت المعالم ٱلنّظريّة هنا في نظري أهمّ ممّا يقدّم من تطبيقات ؛ لأنّ في ذلك تفسير إدراكاً قد لا يتوافر لِلعالم فيما يقدّمه من تطبيقات .

أمّا ٱلْبحث ٱلثّالث وهو " :علاقة ٱلأصوات بٱللّهجات وٱلْقراءات ٱلقرآنيّة " ؛ فيشكّل رصداً مكملاً لجوانب ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة عند ٱلرّضيّ حيث نلحظ فيه سلوك ٱلأصوات في مظاهرها ٱلتّعامليّة وعلاقاتها ٱلصّرفيّة وٱلنّحويّة في ٱلْمستويات ٱلأدائيّة ٱللّهجيّة .

وقد حرصتُ عند نهاية كلّ فصل من ٱلْفصول ٱلْمذكورة على ذكر مجموعة من ٱلنّتائج تُؤلّف ٱلْخطوط ٱلْأساسيّة لمحصلة ٱلْفصل ٱلْمعين،ثمّ جعلتُ في خاتمة ٱلْفصول نتائج عامّة تمثّل أهم نتائج الدراسة .

وقد اعتمدتُ في دراستي هذه على عمل جداول مختلفة، ورسوم توضيحيّة ساعدتني على ٱلْخروج بنتائج ربّما تكون أكثر علميّة ودقّة تمثّل معطيات رضي ٱلدّين في كتابه ٱلآنفي ٱلذّكر . وبعد فإنّي قَدِمتُ إلى جانب من ٱلدّراسة ٱللّغوية لا يخلو من صعوبة كامنة في طبيعة دراسته ومنهجه زيادةً على قلّة ٱلْوعي بخطورته في ٱلْبحث ٱللّغويّ ٱلْمعاصر ، وقد سعيت فيه سعياً مخلصاً ، فإنْ وُفّقت فمِنَّ ٱللّهِ وإعانته وبما أولاني به ٱلأستاذ ٱلْجليل ٱلدكتور هادي نهر ٱلْمشرف على ٱلْبحث ٱلّذي أُقدّم له شكري مع ٱمتنانٍ وعرفانٍ كبيرين لِمَا أعانني في ٱلاعتماد على ٱلنّفس وبلوغ أقصى ٱلْجهد بتوجيهاته ٱلّتي اعتزُّ بها كثيراً ، وإلّا فحسبي أن ينظر إلى هذا ٱلْعمل بعين صاحبه ٱلّذي يعتقد فيه تقصيراً يحاول أنْ يزيله بإرشادات ٱلنّاظر إليه وتوجيهاته ٱلْمقوّمة ، ممن يرجو إلّا يبخل عليه بها .

ومن ٱلْواجب ههنا أن أشير إلى ٱلشّكر وٱلامتنان ٱلّذي أحمله لِلأستاذ ٱلْفاضل ٱلدّكتور غالب فاضل ٱلْمطلبيّ ٱلّذي لم يبخل ولا يزال بتوجيهاته ابتداء باختيار الموضوع ووضع خطته ٱلأوّليّة .

ويرتبط بهذا ٱلْواجب أن أقدّم شكري وٱحترامي لِلْأستاذ ٱلْفاضل ٱلدّكتور غانم قدوري ٱلْحمد لاستجابته في ٱلْحصول على بعض ٱلْبحوث ٱلصّوتيّة وأُقدّم شكري وتقديري أيضاً إلى كلّ من مدّ لي يد ٱلْعون وٱلْمساعدة قولاً وعملاً وأخصّ منهم منتسبي ٱلْمكتبة ٱلْمركزيّة بٱلْجامعة ٱلْمستنصريّة ، وفي مقدّمتهم مديرها ٱلْفاضل ٱلأستاذ محمد عبود ٱلزّبيديّ وأيضاً منتسبات مكتبة كلية ٱلآداب بٱلْجامعة لتيسيرهم ٱلْحصول على مصادر ٱلدّراسة في سنتي ٱلْماجستير .
هذا : " وَلِلّهِ ٱلْحَمْدُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ "

بغداد
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

حسن ٱلأسديّ

التمهيـــــد

يأتي بحثي هذا ضمن الدّراسات الوصفيّة ذات الصّفة التّقويميّة الّتي تعمل على الإفادة من إفرازات النّتاج الفكريّ المعاصر، للوصول إلى إبراز مواطن التّفاعل بين النّتاجين : القديم المتمثّل في الفكر الصّوتيّ عند رضي الدّين الأستراباذيّ (معبراً عن التّراث العربيّ الإسلاميّ) ، والحديث فيما توصّلت إليه الدّراسات اللسانيّة المعاصرة المستندة إلى كم هائل من الأفكار والنّظريّات وتفاعلاتها مع التّقنية الحديثة بمختبراتها وأجهزتها الخاصّة ؛ تحدوني في هذا الرّغبة الصّادقة إلى الابتعاد عن التّعسف والتّكلف الّذي قد يصاحب مثل هذه الدّراسات، إنّني أسعى عبر تفاعل بين النّتاجين إلى تحديد معالم (النّظريّة الصّوتيّة العربيّة) .

ولا أعدو (في منهجي هذا) أن أسير في مظهر من مظاهر اللسانيّات المعاصرة الّذي تجلّى " في الحركة الاستبطانيّة الّتي تشهدها الدّراسات التّاريخيّة ، والمحاولات التّنظيريّة العامة ، وذلك أنّ الفكر اللسانيّ الغربيّ قد اتّجه أخيراً ــ فيما اتّجه إليه ــ إلى إعادة قراءة تراثه اللاتينيّ نافذاً من خلاله إلى التّراث اليونانيّ أحياناً . وهذا المنهج (السّلفيّ) أو (العوديّ) كما يصطلح زكي نجيب محمود هو بمثابة البحث في خبايا التّراث اللّغويّ بغية إدراك أسرار العلم اللسانيّ الحديث من جهة ، وتقييم التّفكير التّاريخيّ في الظّاهرة اللّغويّة بمنظور حديث من جهة أخرى "(١) زيادة على ما سبق ؛ فإنّ هذا المنهج كان مظهراً من مظاهر الحركة الاستشراقيّة من خلال ما قدّمته من دراسات ، وفي هذا السّياق يشير أحد الغربيّين (٢) إلى أنّه بفعل تلك المهارة الّتي تمتع بها النّحاة العرب في مشاهدة اللّغة ووصفها ، وبشكل خاص وصفهم الدّقيق للصّوتيّات الشّامل الّذي يكاد يكون تقديماً حديثاً ــ قد أدى إلى أن ينشغل بعض المستعربين الأوربيّين بنظام الصّوتيّات (أو بنظام لفظ الحروف في العربيّة التّقليديّة) انشغالاً تفصيليّاً، ونذكر بهذا الخصوص دراسات (شادة) و (بريفمن) و (كانتينو) ..

---

(١) التّفكير اللسانيّ : ١٤ .

(٢) وهو : أ . د لفكانك روشيك ينظر بحثه : النّحاة العرب القدامى، وعلم اللّغة الحديث : ١٦ .

وعلى الرّغم من أنّ ظهور علم الأصوات العربيّ يمتدّ إلى عمقٍ تاريخيٍّ يَسبِقُ الرّضيّ بقرونٍ متعدّدةٍ ، فإنّ هذا لم يكنْ مانعاً لَه من أنْ يقدِّمَ لنا أفكاراً وتصوّراتٍ صوتيّة جدّ خطيرة كانت مطيَّتنا في انشاء هذا الدّرس منهجاً وتطبيقاً ، مع إغناءِ جوانبه المختلفة ممّا سنقفُ عليه خلال مباحثَ دراستنا هذهِ الّتي تكَوّن موضوعاتُ أحوالِ الأبنية،وماليسَ بأبنية ولا أحوال أبنية في شرح الشّافية مصدرَ الثّراء الأعظم لِلمادة الصّوتيّة حتّى إنّني رأيتُ لأجل هذا أنْ أطلقَ عليها المباحثَ الصّوتيّة في شرح الشّافية (وسنقفُ على هذا بمزيدٍ من التّفصيل في مبحث : مواضع الدّراسة الصّوتيّة في الفصل الأوّل) .

وبعدُ، فإنّي في فقرات بحثي هذا وحواشيه سأورد بعض آراء علماء العربيّة المتقدّمين : الخليل،وسيبويه،وابن جني،وغيرهم ، وكذلك آراءَ المحدثين ما وجدت حاجة إلى ذلك .

+++++++++++++

ٱلْفصل ٱلْأوّل

مواضع ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ومصادره ومنهجه ومصطلحاته عند رضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلْأوّل : مواضع ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة في مؤلفي رضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلثّاني : مصادر ٱلثّقافة ٱلصّوتيّة لرضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلثّالث : منهج رضيّ ٱلدّين في درسه ٱلصّوتيّ

ٱلْمبحث ٱلرّابع : ٱلْمصطلحات ٱلصّوتيّة ٱلّتي ٱستعملها رضي ٱلدّين

المبحث الأوّل
مواضع الدّراسة الصّوتيّة في مؤلفيّ رضي الدّين

أقتصرُ هنا على الإشارة إلى مواضعَ الدّراسة الصّوتيّة في شرح الشّافية، وأُهملُ ماجاء منها في شرح الكافية لنُدرتها أوّلاً، وتناثرها ثانياً، إذ إنّها لاتعطينا فائدةً منهجيّة بورودها متناثرة في موضوعات الدّراسة النّحويّة، أمّا في شرح الشّافية فالمسألة مختلفة تماماً، إذ نقفُ فيه أمام كمٍّ هائل من المعلوماتِ الصّوتيّة ذاتَ المواضع المحدّدة، الّتي يُمكِنُنا من خلالها أنْ نخرجَ بحصلة منهجيّة تبيّن النّمط الّذي تسيرُ عليه الدّراسة الصّوتيّة عند الرّضيّ .

وتبدو مباحثُ أحوال الأبنية في شرح الشّافية مع المباحثِ الّتي ليست بأبنية ولا أحوال أبنية مكوّنة ثقل المادة الصّوتيّة (وقد توارد ت هذه في القسم الأخير من الكتاب) يشاركُها مبحثُ (القلب المكانيّ) (١) ، الّذي ذكره في بدايات الكتاب الخاص بالأبنية، والأرجح عندي أنّ ذكره هناك بعيداً عن أحوال الأبنية لم يكن إلاّ من تداعيات المِيزان الصّرفيّ ووزن الأبنية، وكان الأجدر بالرّضيّ أنْ يجعله منها .
وأحوال الأبنية عند الرّضي هي الّتي قال عنها : " وإنّما يَدْخُلُ في أَحْوالِ الأبْنِيَةِ : الابْتداءُ، والإمالةُ، وتَخْفِيفُ الهَمْزَةِ، والإعلالُ، والإبْدالُ، والحَذْفُ ، وبَعضُ الإدغام، وهو إدْغامُ بَعْضِ حُرُوفِ الكَلِمَةِ في بَعْضٍ ، ... وَكَذا التقاءُ السَّاكِنَيْنِ ، وَهو إذا كانَ السّاكِنانِ في كَلِمَةٍ " (٢) ، أمّا بقيّة المباحثِ الّتي قالَ عنها إنّها ليست بأبنية ولا أحوال أبنية الّتي تدخل هنا هي : الوقفُ، والإدغامُ في كلمتين، والتقاءُ السّاكنين فيهما (٢) .

ممّا سبق نخلص إلى أنّ مواضع الدّراسة الصّوتيّة قد ركزت في المباحث الآتية من شرح الشّافية، وهي : (عمومُ الإدغام، وعمومُ التقاء السّاكنين، والابتداءُ، والإمالة، وتخفيفُ الهمزة، والإعلالُ، والابدالُ والحذفُ، والوقفُ، والقلبُ المكانيّ) . وهي ماسأطلق عليها تسمية المباحثِ الصّوتيّة أو المباحث العشرة .

---

(١) اصطلاح (القلب الكانيّ) لم يستعمله الرّضيّ أبداً، واكتفى بمصطلح (القلب) فقط ينظر ش ش ١ / ٢١ ومصطلح القلب .

(٢) ش ش ١ / ٥٠ .

وألحظُ هنا اصطلاح الرّضيّ عليها بـ (أحوال الأبنية،وماليس بأبنية ولا أحوال أبنية) فيبدو موفقاً جداً وخطيراً إذْ فيهما إدراك كاملٌ للأساس الصّوتيّ لهذه المباحث الّتي كانَ من الممكن جداً أنْ تتطورَ إلى علم متكاملٍ يدرسُ الأصوات اللّغويّة،ومظاهرَ التّحوّلات الصّوتيّة داخل البِنْية،وخارجها،ونظام الأداء التّشكيليّ . غير أنّ اقتصار نَظْرته للأصوات في حدودِ البِنية والتّجاور على ما هو أكثر من البِنية حال دونَ ذلك، وقد عملَ هذا (ومن خلال هذه النّظرة) على الرّبط الشّديد بين الأفكار الصّوتيّة ، والوحدة الأساسيّة لعلم الصّرف (أي : الكَلمة) فجعلَ من علم الأصوات العربيّ يدورُ داخل الكلمة،ويقف عن الاكتمال كأحدِ العلومِ اللّغويّة الأخرى ؛ ولا أعني هنا فقط دورَ الرّضيّ بل أعني دور سيبويه،والرّضيّ تلميذ نجيب له،واستفاد من أفكاره كثيراً حين وظّف عمل أستاذه الخليل في توزيع الأصوات بحسب مخارجها وأحيازها لفهم الإدغام ،وهو ماظلّ ملازماً الدّراسات الصّوتيّة في المؤلفات النّحويّة أو الصّرفيّة حتى زمن الرّضيّ ، الّذي عمل على تعميق الفائدة من المبحثيْنِ الأساسيّيْنِ في الإدغام،وهما مبحث مخارج الأصوات،ومبحث الصّفات في دراسة تحوّلات البِنية اللّغويّة جميعها (أعني : الإدغام،والإبدال،والإعلال ،والإمالة،وتخفيف الهمزة ،وغيرها) حيث برزت منهجيّته الصّوتيّة بشكل واضح (*) على غيره من العلماء (سيبويه، ومن أتى بعده) .

وربّما أكون أكثر اعتدالاً لو أطلقتُ على هذه المباحث العشرة أو المباحث الصّوتيّة تسمية (المباحث الصّرفيّة-الصّوتيّة)(١) ؛ لِلتّفاعل الواضح بين علم الأصوات،وعلم الصّرف ، وتعلّق أحدهما بالآخر في هذه المباحث الّتي أختم وقفتي معها بالخروج إلى بعض الأفكار المنهجيّة الخاصة بالدّراسة الصّوتيّة،ومواضعها أضيفها إلى ما سبق وهي :-

١ - إنّ موضوعات الإدغام والتقاء السّاكنين،والوقف،والابتداء ،أقيمتْ على تصوّر صوتيّ محضٍ لتجاوزها حدود البِنية المفردة إلى السّلسلةِ الصّوتيّة على غير ما هو الحال في بقيّة الموضوعات الّتي تكونُ تسمية (الصّرفيّة-الصّوتيّة) أكثر تعبيراً عن طبيعة النّظرة لتحوّلاتها الصّوتيّة .

---

(١) في المصطلح،يُنظر،مقدمة الفصل الثّالث .

(*) وهو التصور الخاص بالدراسات الصرفية عند علماء العربية المتقدمين ،ويرى المحدثون أن الوحدة الأساسية لعلم الصرف هي المورفيم .

٢ـ تجزئة الظّواهر الصّوتيّة في المباحث العشرة (السّابقة) المتمثلة بتناول كلّ مبحثٍ على حدة ، وعدم محاولة وضعها في إطارٍ جامعٍ لمناقشة ظواهرها قد أفقدت المادة الصّوتيّة إمكانيّة تحوّلها إلى كيانٍ مستقلٍّ هو علم الأصوات، أو علم أحوال الأبنية .

٣ـ التّقييد الموضعيّ لأخطر موضوعين في الدّراسات الصّوتيّة القديمة، والمعاصرة، وهما: موضوع المخارج الصّوتيّة، وموضوع الصّفات اللّذان يرصدان مراتب التّمايزات الصّوتيّة المختلفة إذ لم يُغادرا بداية موضوع الإدغام في المؤلفات النّحويّة والصّرفيّة ومعهما مؤلّف الرّضيّ، وقد أسهم هذا التّقييد الموضعيّ في عدم تبلور العلم المستقل للأصوات ؛ على الرّغم من وجود مفاهيمَ كافيةٍ لتشكيل جميع فروعه، (وحسبنا هنا ماقدّمه علماء التّجويد، ومعهم ابن سينا من استقلاليّة واضحة لعلم الأصوات .

٤ـ استطراداً مع ماسبق، أُشير إلى أنّ مبحث الإدغام باحتوائه على موضوعيُ المخارج، والصّفات قد كوّن ثقلَ هذا الدّرس الّذي أسعى إلى إخراجه، فزيادةً على مساهمته الفعّالة في فهم التّحوّلات الصّوتيّة لمختلف الموضوعاتِ فقد قدّم لنا التّصوّرات الخاصة بالجهاز النّطقيّ، وكيفيّة إنتاج الأصوات اللغويّة وغير اللغوية، وقدّم لنا مراتبَ التّمايز بين الأصوات بالاعتماد على آليّة المخارج الموزعة على طول الجهاز النّطقيّ، والصّفات الصّوتيّة لجميع الأصوات (ماكانت عامّة لها، وماكانت خاصّة ببعضها) .

٥ . يقدّم لنا الرّضيُّ في التقاء السّاكنين، والابتداء تصوّراتٍ مهمّةً جداً تخصّ النّظام المقطعيّ للعربيّة الفصحى مع شيءٍ ممّا تميّزت به بعض لهجاتها في أنظمتها المقطعيّة ؛ زيادةً على هذا، فإنّي وجدتُ مواضعَ أخرى أُقيمت على تصوّراتٍ مقطعيّةٍ ، خاصةً ماكان في ظاهرة الإعلال، وبعض مظاهر الوقف .

+‡‡‡‡‡‡‡‡+

المبحث الثاني

مصادر الثقافة الصوتيّة لرضيّ الدّين

تمثّل الدّراسة الصّوتيّة للخليل وسيبويه ثروة مهمّة للدّراسات العربيّة اللاحقة وقد حرص علماء العربيّة على ورود منبعيها الغنيين حتّى إنّ النّظرة العامّة للدّراسة الصّوتيّة التّراثيّة تعطينا انطباعاً أنّ اولئك العلماء لم يستطيعوا إلاّ متابعة أحدها ، ولم يقدموا الإضافات اتاحتها أعمال هذين العلمين .

والرّضيّ هنا واحد من أولئك الّذين تابعوا سيبويه بشكل خاصّ غير أنّ ذلك لايعني توقفه عند سيبويه فقط ، بل تجاوز ذلك الى مجمل التّراث العربيّ السابق لعصره ، وقد قمت باستقراء لمواضع ذكره لأسماء الاعلام وكتبهم ، و اقتصر في هذا الاستقراء على مواضع الدراسة الصوتية من اعمال هذا الرجل وهي الموضوعات العشرة الّتي سبق الوقوف عندها في المبحث الاول من هذا الفصل الخاصّ بمواضع الدّراسة الصّوتيّة . وقد توصّلت إلى ماياتي :

١ـ يعمد الرّضيّ إلى ذكر أسماء الرّجال دونَ أسماءِ كتبِهم خلا مواضع قليلة لاتتجاوز خمسةَ مواضعَ (١) ، ذكر فيها كتابَ التّكملة لأبي عليٍّ الفارسيّ والفصيح لثعلب ، وماكانَ من ذكره لصاحب المفصل ، وحاشية كتاب ابن برمان ، والكافية للمصنف مع إحالات متعدّدة إلى كتابه شرح الكافية .

٢ـ التّوثيق والإحالة تردان في صيغ متعدّدة من نحو قوله : " وعبارةُ سيبويه " و " ... عندَ الزّجاج ، والسّيرافيّ ، كمامرَّ في شرحِ الكافية " و " ذهبَ ابنُ جنّيّ ... " و " قولُ صاحبِ المُفصّلِ " و " عدّها السّيرافي " و " أنشدَ أبو عليٍّ ... " (٢) ، إذ يبدو تعدّدها تلبيةً لمتطلبات السّياق الّذي ترد فيه .

٣ـ بلغَ مجموعُ مصادره بحسب ماتوصّلتُ إليه (٣٣) مصدراً ، والملاحظ هنا أنّ هذا العددَ لايُعبّر عن مجموع مصادره بدقّةٍ حيثُ أجد مايقودني إلى القول بأخذه عن مصادرَ أُخرى ، لعلَّ أبرزَها كتبُ الخلافِ وكتبُ الموسوعات اللّغويّةَ الّتي تجمعُ الآراء . وذلك من خلالِ نسبتهِ إلى المدارس اللّغويّة المعروفة من نحو نسبته إلى (الكوفيينَ) أو (الكوفيّة) و (أهل البصرة) أو (البصريّة) ، وينسبُ أيضاً إلى (بعضِ البغادِدة) ، وأيضاً بعضُ عباراتِهِ من نحو : " غيرُ سيبويهِ " و " قالَ بعضُهم " و " سائرُ النّحاة " و " علماءُ هذا الفنّ " (٣) .

---

(١) المواضع على الترتيب : ش ش ٢/ ٢٨٣ ، ٢/ ٢٤٦ ، ٣/ ١٨٩ ، ٣/ ٢٥٦ ، ٣/ ٢٩٤ .

(٢) المواضع على الترتيب : ش ش ٣/ ٢٥٣ ، ٢/ ٢٤٢ ، ٢/ ٢٥١ ، ٣/ ١٨٩ ، ٣/ ١٨٩ ، ٣/ ٢٠٦ ، ٣/ ٢٠٥ .

(٣) ينظر فيما سبق : ش ش ٣/ ٦٥ ، ٦٦ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ٢/ ٢٥٩ ، ٣/ ٧٧ ، ٢/ ٢٥٨ ، ٣/ ٨٣ ، ٣/ ١١٨ ، ٣/ ٢٧٤ ، ٣/ ٢٥٣ .

وقد تكونُ من مصادره كتبُ القراءات القرآنيّة، وكتبُ أهل التّجويد، وكتب الأشعار، والدواوين من خلال ما نجده في مادة المباحث من قراءات، ومصطلحات صوتيّة عُرِفَت عن مؤلّفي هذين النمطين من العلوم ذات الصّلة الوثيقة بالدّراسة الصّوتيّة؛ كذلك ما نجده من أشعار يستشهد بها على الاستعمالات الصّوتيّة .

٤- يُمكننا أنْ نحدّدَ طبيعةَ مصادره في دراسته الصّوتيّة من خلال ما ذكره من أسماء أعلامها، وتأتي المؤلفاتُ النّحويّة الّتي ذُكِرَت فيها المادّةُ الصّوتيّةُ متصلةً بالمادة الصّرفيّة والنّحويّة بذكره لأسماء (سيبويه، والمبرد، وأبي عليّ، والسّيرافيّ، وابن جنّي، والزّمخشريّ، وابن يعيش)، وكذلك بذكره لعبد القاهر الجرجانيّ، وابن كيسان، وكتب القراءات بما ذكره من أسماء القرّاء الّذين تحصرُ جماعةُ الإقراء على ذكر قراءاتهم: منهم من السّبعة من نحو: أبي عَمْرو بن العلاء، وحَمْزَة، والكسائيّ، ونافع ... وغيرهم)، أو مَن كان من غير السّبعة كـ عمرو بن عبيد، وأبي أيوب السّجستانيّ، ويعقوب الحضرميّ، وغيرهم (١)، وأزيد هنا ما كان في مؤآخذته على شرّاح كلام الشّاطبيّ في شاطبيّته .

والرّسائل اللّغويّة، وكتبها ر بذكره لأسماء أبي الخطاب، والأصمعيّ، وقطرب، وثعلب في الفصيح، ولا يفوتُني أنْ أذكر ثقافته المنطقيّة الّتي أورد مترجمو حياته أنّه عمل في ميدانها بما قدّمه من بعض المؤلفات (٢)، وقد بدت هذه الثّقافة متفاعلةً مع الأفكار الصّوتيّة من خلال بعض اصطلاحاته، كمصطلحي (جوهر الصّوت) و (الصّوت السّاذج) وبعض الاستعمالات الأخرى .

٥- يبرزُ سيبويهِ على جميع مصادره بكثرة ما يُنْقَل عنه، وما تبنّاهُ من أفكاره الّتي لم يشر إليه فيها، وقد بلغ تردّدُ سيبويهِ في المباحث العشرة (١٣٠) مرّة، أيّ ما يزيدُ على نصف المجموع الكليّ لمصادر الدّراسة الصّوتيّة البالغ (٢٢٨) مرّة، وفي هذا ما يؤكّد (بشكل واضح) ما زعمه بعضهم بشأن الرّضيّ " إنّه لَيسَ في المتأخّرينَ مَن أطّلعَ على تدقيقاتِ كتابِ سيبويْهِ مثلَه " (٣) .

---

(١) ينظر : المبحث الثالث من الفصل الاخير .
(٢) ينظر : هدية العارفين : ١٣٤/٢ .
(٣) مفتاح السّعادة : ١٨٤/١ .

وجاء بعد سيبويه الأخفش بـ (٢٥) مرةً، ثمّ الخليل بـ(٢٣) مرةً، فالسّيرافيّ بـ (٢٠) مرة، فأبو علي الفارسيّ بـ(١٥) مرةً، فالمازنيّ بـ (١٣) مرة ، فالفرّاء بـ(١٢) مرةً، فالكسائيّ بـ(١٠) مرّات، فالمبرد وابنُ جنّيّ في (٩) مرات، ويلحظ الفارق الواسع بين سيبويه ومن يليه .

٦ـ يعدّ سيبويه والسّيرافيّ أبرز مصدرين في موضوعيّ المخارج الصّوتيّة والصّفات ؛ فلسيبويه (١٣) مرةً وللسّيرافيّ (٧) مرات من أصل (٢٨) مرةً ، ذكرفيها مصادره ؛ ويأتي بعدها كلّ من الخليل وابن جنّيّ مرتين لكلٍّ منهما ، وبعدهما الفراء والأخفش والزّمخشريّ بمرة واحدة لكلّ منهم .

٧ـ وجدتُ الرّضيّ كثيراً ما يهمل الإشارة إلى مصادر مادته الصّوتيّة ، ويتجلّى ذلك في موضوعيّ الإبدال ، والإدغام بشكل واضح .

٨ـ تعدّد مواطن الجدال، وتعارض الآراء أمكنةً تبرز فيها أسماء مصادر الرّضيّ .

٩ـ نخرج من كلّ ما سبق بمحصلة تشير إلى تنوّع مصادر ثقافة الرّضيّ الصّوتيّة ؛ وإذا كان التّراث المعرفيّ التّخصصيّ قد يشكّل أمام بعضهم مشكلة معرفية ، وفنية خطيرة قد تميل به إلى الجمود والتّحجر، فإنّها في الوقت نفسه قد تشكّل ثراءً علميّاً يمكّن الباحث أنْ يبني موضوعه بناءً محكماً يقوم على التّحقيق والتّدقيق ؛ وذلك ما أعتقده هنا مع الرّضيّ .

///////////////////

المبحث الثالث

منهج الرضيّ في درسه الصوتي

المنهج في أبسط تصوّراته وأشملها : " طريقة يصل بها الانسان إلى الحقيقة " (١)، وأرى أنّ تصوّر المنهج يجب أن يستند إلى أساسين: الأول منهما نظريّ يأخذ بعين الاعتبار الأسس الفكريّة المعتمدة في الوصول إلى الحقيقة، وأعتقد أنّ ما وضعه بعض الغربيّين من تعريف المنهج يوضح هذا الأساس حيث قال في تعريفه للمنهج : " مجموعة العمليات الزّمنيّة الّتي يُحاوِل من خلالها علم من العلوم بلوغ الحقائق المتوخاة مع إمكانيّة تبيانها والتّأكّد من صحتها " (٢)،

أمّا الأساس الثّاني للمنهج، فهو المنهج العمليّ الّذي يمثّل المجال التّطبيقيّ للأسس الفكريّة الممثّلة للمنهج الأوّل (النّظريّ)، وأُعرّف هذا المنهج بأنّه : مجموعة الوسائل الفنيّة الّتي يتّخذها العلم في عرض مادته، وإيصال حقائقه ونتائجه .

ويعتقدُ الباحثونَ بوجودِ علاقةٍ وثيقةٍ بينَ نتائج البحث والمنهج المختار (٣)، ولهذا فالمنهجَ أهمّ أركان نجاح البحث والباحث ، وأحاول هنا أن أقفَ على معالم منهج الرّضيّ بقسميْه، ومعتمدي في ذلك المباحث العشرة الّتي سبق ذكرُها .

المنهج النّظريّ (الأسس الفكريّة) :

١ـ لا يرى الرّضيّ استقلالاً واضحاً لدراسته الصّوتيّة عن دراسته الصّرفيّة ، وإنّ دراسته الصّوتيّة توظّف لفهم تحولات الأبنية اللّغويّة .

٢ـ الخلطُ بين أنماط الأداء الفنيّ للّغة العربيّة المشتركة ، وعلى هذا أتى رصدُه للمظاهر الصّوتيّة . وقد تمثّل هذه الخلط بذكره الشواهد قرآنيّة ، وشعرية ، ونثرية ..

وربما أدرك علماء العربيّة هذا الخَلط، وخطورته ، وأنّ لكلّ نمط من هذه الأنماط اعتباراته الّتي لها أثرٌ بالغ في خصائص بنيته الصّوتيّة والمقطعيّة ؛ فقالوا في الشعر بالضّرورة الّتي يتحلّل بها الشّعراء من هيمنة معايير هذا الخلط الّذي يصفهم علماء العربيّة من خلاله بالشّذوذ .

---

(١) منهج البحث الأدبيّ : ١٧ .

(٢) عن : منهج البحث النّحويّ في القرن الثّالث : ٤ .

(٣) ينظر: نفسه : ٤ .

٣ـ ٱلْخلط بين أنماط الأداء في ٱلْعربيّة ، فالدّرس ٱللّغويّ العربيّ عامّـةً لم يخلصّ لنمطٍ أدائيٍّ واحدٍ،فإلى جانب أداء ٱلْعربيّة ٱلْمشتركـة نجد مظاهر لطرائقَ أخرى لهجيّة،وتبعته ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة بل إنّها ربّما تكون أكثر خلطاً من بقيّة جوانب الدّرس ٱللُّغويّ،فنجد ظاهرة (تخفيـف ٱلْهمزة)،وهي حجازيّة،ونجد أيضاً (ٱلْإمالة)،وهي تميميّة،ويبـدو هـذا تعسفاً في فهم ٱلظّاهرة ٱلصّوتيّة،وبعداً عن ٱلْوقوف علـى حقيقتها،لأنّنا وجدنا أنّ ٱلنّظر إليْها يتمّ عبر طريقٍ أدائيّ آخر قد يكـونَ هو ٱلْفصحى،أو ما ٱختارته ٱلْفصحى من لهجة معينة،وذلك موقف معياريّ تجاه ٱلظّواهر ٱلصّوتيّة ممّا لا ينسجمُ مع متطلبات نظر ٱلْباحث ٱللّغـويّ ويحولُ دونَ فهم ٱلظّاهرة ٱلْمعيّنة فهماً واقعيّاً .

المنهج العَمَليّ :

١ـ يرى الرّضيّ ٱقتصار ٱلْمباحث ٱلصّوتيّة تحت عنوانين داخل علم ٱلصّرف همـا : أحوال الأبنية،وماليس بأبنية ولا أحوال أبنية (وقد سبق أنْ وقفت عند هـذا في مواضع ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة،فتنظر)،وبحسب ما أرى الرّضيّ أكثر ادراكاً مـن ٱبن ٱلْحاجب الّذي جعل من أحوال الأبنية شاملاً لجميع ٱلدّراسة ٱلصّرفيّـة بمافيها جوانبها ٱلصّوتيّة (١) .

٢ـ لقد سَاير ٱلرّضيّ ٱبنَ ٱلْحاجب في كيفيّة تتابع موضوعات ٱلدّرس،وكيفيّة ٱلدّخـول في ٱلْموضوع ٱلْمعيّن في الإطار ٱلْعام ، إذ يبدو هذا ٱلسّلوك طبيعيّـاً، ومنسجماً مع ٱلتّيار ٱلتّأليفيّ ٱلْقائم على ٱلْمتون ٱللُّغويّة ، وخاصةً مع ٱرتباطـه بدواع تعليميّة .

٣ـ يقومُ منهج الرّضيّ في عرض ٱلْمادة الصّوتيّة على :

آـ مقدمات نظريّة : تشمل ٱلْحدود،وٱلتّقسيمات مع إدراج بعض الأمثلـة للإيضاح .

ب ـ ٱلْأمثلة التّطبيقيّة : وهي موضع رصد ٱلْمادة ٱلتّطبيقيّة الممثّلة للواقـع

---

(١) ينظر: ش ش ١ / ٤ ،وأيضاً حاشية ٱلصّفحة .

ٱللُغويّ ٱلْعربيّ • ونجدُ فيها كثيراً من ٱلتّطبيقات الممثّلة لأساليب كلاميّة محليّةٍ هي ٱللّهجات وٱلْقراءات ٱلْقرآنيّة : ٱلّتي هي كيفيـــة اداء كلمات القرآن الكريم منسوبة لناقلها (*) .

وهنا يبرز مجال ٱلإبداع لهذه ٱلشّخصيّة في طرح ٱلأفكار من خلال ٱلشّـــــرح وٱلتّعليق والتفصيل وكيفيّة ٱلْولوج في جوانب ٱلْموضوع وٱستيعاب دقائقه •

وهذا المنهج حصيلة نظرة تمّ فيها جمعُ مناهج جميع ٱلْمباحثِ الصّوتيـــّــة ٱلْعشرة في شرح ٱلشّافية فقطْ ، ويتسنّى لي من هذا أنْ أعدَّ هذه ٱلْحصيلـــة منهجاً له رسه ٱلصّوتيّ •

٤ـ يعمد الرّضيّ في بعض مباحثه إلى أنْ يأتيَ بمقدمةٍ طويلةٍ بكيـــبادُ يستغـــرقُ فيها جوانب ٱلموضوع في إطار عامٍ مع ذكـــــر ٱلْأمثلة ٱلْمناسبة نجد هذا ٱلسّلوك في مبحثي ٱلْابتداء وٱلتقاء السّاكنين ، كما نجد سلوكاً معاكساً لذلكَ يميــــــلُ فيه إلى ٱلاقتصار على بعض الأسطر أوْ يدخلُ بشكل مباشر إلى كلام ٱبـــــــــن ٱلْحاجب الّذي جعلَه أساساً لفقراتِ موضوعه ، وفي بعض المواضع يهملُ وضــــع الحدود تماشياً مع ٱلْمصنّف ، وهـــذا في : ٱلْوقف وٱلْإمالة وتخفيف ٱلْهمزة •

٥ـ نتبيّـــن من عرض الآراء (داخل ٱلْمادة ٱلصّوتيّة) منهجاً يقومُ على التّحقيــق وٱلتّدقيق وٱلْمناقشة إذ يذكر الآراء المؤيّدة والمعارضة فيختار منها مايـــراهُ مناسباً أو يرفضها جميعاً ويتبنّى رأياً جديداً ؛ فمن ذلك مايذكره فـــــــي مخارج ٱلْحروف فبعدَ أنْ يذكر وجهة ٱلْخليل في ٱلْمخارج الصّوتيّة وتوزيـــــع ٱلْأصوات عليها ثمّ يذكر مخالفة الفراء لسيبويه في بعض المخارج يخلص إلـــى رأيٍ يتبنّى مقولة سيبويه فيقول : " وَأَحْسَنُ ٱلْأقْوَالِ مَاذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ ، وَعَلَيْـــهِ ٱلْعُلَمَاءُ بَعْدَهُ " (١) .

وفي القلب (٢) بعدَ أن يذكرَ رأي ٱلْخليل الّذي يذهبُ إلى أنّ ٱلْقلــــب قياســـــيّ فيما أدّى تركه إلى ٱجتماع همزتين يذكر معارضة رأي سيبويــه

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٤ •

(٢) ش ش ١/ ٢٤ ـ ٢٥ (وهو القلبُ ٱلْمكانيّ) •

(*) ينظر: معجم القرآنيين : ٦١ .

له ثمَّ يذكر رأيه قائلاً : " وَلَيْسَ مَاذَهَبَ إِلَيْهِ ٱلْخَلِيلُ بِمَتِينٍ " (١) ويذكر حجته في هذا ، ثمّ لا يلبث أنْ يبرّر دعوى الخليل حتّى أنّه ليذكر عن سيبويه رأياً يتفق فيه ٱلْخليل معهما فيما خالفاه من عدم قياسيّة ٱلْقلب .

وفي ٱلْوقف بعد مايذكرُ ٱلرّأيَ في قوّة كيفيّات ٱلْوقف بِالرّوم، وٱلْإشمام، وٱلتّضعيف ، وإنّ ٱلتّضعيف هو ٱلأقوى (وعلى مايبدو فإنّ ذلك رأي سيبويه) (*) ، يعقّب عليه بذكر رأيه ٱلْمخالف (٢) (٣) .

وبعدُ، فَإنّ هذا ٱلْمنهج ينسجمُ مع منهج ٱلْمحقّقينَ ممن عاش بينهم من علماء ٱلنّجف ٱلأشرف الّتي يعدّ الرّضيّ " ألمع نحاتها ظهوراً، وأوسعهم شهرةً، وأبعدهم صيتاً " (٤) .

٦ـ من ضروريات نجاح ٱلْمَنهج وسائلُ إيصاله الّتي تتمثّل في ٱللُّغة ٱلْمستعملة وٱلْوسائل التطبيقيّة في عرض ٱلْمادة ؛ وقد تميّزتْ لغة الرّضيّ بوضوحها، وقوّتها مع دقّة عالية في ٱلْإتقان حاكها بما أوتي من ملكةٍ أصقلها ٱلْبحثُ ٱلْمنطقيُّ، والعلمُ بمداخل الكلام، ومخارجه أهّلَه لِأَنْ ينتقدَ بعضَ عبارات أبن ٱلْحاجب صاحب ٱلْعبارةِ ٱلْموجزة ٱلدّقيقة في ٱلشّافية وٱلْكافية، فيصفها بالْإلباس أو ٱلرّكاكة أو زيادتها عن حدّها (٥) .

ومن ٱلطّبيعيّ بعد ماسبق أنْ نَجِد أسلوب ٱلْمنطقيّينَ متمثّلاً في جملة أساليب عرضه بوضع ٱلْإشكالات، وٱلْإجابة عنها، وذلك فيما عُرِف بالفنقلة أيْ : فَإنْ قُلْتَ ... قُلْتُ وهو أسلوبُ ٱلْمجادلة وٱلْمحاجَجة (٦) .

كذلك لانَعدمُ عندَ الرّضيّ أنْ يَشْرحَ معنى بعضِ ٱلْكلمات (٧) .

أمّا شواهده، فكانت معبّرة عن أختلاط أنماط ٱللُّغة ٱلْفنيّة، فنجدُ ٱلشّواهد ٱلْقرآنيّة ، والشّعريّة، وٱلْمقولات النّثريّة، وشواهد أُخرى لهجيّة، وشواهد ٱلْقراءات القرآنيّة .

---

(١) ش ش ١/ ٢٥ .
(٢) ينظر ش ش ٢/ ٣١٥ـ ٣١٦
(٣) للمزيد ينظر ش ش ٣/ ٢٥ و ٣/ ٢٩ .
(٤) مراكز الدراسات النحوية : ٦٨ .
(٥) ينظر ش ش ٣/ ٢٣٥
(٦) ينظر ش ش ١/ ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٦/ ٩٧ ـ ٩٨ ، ١٠١ .
(٧) ينظر ش ش ٣/ ٢١٧ .
(*) ينظر الكتاب ٤/ ١٦٨ .

المبحث الرّابـع
المصطلحات الصّوتيّة الّتي استعملها رضيّ الدّين

تمهيـد :

يقول أحد الباحثين : " مفاتيح ٱلْعلوم مصطلحاتُها ، ومصطلحات ٱلْعلوم ثمارُها ٱلْقصوى ، فهي مجمع حقائِقها ٱلْمعرفيّة وعنوان مابه يميّز كلّ واحد منها عمّا سواه ، وليس من مسلك يتوسل به ٱلْإنسان إلى منطق ٱلْعلم غير ألفاظه ٱلْاصطلاحيّة حتّى كأنّها تقومُ من كلّ علم مقام جهاز من ٱلدّوال ليست مدلولاته إلامحاور العلم ذاته ، ومضامين قَدَرِهِ من يقين ٱلْمعارف وحقيق ٱلْأقوال " (١)

وهو ما أسعى إليه في هذا البحث ، فجَهِدْتُ في تتبُّع ٱلنّصوص وٱستعمالاتها ، استخرج منها اصطلاحاتها ، مع ٱلْحرص على ذكر تلك ٱلنّصوص وٱلْاستعمالات ، وأرى أنّ من سلامة ٱلْوقوف على ٱلدّلالة ٱلْاصطلاحيّة لمستعملها أنْ يَتِمَّ فهمها من خلال خمسةِ أشياءَ مجتمعةً عند توفّرها كلّها ، وإلّا مما توفّر منها ، وتلك هي :

١ـ ٱلْإِصطلاحُ ٱلْمباشرُ الّذى يذكره الرّضيّ عند وضعه ٱلْحدود وشرح ٱلْألفاظ
٢ـ دلالةُ ٱلْمصطلح من خلال استعمالاتِ الرّضيّ .
٣ـ ٱلْوقوفُ على ٱلْمعيارِ ٱلْأساسيّ ٱلّذي يتم في اطاره وضع المصطلح أو تحديد دلالته
٤ـ تطبيقاتُ الرّضيّ وٱلْأمثلة الّتي يسوقها مرتبطةً بالاصطلاح .
٥ـ ٱلْمادة ٱللغويّة الأخرى (غير الصّوتيّة) الّتي احتواها موءلفاه .

واعتقد أنَّ هذه ٱلْأشياء توفّر علينا فرصة ٱلدّخول في مجال ٱلتّعسف وٱلتّكلّف في مفاهيم ٱلْاصطلاحات ، وبٱختصار أقولَ : إنّنا يجبُ أنْ ندرسَ ٱستعمالات ٱللغويّة من خلال مادته الّتي يعرضها بين أيدينا ، وأنْ لانحاولَ جلب تصوّرات خارجيّة لمفاهيمه ، على الرّغم من أنّني أعتقد أنّه لابدّ من تقرير حقيقتين بخصوص ٱلْمصطلح هما : (٢) .

١ـ أنّ ٱلْمصطلحات هي تدلّنا على أنّ ٱلْموضوع ٱلْمعين ليس ثمرة جهد واحد من ٱللغويين ، إنّما هو نتاج سلسلة من ٱلْحلقات وٱلْجهود الّتي أثمرتْ ذلك

---

(١) ٱللسانيّات وعلم ٱلْمصطلح العربيّ : ١٧ .
(٢) ظ المصطلح ٱللغوي عند ٱبن جني : ٢ .

ٱلْموضوع الّذي وصل إلى اكتمالاً ... وإنْ كان ٱلْأمر لا يتقاطعُ مع تأكيد ٱلدّور ٱلرّائد ٱلّذي قام به أُصحاب هذه ٱلْآثار ٱلْجليلة في تثبيتِ ركائز ٱلْعلم ٱلْمعيّن، وتحديد أُسسه، وٱتجاهاته ٱلْموضوعيّة وٱلْمنهجيّة .

ثانيا : إنّنا لا يمكن أنْ نتخطى كتب ٱللّغة الأُصول ونحنُ بصدد ٱستقراء ٱلْمصطلحات ٱللّغويّة ٱلْعربيّة عبر ٱلزّمان ، ورصد تطورها وتبلور مفاهيمها ٱلْفنيّة " .

ولكنني هنا لا أسعى إلى ٱلْاستقراء عبر الزّمان ، بل إنّ ٱلْاستقراءَ يشمل مصطلحات هذا ٱلرّجل ، مع محاولة ٱلْوقوف على ٱلْاستعمالاتِ الأُولى للمصطلح سواءٌ أكان ٱلْاستعمالُ على وفق ٱلْكلام عند الرّضيّ أمْ لا ، لِأنّني أعتقد أنّ ذلك لا يمنعُ من ٱلْاستفادة ٱلْاصطلاحيّة اللفظيّة، وتوظيفها له لا لجدة، أو نحوٍ من هذا .

ولأجل هذا قمتُ أذكر دائماً في نهاية ٱلْمصطلح رقماً يشيرُ إلى حاشيةٍ أُثْبِتُ فيها ما وقفتُ عليه من ٱستعمالاتِ المصطلح السّابقة لِلرّضيّ أو اللاحقة عند عدم وجود ٱلْاستعمال السّابق ، أو للايضاح ، ولِلْإشارة إلى أثر الرّضيّ فيمن بعده ، وسمّيتُ هذه ٱلْحاشية " حاشية ٱلْمصطلح " .

وكانَ ٱلتَّوجّه إلى ٱلْوقوف على ٱلْاصطلاح عند الخليل وسيبويه وغيرهما من ٱلْمتقدمين، ثُمَّ أتبعهم بذكر متفاوت لبعضٍ ممَّن أتى بعدهم ، وقد أعانتني في بعض هذا ٱلرّجوع بعض ٱلدّراسات الّتي ٱهتمت لرصد ٱلْمصطلحات ٱلصّوتيّة أو جزءٍ منها، وهي : ٱلْعمل ٱلْمهم ٱلّذي قامَ به ٱلدّكتور غانم قدوري في كتابه (ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة عند علماء ٱلتّجويد)، ورسالة ٱلْماجستير (ٱلْمصطلح ٱلصّوتيّ في ٱلدّراسات ٱلْعربيّة) لعبد ٱلْعزيز سعيد الصّيغ .

كما إنّي عملت على ٱلْإفادة من مجموعة ٱلْمصطلحاتِ ٱلصّوتيّة وٱلصّرفيّة الّتي بيّنها الدكتور هادي نهر في بحثه ٱلْموسوم : بـ (ٱلْمصطلح ٱللّغوي عند ٱبن جنّيّ من خلال ٱلْخصائص) ممّا أطلقها ٱبن جني أوّل مرة، وتتبّعت في ذلك كلّه مواقع ورود المصطلح في كتب ٱلْمتقدّمين مع ٱلْاستعانة بالفهارس الّتي وضعها محققو تلك ٱلْكتب إنْ وُجِدَتْ ، وٱلرّجوع إلى مواضع الدّراسة الّتي ٱرتبطَ بها ٱلْمصطلح ، وما لَم أقف على ٱستعماله عند ٱلْمتقدمين، فإنّي أُشيرُ بأنّي لم أقفْ على من ٱستعمله في نهاية ٱلْمصطلح، فقد يكون من إبداع الرّضيّ ، أو قد فاتني ٱلْوقوفُ على مصدره .

ورأيتُ له وافعَ منهجيّةٍ أنْ أقسِّمَ ٱلْمصطلحاتِ على حقولٍ تَنسجمُ مع ٱتجاهات بحثـي ومواضيعِه، وهي :

١ـ مصطلحاتٌ مخرجيّةٌ ،
٢ـ مصطلحاتُ الصِّفاتِ الصّوتيّة ،
٣ـ مصطلحاتُ ٱلتَّجاورِ وٱلتّركيبِ ،
٤ـ ٱلْمصطلحاتُ ٱلصّوتيّةُ ٱلْعامةُ .

وللدّافعِ السّابق قسّمتُ ٱلصّفاتِ ٱلصّوتيّةَ على قسمَيْن : الأوّل منهما للصّفات ٱلْفضيلة ، والآخرُ لبقيّة ٱلصّفات ، ويوزَّع كلٌّ منهما على صفاتٍ مجموعاتٍ وصفاتٍ مفردةٍ .

وقد أهملتُ ٱلْإشارةَ إلى مصطلحاتِ ٱلْمخارج الصّوتيّة ومصطلحاتِ أعضـاءِ ٱلنّطق لتداخلها ٱلشّديد مع كلام ٱبنِ ٱلْحاجب فقد جاء أغلبها في معرض ٱلشّـرح وٱلتّعليق ولم يفرّق في ٱستعماله بين ٱلعضو وٱلْمخرج .

مصطلحاتٌ مخرجيّةٌ

آلةُ ٱلحُروفِ : قال ٱلرّضيّ عند كلامه على مراتبِ ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ : " فَلَوْلاَ ٱخْتِلاَفُ أَوْضَاعِ آلَةِ ٱلْحُرُوفِ ـ وَأَعْنِي بِآلَتِهَا مَوَاضِعَ تَكَوُّنِهَا فِي ٱللِّسَانِ وَٱلْحَلْقِ وَٱلسِّنِّ وَٱلنِّطْعِ وَٱلشَّفَةِ ، وَهِيَ ٱلْمُسَمَّاةُ بِٱلْمَخَارِجِ ـ لَمْ تَخْتَلِفِ ٱلْحُرُوفُ "(١) ، والآلةُ عنده هي الّتي يحصلُ بها الشّيء(٢) ، فآلةُ ٱلْحروفِ (كما هو واضحٌ) هي ٱلْمخارج الّتي هي ٱلْمرتبة ٱلْأولى من مراتب ذلك ٱلتّمايز . ويلاحَظُ هنا ٱلْإزدواجُ ٱلشّديدُ بينَ النّاحيـة ٱلعضويّة في إنتاج ٱلْأصوات ونظامِ ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة ، ويبدو هذا ٱلْمصطلح أقربَ إلى ٱلنّاحيةِ ٱلْمخرجيّة من ٱلنّاحية ٱلعضويّة(٣) .

آلةُ ٱلصّـوْتِ : قال الرّضيّ : " فَٱلنّونُ وحروفُ ٱلْحلق مُتساويانِ في ٱلْاحتيـاجِ

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٢) ينظر ش ش ١ / ١٨٦ .
(٣) يبدو أنّ أوّل من استعملَ هذا ٱلنّمط من هذه المصطلحات هو ٱلجاحـظ (٢٥٥ هـ) فعنـده : " ٱلصّوْتُ آلةُ ٱللّفْظِ " (البيان ١ / ٧٩) ووجـدت ===

إلَى فَضْلِ ٱعْتِمَادٍ،وإعْمَالٍ لِآلَةِ ٱلصَّوْتِ" (١) ،ويبدو هذا ٱلْمصطلحُ اكثرَ مساساً بِٱلْجانب ٱلْعُضويّ لإنتاج ٱلْأصواتِ ، فيمكنُ أنْ يكونَ مرادفاً لِمَا ٱصْطُلِح عليه عند ٱلْمحدثين بِٱلْجهازِ ٱلصّوتيّ،أو ٱلْأعضاءِ ٱلصّوتيّة،وغيرها مِن ٱلْاُصطلاحاتِ (٢) .

آلَةُ ٱلضَّمَّـةِ : وهي ٱلشّفة ،قال الرّضيّ في ٱلإشمام : " لَمْ يُجَوِّزْهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلنُّحَاةِ إلاّ فِي ٱلْمَرْفُوعِ وَٱلْمَضْمُومِ ، لِأَنَّ آلَةَ ٱلضَّمَّةِ ٱلشَّفَةُ . . . " (٣) ، ويبدو أنّه يقصدُ بها ٱلْمخرجَ لا ٱلْعضوَ (٤) .

ٱلْأَدْخَـلُ : يقتصر ٱستعمالُ هذا ٱلْمصطلح مَعَ مصطلحيْ ٱلْأعلى،وٱلْأنزل على ٱلْمخارجِ ٱلْحلقيّة ،وذٰلك لِلشّكل ٱلْعموديّ ٱلّذي يتّخِذُهُ ٱلْحلق ، فَٱلصّوتُ ٱلْأدخلُ هو ٱلْأعمق مخرجاً نسبةً إلى مخرجِ صوتٍ حلقيّ آخرَ ؛ قال الرّضيّ : " ولايُدْغَمُ حَلْقِيٌّ فِي حَلْقِيٍّ أَدْخَلَ مِنْهُ " (٥) (٦) .

ٱلْأَعلـى : وهو مقابلُ ٱلْأدخل وٱلْأنزل ، قال الرّضيّ عن ٱلْحاءِ مع ٱلْعينِ والهاء : " أَمَّا كَوْنُهُ أَخَفَّ،وَلِأنَّهُ أَعْلَى مِنْهُمَا فِي ٱلْحَلْقِ " (٧) ، وقال أيضاً : " فَإِنْ ٱتَّفَقَ أُدْغِمَ ٱلْأَنْزَلُ فِي ٱلْأَعْلَى نَحْوُ : إِجْبَهْ حَّاتِماً " (٨) . ولم أقفْ على من سبقه

== الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) يستعمل نحوه،فعنده " ٱلْحَرَكَةُ آلَةُ ٱلْإِعْرَابِ" (المقتصد : ١/ ٩٩) وعند أهل التّجويد (ٱلْقُرْطبيّ ت ٤٦٢هـ) " آلة النّطق" في الموضح : ١٤٠ و ١٧٢،وأبن البناء (ت ٤٧١ هـ)،ينظر هنا : الدّراسات الصّوتيّة : ٩٤ ـ ٩٥،وبخصوص هذه المصطلحات فالرّضيّ يعدّ مبدعاً .

(١) ش ش ٣ / ٢٧٢ .
(٢) ينظر : حاشية مصطلح آلة الحروف .
(٣) ش ش ٢/ ٢٧٦ .
(٤) ينظر : حاشية مصطلح آلة الحروف .
(٥) ش ش ٣ / ٢٦٤ ، وينظر: ٣/ ٢٦٥ .
(٦) من مصطلحات الخليل عن التّهذيب : ١/ ٤١ ، شرح المفصل : ١٠/ ١٣٦ .
(٧) ش ش ٣/ ٢٦٦ .
(٨) ش ش ٣/ ٢٧٦ ، وينظر ٣/ ٢٦٤ .

إليـــــــــه .(١)

ٱلإِعْتِمَـــادُ : ربّما يكون أفضل موضع لتحديد ٱلمفهومِ الدَّقيقِ لهذا ٱلمصطلح هُــو عند أحوال ٱلنّون ، إذْ يبدو أنّه يعني به ٱلجهدَ ٱلمبذولَ عند ٱلنّطق بما فيـــه ٱلضَّغط وٱلأرتكاز بينَ ٱلأعضاء ٱلصّوتيّة،وذلك لِأَنّه يقسّم ٱلحُرُوفَ على قسمَيْنِ : "أَحَدُهُمَا يَحْتَاجُ إِلَى ٱعْتِمَادٍ قَوِيٍّ،وَهِيَ حُرُوفُ ٱلْحَلْقِ ، وَٱلآخَرُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذٰلِكَ،وَهِيَ حُـرُوفُ ٱلْفَمِ وَٱلشَّفَةِ ، فَٱلنُّونُ وَحُرُوفُ ٱلحَلْقِ مُتَسَاوِيَانِ فِي ٱلٱحْتِيَاجِ إِلَى فَضْلِ ٱعْتِمَـــادٍ، وإِعْمَالٍ لِآلَةِ ٱلصَّوْتِ "(٢) ، ويبدو أنّ ٱلعطفَ ٱلأخير بينَ فضلِ ٱلاعتماد،وٱلاعمال لآلة ٱلصّوت أكثرُ توضيحاً لمفهومه بهذا ٱلمصطلح . وهنا تتواردُ مصطلحاتٌ من نحوِ : قوّة ٱلاعتماد (وهو شدّة هذا الضغط) وأَقَلّ اعتماد (أي : أقلّ ضغطاً وجهداً(٢)) وإشباع ٱلاعْتماد (يعني به طول ٱلمدّة ٱلزّمنيّة للجهد،وذلك لا يتربطُ بوجود قــوّة في ٱلاعتماد)(٣) ،وعكسه ضَعف ٱلاعْتماد(٤)

ٱلأَنْــــزَلُ : يرادفُ مصطلح ٱلأدخل ، قال الرّضيّ في ٱلحُروف ٱلحلقيــّـــة : " لِأَنَّ أَنْزَلَهَا فِي ٱلحَلْقِ أَثْقَلُهَا ... "(٥) وقَالَ أيضًا : "وَكَانَ حَقُّ ٱلْحَاءِ أَنْ تَكُونَ أَقَلَّ فِي بَابِ ٱلتَّضْعِيفِ مِنَ ٱلْغَيْنِ وَٱلْخَاءِ ، لِأَنَّهُ أَنْزَلُ مِنْهُمَا فِي ٱلْحَلْقِ ".(٦) ولــم أقف على مَن سبقه إليه .

أَوْضَاعُ آلَةِ ٱلْحُرُوفِ : يعني به ٱلمراتبَ ٱلمختلفة لِلتّمايز ٱلصّوتيّ بما تتخذه آلـــة ٱلنّطق أو ٱلمخارج من هيئاتٍ متعدّدةٍ ،قالَ الرّضيّ : " وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ٱخْتِلَافُهَـــا (يعني : ٱلأصوات) قَدْ يَحْصُلُ مَعَ ٱتِّحَادِ ٱلمَخْرَجِ بِسَبَبِ ٱخْتِلَافِ وَضْعِ ٱلآلَةِ مِـــنْ شِدَّةِ ٱلاعْتِمَادِ،وَسُهُولَتِهِ،وَغَيْرِ ذٰلِكَ "(٧)، وقَالَ أيضاً : " فَلَوْلَا ٱخْتِلَافُ أَوْضَــاعِ

---

(١) فـي الكتاب:٤/٤٤٩،وشرح المفصل:١٠/١٣٦ (ٱلأَقْرَبُ إِلَى ٱلفَمِ)

(٢) ش ش ٣/٢٧٢ .

(٣) على ما يستفاد من مصطلح الاشباع وتعريفه للجهر والهمس (ينظر ش ش ٣/٢٥٨ـ ٢٥٩).

(٤) من مصطلحات سيبويه ،ينظر الكتاب:٤/ ٤٣٤،وينظر:إعجاز القرآن:٤٤ ، المقرب:٣٥٧ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٥ .

(٦) ش ش ٣/ ٢٧٥ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٥١ .

ٱلَّتِي ٱلْحُرُوفِ . . . لَمْ تَخْتَلِفِ ٱلْحُرُوفُ"(*) ، ويبدو أنّه أوّل من ٱستعمله .

ٱلْحَيِّـزُ : يصطلح به ٱلرّضيّ على مجموعة ٱلْمخارج ٱلْمتقاربة ، إذْ قالَ : " . . . ٱلْأَلِفُ مِنْ حُرُوفِ ٱلْحَلْقِ أَيْضًا ، فَيَكُونُ قَبْلَهَا (يعني : حروف ٱلْحلق) جُزْءًا مِـنْ حَيِّزِهَا " (١) يقصدُ بذلك ٱلْفتحة،وفي مصطلح ٱلْمرتفعة قوله : " . . . لِأَنَّ مَوْضِعَيْ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ بِمَنْزِلَةِ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ، لِتَقَارُبِ مَابَيْنَهُمَا،وَٱجْتِمَاعِهِمَا فِي ٱلْاِرْتِفَاعِ عَنِ ٱلْحَلْقِ ، فَكَأَنَّ ٱلْحُرُوفَ ٱلْمُرْتَفِعَةَ مِنْ حَيِّزٍ وَاحِدٍ " (٢) ، فَٱلْحيّز هو ٱلْمصطلح ٱلْجامع لمخارج متعدّدة يمكن أنْ يجمع بينهما جامع مكانيّ (٣) .

ٱلْمَخْـرَجُ : يستعمله ٱلرّضيّ لِلدّلالة على نقطة ٱلتقاء عضويْ ٱلنّطق ، إذْ قـال (واصفاً إنتاج صوت ٱلْلام) : " . . . خَرَجَ ٱلصَّوْتُ عِنْدَ ٱلنُّطْقِ بِهِ مِنْ مُسْتَدَقِّ ٱلْلِسَانِ فُوَيْقَ مَخْرَجِهِ " (٤) ،وبحسب كلامه ليس ٱلْمخرج بٱلضّرورة هو ممر هواء ٱلتّصويـت . وقال أيضاً : "إِنَّ لِلنُّونِ مَخْرَجَيْنِ : أَحَدُهُمَا فِي ٱلْفَمِ،وَٱلْآخَرُ فِـي ٱلْخَيْشُومِ " (٥) ،ومعلوم عنده إنّ موضع اللسان متّصل بلفويق ٱلثّنايا (ٱللِّثَة) ٱتّصالاً مباشراً ، فَالمخرج إذن هو نقطة ٱلْاتّصال ،وبدا لي في قوله : "فِي ٱلْخَيْشُـومِ" ٱلسّابق مشيراً إلى هذه ٱلنّقطة مع دليل أنّه لم يقلْ: . . . والاخر الخيشوم. (٦)

ٱلْمَدْرَجَـةُ : جمعها (ٱلْمدارج)،قالَ ٱلرّضيّ (عن ٱلْخليل) : " ٱلْأَلِفُ ٱللَّيِّنَةُ وَٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ وَٱلْهَمْزَةُ هَوَائِيَّةٌ ، أَيْ أَنَّهَا مِنْ هَوَاءِ ٱلْفَمِ لَاتَقَعُ عَلَى مَدْرَجَةٍ مِـنْ مَدَارِجِ ٱلْحَلْقِ،وَلَامَدَارِجِ ٱللِّسَانِ " (٧) ، يبدو أنّه يشير إلى مناطق ٱلْاحتكاك بين ٱلْأعضاء ٱلنّطقيّة (٨) .

(*) شش ٣ / ٢٥١ .

(١) شش ١ / ١١٩ .

(٢) شش ١ / ١٢٢ .

(٣) في العين: ١ / ٥٧ ،وبحسب (التّفكير الصّوتيّ عند الخليل) :٣٦ "ٱلْفَـرَاغُ ٱلَّذِي يَشْغَلُهُ عَدَدٌ مِنَ ٱلْأَصْوَاتِ فِي ٱلْحَلْقِ أَوِ ٱلْفَمِ "،والكتاب:٤ / ٤٦٤ و ٤٦٥

(٤) شش ٣ / ٢٦١ .

(٥) شش ٣ / ٢٧١ .

(٦) في العين: ١ / ٥٢ ، الكتاب:٤ / ٤٣١ ،سر الصناعة: ١ / ٥٢ ، الهمع: ٢ / ٢٢٨ .

(٧) شش ٣ / ٢٥١ .

(٨) في العين: ١ / ٥٧ ،التّهذيب: ١ / ٤٤ ،وقال في (التّفكير الصّوتيّ عند الخليـل) ٣٦: مدرجـة الصـوت : "ٱلْمَوْضِعُ ٱلّذي يَبْدأُ مِنْه ٱلصّوت مِن لَدُن ٱلْاعتراض ، ٱلْمخرجُ" .

ٱلْمُرْتَفِعَة : مصطلح ٱلْحروف ٱلَّتي ٱرتفعتْ عن ٱلْحلق يقابلُ المستفلة؛ قال ٱلرّضيّ : " ... لِأَنَّ مَوْضِعَيْ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ بِمَنْزِلَةِ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ، لِتَقَارُبِ مَابَيْنَهُمَا وَٱجْتِمَاعِهِمَا فِي ٱلْاِرْتِفَاعِ عَنِ ٱلْحَلْقِ ، فَكَأَنَّ ٱلْحُرُوفَ ٱلْمُرْتَفِعَةَ مِنْ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ، بِخِلَافِ ٱلْمُسْتَفِلَةِ أيْ ٱلْحَلْقِيَّةِ - " (٢) ، يعني به مخارج حروف ٱلْفم والشّفة (*)

ٱلْمُسْتَفِلَةُ : مصطلح ٱلْحروف الّتي سَفَلَتْ مكاناً في آلة الصّوت ، يقابل ٱلْمرتفعة وهي - ٱلْحلقيّة ، والنص أعلاه في ٱلْمرتفعة : " ... فَكَأَنَّ ٱلْحُرُوفَ ٱلْمرتفعة من حيِّزٍ وَاحِدٍ ، بِخِلَافِ ٱلْمُسْتَفِلَةِ - أيْ ٱلْحَلْقِيَّةِ " (١) ، ولم أقف على سابق له في استعمال هذا المصطلح .

ٱلْمَوْضِعُ ، جمعها (ٱلْمواضع) : يرادف به ٱلرّضيّ مصطلحَ ٱلْمخرج على ما يبدو لي من كلامه في ٱلْأصوات مابين ٱلشّديدة وَٱلرّخوة ، إذ قال : " يَنْحَصِرُ ٱلصَّوْتُ فِي مَوَاضِعِهَا ، لَكِنْ تَعْرِضُ لَهَا أَعْرَاضٌ تُوجِبُ خُرُوجَ ٱلصَّوْتِ مِنْ غَيْرِ مَوَاضِعِهَا " (٢) ، ومن هذه ٱلْحروف ٱللام والنّون (ينظر مصطلح ٱلْمخرج) (٣) .

مصطلحاتُ ٱلصّفات ٱلصّوتيّة :

١- ٱلصّفاتُ ٱلصّوتيّةُ ٱلْفَضِيلة :

فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ : هي أنْ يَتّصِفَ أحدُ ٱلْأصوات أو مجموعةٌ مِن ٱلْأصواتِ بإحدى ٱلصّفات تمنعُهُ من أنْ يُدغمَ في صوتٍ آخرَ لا يمتلكُ تِلْكَ الصّفة إبقاءً عليها (٤) ، وقد مُثِّلَت في حروف (ضَوِيَ مِشْفَرٌ) ماعدا صفة الصّفير وَٱلإطباق ، وهذا يُؤكّد نضجَ فكرة تميّز هذه ٱلصّفات (ٱلْفضيلة) عند الرّضيّ ٱلّتي وُجِدَتْ بُذورُها وتصوّراتُها عند ٱلسّابقين ، فوضعوا لها ما سبقَ من جمع حروفها ، فجاء الرّضيّ وأدخل فيها

---

(١) ش ش ١/١٢٢ .
(٢) ش ش ٣/ ٢٦٠ .
(٣) في العين : ١/ ٥٨ ، الكتاب : ٤/ ٤٣٤ ، الرعاية : ١١٠ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٧٠ .
(*) في الكتاب : ٤/ ١٠١ : " والحروف المرتفعة حيز واحد " .

ٱلصّفتين ،وٱصطلح عليها بهذا ٱلإصطلاح ٱلّذي لم يقعْ نظري على استخدام سابق له ، قال ٱلرّضيّ في إدغام حروف ٱلإطباق : " فالافصح إبْقَـاءُ ٱلْإطْبَاقِ لِئَلّا تَذْهَبُ فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ " (١)

آ- صفات ٱلْمَجْمُوعَاتِ :

ٱلْإِسْتِطَالَةُ : فضيلة ٱلضّاد وٱلشّين ،قال ٱلرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ ٱلضَّادِ ٱلْإِسْتِطَالَةُ " (٢)، وقال فيهما : " أَسْتَطَالَتَا حَتَّى قربتا من حروف طرف ٱللّسان " (٣)،وهي تعبّر عن هيئتهما ٱلمخرجيّة،فٱلضّاد " لِأَنَّهُ مِنْ أَقْصَى ٱلْحَافَّةِ إِلَى أَدْنَى ٱلْحَافَّةِ : أي أَوّلِ مَخْرَجِ ٱللَّامِ ،فَٱسْتَغْرَقَ أَكْثَرَ ٱلْحَافَّةِ (يعني : حافة اللسان) " (٤)، ولهذا يُقال لِلضّاد : طويلٌ (٤)، وقال الرّضيّ : " ... وَكَذَا ٱلشِّينُ حَتَّى ٱتَّصَلَتْ بِمَخْرَجِ ٱلطَّاءِ " (٥)، والرّضيّ يُهمل ٱلْإشارة إلى كون هٰذه ٱلصّفة فضيلة لِلشّين مستعيضاً عنها بفضيلة ٱلتّفشي وٱلرّخاوة (٦).

ٱلْإِطْبَاقُ : قالَ الرّضيّ : " وَفِي ٱلطَّاءِ وَٱلظَّاءِ وَٱلصَّادِ وَٱلضَّادِ وَٱلسِّينِ وَٱلزَّايِ لَا يَجُوزُ قَلْبُ ٱلْأَوَّلِ إِلَى ٱلثَّانِي ؛ لِئَلّا تَذْهَبَ فَضِيلَةُ ٱلْإِطْبَاقِ وَٱلصَّفِيرِ " (٧)، وفي آليتها قال: " لِأَنَّكَ تَرْفَعُ ٱلْلِسَانَ إِلَيْهِ (يعني : ٱلحنك)؛ فَيَصِيرُ ٱلْحَنَكُ كَٱلطَّبَقِ عَلَى ٱلْلِسَانِ " (٨)، وقد ٱعتقد ٱبنُ ٱلْحاجب أنّها

---

(١) ش ش ٢٨١/٣ (٢) ش ش ٣/ ٢٧٠.

(٣) ش ش ٢٨٢/٣.

(٤) ش ش ٢٥٣/٣.

(٥) ش ش ٢٧٩/٣.

(٦) في الكتاب :٤/ ٤٧٠، ٤٦٦، ٤٣٢، ٤٥٧، المقتضب :١/ ٢١١،الرّعاية : ١٣٤، (يقتصر بها على ٱلضّاد)

(٧) ش ش ٢٨٦/٣.

(٨) ش ش ٢٦٢/٣.

من جملة مخرج هذه ٱلأصوات،إذْ قال : " ٱلْمُطْبَقَةُ مَا يَنْطَبِقُ عَلَى مَخْرَجِهِ ٱلْحَنَكُ "(١) فردّ عليه ٱلرّضيّ بعدم ٱطراد ذلك ؛ " لِأَنَّ مَخْرَجَ ٱلضَّادِ حَافَّةُ ٱللِّسَانِ،وَحَافَّةُ ٱللِّسَانِ تَنْطَبِقُ عَلَى ٱلأضْرَاسِ ... وَبَاقِي ٱللِّسَانِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ ٱلْحَنَكُ "(٢) ، فهو عند ٱلرّضيّ تهيئة أُخرى زيادة على ٱلتّهيئة تلحق هذه ٱلأصوات(٣) .

ٱلصَّفِيرُ : وهي فضيلةُ أصوات (س / ص / ز)،ويبدو أنّ وضوح هذه ٱلصّفة كان وراء إهمال الرّضيّ لها في كلامه على ٱلصّفات . قال الرّضيّ في هذه ٱلأصوات : " لَمْ تُدْغَمْ حُرُوفُ ٱلصَّفِيرِ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ صَفِيرٌ إلَّا فِي بَابِ ٱفْتَعَلَ كَٱسَّمَّعَ وَٱزَّانَ "(٤) ،مع أنّ قياس ٱلإدغام عكس هذا ؛ وذلك لِئَلّا تذهب فضيلة ٱلصَّفير(٥)(٦) .

ٱلغُنَّةُ : فضيلة (م/ن) ،قال ٱلرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ ٱلْمِيمِ ٱلْغُنَّةُ "(٧) ،وفي جواز إدغام ٱلنّون في ٱللام وٱلرّاء : " فَٱغْتُفِرَ ذَهَابُ ٱلْغُنَّةِ مَعَ كَوْنِهَا فَضِيلَةً لِلنُّونِ ؛ لِلْقُرْبِ فِي ٱلْمَخْرَجِ وَٱلصِّفَةِ "(٨) ، وسبب ٱلغنّة " أَنَّ ٱلصَّوْتَ لَا يَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَمِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ لَهُمَا مَخْرَجَانِ فِي ٱلْفَمِ،وَفِي ٱلْخَيْشُومِ جَرَى بِهِ ٱلصَّوْتُ مِنْ

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٨،وقد ورد كلام ٱبن الحاجب خطأً في (ش ش ٣ / ٢٦٢) إذ جاء على ٱلشّكل الآتي : " ٱلْمُطْبَقَةُ مَا يَنْطَبِقُ مَعَهُ ٱلْحَنَكُ عَلَى ٱللِّسَانِ " ، وينظر (الشّافية: ٢٥٢)

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٨ .

(٣) ٱستعمله الخليل للميم،العين: ١ / ٥٨،والتّهذيب: ١ / ٤٩ ، والكتاب ٤ / ٤٣٦ (لهذه الاصوات) ، المقتضب: ١ / ١٩٤،وكتاب الحروف: ١٣٤ ، ١٤٠ ، وإعجاز ٱلقُرآن : ٤٥ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٧٠ . (٥) ش ش ٣ / ٢٨٦ .

(٦) في الكتاب: ٤ / ٤٦٤ ، المقتضب: ١ / ١٩٣ ، ٢٢٥ ، الرعاية : ١٢٤ .
كشف الشكل: ٢ / ٢٨٣ ، يقول د . غانم قدوري : " ولم يذكر سيبويه هذه الصّفة " الدّراسات الصّوتيّة : ٣١٤ . (يبدو أنّه لم يقف عليها) .

(٧) ش ش ٣ / ٢٧٠ .

(٨) ش ش ٣ / ٢٧٣ .

مِنَ ٱلْأَنْفِ دُونَ ٱلْفَمِ ، لِأَنَّكَ لَوْ أَمْسَكْتَ أَنْفَكَ لَمْ يَجْرِ ٱلصَّوْتُ بِهِمَا " (١) ،وقد يقتصر نطقُ ٱلنّون على ٱلْخيشوم فقطْ،فتسمّى عندئذٍ:ٱلنّون ٱلْخفيّة (٢) (٣) .

ٱللِّيــنُ : قال الرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ ٱللِّينُ " (٤) ، وَجاز إدغامهما مجتمعتين " لِأَنَّ فَضِيلَةَ ٱللِّينِ ٱلَّتي فِي أَحَدِهِما لَاتَذْهَبُ بِإِدْغَامِهِ فِي ٱلْآخَرِ، إِذْ ٱلْمُدْغَمُ فِيهِ مُتَّصِفٌ بِٱللِّينِ " (٥) ،وهذه ٱلصّفة تنتج بمرور ٱلْهواءِ عند نطقها حراً مع بعض ٱلْإعاقة ٱلّتي تميّزُ الواو والياء عند قلّة المدّ عن الواو والياء المدّيّة،ولكنَّ ٱلرّضيّ يطلقُ ٱللِّينَ على ٱلْأصوات ٱلْمدّيّة أيضاً ، وذلك في مواضع أبرزها في ٱلتقاءِ ٱلسّاكنين، ومع هذا ٱلْاختلاط فإنّه على وعيٍ تامٍّ لِلطّبيعة ٱلصّوتيّة لكلا ٱلْقسمين،وهو عندما يعني المدّيّة يذكرُ أنَّ حركةَ ماقبلها من جنسها ،وعند ما يعني شبه ٱلْمدّيّة (قلّة ٱلْمدّ) يذكر أنَّ حركةَ ماقبلها من غير جنسها ؛وكلّ هذا مع الواو والياء أمّا مع ٱلْألِفِ فلاحاجة لِأنّه مدٌّ فقطْ،ويجب أنْ تسبقَه ٱلْفتحة دائماً ، بحسب اعتقاده (٦) (٧) .

ب ـ ٱلصّفاتُ ٱلْمفردَةُ :

ٱلتَّأْفِيفُ : قالَ الرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ ٱلْفَاءِ ٱلتَّأْفِيفُ ،وَهُوَ صَوْتٌ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْفَمِ مَعَ ٱلنُّطْقِ بِٱلْفَاءِ " (٨) ،يبدو أنّه ذلكَ ٱلْانطباعُ ٱلسّمعيّ ٱلنّاتج مِن ٱستمرار خروج ٱلْهواءِ،لِأنّ الفاءَ رخوةٌ (احتكاكيّة) (٩) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦١ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ و ٢٧٢ .

(٣) في الكتاب : ٤/ ٤٣٥ ، الجمهرة : ١/ ٤٥،المقرب : ٣٦٩ ، الكشف : ١/ ١٦٤ لطائف الاشارات : ١/ ١٩٥ ،وقد وصف الحيدرة اليمنيّ بها صوتيْ (الواو والياء) كشف المشكل : ٢/ ٢٨٣ .

(٤) (٥) ش ش ٣/ ٢٧٠ وينظر : ٢٧١ .

(٧) في العين ١/ ٥٧ والتهذيب ١/ ٤٨ والكتاب : ٤/ ٤٣٥ ،التبصرة : ٢٥٧، كتاب الحروف : ١٤٠ ،التعريفات : ٥٢ .

(٦) ينظر : ش ش ١/ ١٢٣ .

(٨) ش ش ٣/ ٢٧٠ .

(٩) لم يذكره سيبويه ،يبدو أنّه قد اقتبسه عن أهل التّجويد،ينظر : الدّراسات الصّوتيّة : ٣١٩ .

ٱلتَّفَشِّي وَٱلرَّخَاوَةُ : وهي عنده هكذا مركّبة ، فضيلةٌ لِلشّين،حيثُ قالَ : "وَفَضِيلَةُ ٱلشِّينِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلرَّخَاوَةُ "(١) ، يبدو أنّها تعبّر عن ذلك ٱلصّوت ٱلْمميّز عند ٱلنّطق بٱلشّين ٱلنّاتج عن ٱنتشار ٱلصّوت في ٱلْمنطقة مابعد ٱلْمخرج (٢)، إذ لم يقدّم لنا الرّضيّ إيضاحاً لهذه ٱلْفضيلة عنده ما أشار إلى ٱتّصاف أكثر خصوت بها حين قالَ (في إدغام أبي عمرو ٱلشّين في ٱلسّين) : "لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي،وَٱلصَّوْتِ "(٣) ، ولكنّني أميل إلى أنّه قد أشار بها إلى صفة ٱلرّخاوة،وبٱلصّوت إلى صوت ٱلصّفير خاصة، أوعموم ٱستمرار ٱلتّصويت ٱلّذي تتميّز بها الرّخوة،ولم يستعملها مَن سبقه مركّبةً بل ٱكتفوا بالتفشي (٤) .

ٱلتَّكْرِيرُ : قالَ الرّضيّ : "وَفَضِيلَةُ ٱلرّاءِ ٱلتَّكْرِيرُ "(١) ويبدو أنّ هذه ٱلْفضيلة تنتج عن تكرار ٱلْوضع ٱلْمخرجيّ عند ٱلنّطق ٱلّذي أدركه الرّضيّ،فقال : "وَسُمِّيَ ٱلرَّاءُ مُكَرَّراً،لِأَنَّ طَرَفَ ٱللِّسَانِ إِذَا تُكُلِّمَ بِهِ كَأَنَّهُ يَتَعَثَّرُ : أَيْ يَقُومُ فَيَعْثُرُ ، لِلتَّكْرِيرِ ٱلَّذِي فِيهِ "(٥)، وفي موضوع ٱلإمالة يجعلُ حركةَ ٱلرّاء كحركتين فمعه تُمال الكسرة، على ٱلرّغم من وجود مانع ٱلإمالة (ٱلْحرف ٱلْمستعلي)(٦) وٱعتقاده بكونها حركتين يفيد أنّ تكرر ٱلْوضع ٱلْمخرجيّ يحدث مرتين،ولهذا "فَإِذَا تَكَرَّرَجَرَى ٱلصَّوْتُ مَعَهُ أَثْنَاءَ ٱلتَّكَرُّرِ "(٧) (٨) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٧٠ .

(٢) عرف د . عبد ٱلصّبور شاهين ٱلتّفشي بـ " أنْ يشغل أثناء ٱلنّطق بٱلصّوت مساحة أكبر مابين ٱلْغار وٱللّثة ،ولَولا ٱلتّفشي،لصارت ٱلشّين سيناً " عن علم ٱلأصوات: لمالمبرج ؛ ١١٠ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٧٨ .

(٤) في الكتاب:٤/ ٤٤٨ ، المقتضب:١/ ٢١١وهي الاستطالة وٱلرّعاية : ١٢٤ ، ١٧٥ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٤ .

(٦) ش ش ٣/ ٢٠ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٦١ .

(٨) الكتاب:٤/ ٤٣٥ ، سر الصناعة:١/ ٧٢ ،ٱرتشاف ٱلضّرب : ١/ ١١ ، النشر:١/ ٢٠٤ .

٢ـ الصّفات الصّوتيّة غير الفضيلة :

آ ـ صفات المجموعات :

الاستعلاء : يجمع حروف (قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ) ، ويقابل هذا المصطلح المنخفضة ، قال الرضيّ : "أقول: يَعْنِي حُرُوفَ الاستعلاءِ وهي ما يَرْتَفِعُ بها اللِّسانُ" (١) وقال أيضاً : " مَا يَرْتَفِعُ بِسَبَبِهَا اللِّسانُ ، وهي المُطْبَقةُ والخَاءُ والغَيْنُ والقافُ ، لِأَنَّهُ يَرْتَفِعُ اللِّسانُ بِهٰذِهِ الثَّلاثَةِ أيضاً ، لٰكِنْ لا إلى حَدِّ انْطِبَاقِ الحَنَكِ عَلَيْهَا" (٢) ، حيث يبدو الرضيّ على وعي بمرتبتين من رفع اللسان : الأولى في الإطباق ، والثانية دونه ، ورفع اللسان في الثانية يعدّ من صميم هيئتها المخرجيّة ، أمّا في المطبقة ، فمع نقطة المخرج هناك منطقة احتكاك مع ظهر اللسان ، وعلى هذا فبالإمكان أن توصف المستعلية بأحاديّة المخرج ، أمّا المطبقة ، فتوصف بمزدوجة المخرج (٣) (٤) .

الإطلاق : قال الرضيّ (في الوقف بالتّضعيف) : " لٰكِنَّهُم جَوَّزُوا فِي القَوافِي خاصّةً بَعْدَ الحَرْفِ السّاكِنِ أنْ يُحَرِّكَ المُضَعَّفُ لِقَصْدِ الإتْيانِ بِحَرْفِ الإطْلاقِ ، لِأنَّ الشِّعْرَ مَوْضِعُ التَّرَنُّمِ والغِناءِ وتَرْجِيعِ الصَّوْتِ ، ولاسِيَّمَا فِي أواخِرِ الأبْياتِ ، وحُروفُ الإطْلاقِ : أي الألِفُ والواوُ ، والياءُ هيَ المتعيّنةُ بين الحُروفِ لِلتّرديدِ ، والتّرجيعِ الصّالحةُ لها ، فمِن ثَمَّ تلحق في الشِّعرِ لِقَصْدِ الإطْلاقِ كَلِماتٍ لا تَلْحَقُهَا فِي غَيْرِ الشِّعْرِ" (٥) وقال أيضاً : " فلمّا جاز لهم في الشّعر أنْ يحرّكوا لأجل المجيءِ بحَرْفِ الإطلاقِ ... " (٦) ، ويلحظ هٰهنا أنّ الرضيّ قد ربط استعمال المصطلح بمواضع الشّعر فقط ، ودلالة المصطلح واضحة إذ هي تشير إلى ما تتمتّع به هذه الأصوات من إمكانية الامتداد الصّوتيّ عند التّصويت . (٧)

الانحراف : صفةُ اللام والضّاد ، قال الرضيّ : " وإنَّمَا سُمِّيَ اللّامُ مُنْحَرِفاً ، لِأنَّ اللِّسانَ يَنْحَرِفُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ " (٨) ، وقال في هيئته : ... بَلْ انْحَرَفَ طَرَفُ اللِّسانِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ خَرَجَ الصَّوْتُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ مِنْ مُسْتَدَقِّ اللِّسانِ فُوَيْقَ مَخْرَجِهِ" (٩) ، فالرضيّ يسند الانحراف إلى اللسان ، الّذي ينبغي أنْ يُسْنَدَ إلى النَّفَسِ أو الصّوتِ ، وإنْ كان هذا لم يمنعه من إدراك حقيقة الأمر الّذي يعززه بقوله : " ولَيْسَ يَخْرُجُ الصَّوْتُ مِنْ ذٰلِكَ المَخْرَجِ بلْ يَتَجافَى ناحيتها (خطأ : ناحيتيْ) مُسْتَدَقِّ اللِّسانِ ، ولا تَعْتَرِضَانِ الصَّوْتَ ، بَلْ تُخَلِّيانِ طَرِيقَهُ ، ويَخْرُجُ الصَّوْتُ مِنْ تَيْنِكَ النَّاحِيَتَيْنِ " (١٠) ، أمّا الضّاد ، فقد قال الرضيّ : " ومِثْلُهُ الطَّجَعَ بإبْدالِ اللّامِ مَكانَ الضّادِ لِمُشابَهَتِهَا لَهَا بالانْحِرافِ" (١١) (١٢) .

---

(١) ش ش ٣ / ١٤ . (٢) ش ش ٣ / ٢٦٢ .

(٣) ينظر : الحقائق التاريخية وأثرها في النظم اللغوية الوصفية : ١٢٠ .

(٤) في التهذيب : ١ / ٥١ (عن الخليل) ، الكتاب ٤ / ١٢٨ ـ ١٢٩ ، كشف المشكل : ٢ / ٢٨٣ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، المقرب : ٣٥٩ .

(٥) ش ش ٢ / ٣١٦ . (٦) ش ش ٢ / ٣١٧ ، وينظر أيضا للمصطلح : ٢ / ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ .

(٧) في : منازل الحروف : ٢٨ ، شرح الحدود : ١٣٩ .

(٨) ش ش ٣ / ٢٦٣ (٩) ش ش ٣ / ٢٦١ . (١٠) ش ش ٣ / ٢٦٠ (١١) ش ش ٣ / ٢٩٤

(١٢) في : العين : ١ / ٥٢ ، الكتاب : ٤ / ٤٣٥ ، المقتضب : ١ / ٢١٣ ، الرعاية : ١٣١ ، التحديد : ٩٢ الموضح : ٩٢ .

ٱلتَّفْخِيـــمُ : وصف به لام ٱلتَّفخيم وألف ٱلتَّفخيم عند أهل ٱلحجاز، وهما من ٱلْمتفرعات ٱلْمستحسنة، ويبدو لي أنّ لهما قيمتين: الاولى مع ٱللّام حيثُ تقتربُ من قيمة ٱلإطبـــاق ؛ إذ قال ٱلرّضيّ : " وَيَعْنِي بِهَا ٱللّامَ ٱلَّتِي تَلِي ٱلصَّادَ أَوِ ٱلضَّادَ أَوِ ٱلطَّاءَ ، إِذَا كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفُ مَفْتُوحَةً أَوْ سَاكِنَةً ، كَٱلصَّلٰوةِ وَيَصْلَوْنَ ؛ فَإِنّ بعضهم يفخّمهـــا وَكَذَا لَام (ٱللّٰهِ) ؛ إِذَا كَانَ قَبْلَهَا ضَمَّةٌ أَوْ فَتْحَةٌ " (١) ، والثّانية : قيمةٌ صائتيّةٌ، وهـي في ألف التّفخيم التّي يقولُ عَنها ٱلرّضيّ : " وَهِيَ ٱلْأَلِفُ ٱلَّتِي يُنْحَى بِهَا نَحْـــوَ ٱلْوَاوِ كَالصَّلٰوةِ وَٱلزَّكٰوةِ وَٱلْحَيٰوةِ ، وَهِيَ لُغَةُ ٱلْحِجَازِ ، وَزَعَمُوا أَنّ كَتْبَهُمْ لِهٰذِهِ ٱلْكَلِمَاتِ بِٱلْوَاوِ عَلَى هٰذِهِ ٱللُّغَةِ " (٢) ، فٱلألف هنا يُنطَق بأرتفاع مؤخرة ٱللِسان قليــــلاً مع تدويرِ ٱلشّفاه ؛ فيدخل على ٱلقيمة ٱلأولى ٱلّتي سببها ٱرتفاع اللسان تدويــــرُ ٱلشّفتيْنِ، وٱلرّضيّ لم يتعدَّ في ذكره لِلتَّفخيم غير هذ يْنِ ٱلْمتفرعين (٣) .

تُرقَّـــــقُ : مقابل ٱلتّفخيم، قالَ ٱلرّضيّ : " ... وَأَيْضاً فِيما فَعَلُوا حُصُـــولَ ٱلتَّفْخيم فِي لام ٱللّهِ إِذْ هِيَ تُفَخَّمُ بَعْدَ ٱلْفَتْحِ وَٱلضَّمِّ، وتُرَقَّقُ بَعْدَ ٱلْكَسْرِ " (٤) ، ويبـــدو أنّها مقابلةُ ٱلتّفخيم ٱلسّلبيّة، وهي أيضاً تعبير عَنِ ٱلْحالة ٱلاعتياديّة لنطق ٱلـــلام . ولَم يتجاوزْ ٱلرّضيّ هذا ٱلموضعَ في ذكره لهذا ٱلْمصطلح (٥) .

ٱلْجَهْرُ (وَٱلْهَمْسُ) : قال ٱلرّضيّ : " وَٱلْجَهْرُ : رَفْعُ ٱلصَّوْتِ ، وَٱلْهَمْسُ : إِخْفَاؤُهُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَجْهُوراً ؛ لِأَنَّكَ تُشْبِعُ ٱلْاعْتِمَادَ فِي مَوْضِعِهِ ، فَمِنْ إِشْبَاعِ ٱلْإِعْتِمَادِ يَحْصُـــلُ ٱرْتِفَاعُ ٱلصَّوْتِ، وَمِنْ ضُعْفِ ٱلْإِعْتِمَادِ يَحْصُلُ ٱلْهَمْسُ وَٱلْإِخْفَاءُ " (٦) ، وقال أيضاً : " وَٱلْجَهْرُ : رَفْعُ ٱلصَّوْتِ بِٱلْحَرْفِ : سَوَاءٌ جَرَى ٱلصَّوْتُ ، أَوْ لَمْ يَجْرِ ، وَعَلَامَتُهُ عَــــدَمُ جَرْيِ ٱلنَّفَسِ " (٧) ؛ فالرّضيّ يستفيد من ٱلدّلالة ٱللّغوية في إطلاق ٱلدّلالـــــة ٱلاصطلاحيّة لِلْجهر وٱلْهمس، وقد ٱستعمل ٱلدّلالة ٱللّغوية لِلْمصطلحيْنِ حيثُ قـــال

---

(١) ش ش ٣ / ٢٢٥ ، وينظر ش ش ٢ / ٢٣٦ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٣) في: الكتاب : ٤٣٢/٤ ، المقتضب: ١٩٤/١ (التَّفَخُّمُ) ، سر الصناعــــة : ٥١/١ ، مفتاح العلوم : ١٧٤ .

(٤) ش ش ٢ / ٢٣٦ (جاء ذكره لها ٱستطراداً ليس غير)

(٥) عند أهل القراءات والتّجويد ، التّبصرة : ٤٤ ، الموضح : ١٠٦ ، ١١٠ ، منهاج التوفيق : ٣٣٩ .

(٦) ش ش ٣ / ٢٥٨ .   (٧) ش ش ٣ / ٢٦٠ .

عند ٱلٱبتداء بٱلسّاكن : " أَنَّكَ تَتَوَصَّلُ إِلَى ٱلنُّطْقِ بِذٰلِكَ ٱلسَّاكِنِ بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ فِي غَايَةِ ٱلْخَفَاءِ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ حَدِيثِ ٱلنَّفْسِ ؛ فَلَا يُدْرِكُهَا ٱلسَّامِعُ ، ثُمَّ تَجْهَرُ بِٱلْحَرْفِ ٱلسَّاكِنِ فِي أَوَّلِ ٱلْكَلِمَةِ " (١) ، وقال في ٱلْهمس عند تعليله لإبدال ٱلتّاء من ٱلْواو : " لِكَوْنِ ٱلتَّاءِ مِنْ أُصُولِ ٱلثَّنَايَا ، وَٱلْوَاوُ مِنَ ٱلشَّفَتَيْنِ ، وَيَجْمَعُهُمَا ٱلْهَمْسُ (٢) لمافيها من ٱللين ؛ لأنّه يقرر أنّها مجهورة في غير مرّة ، فيذكر ٱلْهمس مستفيداً من دلالته ٱللغويّة ، وٱلرّضيّ يبيّن أنّ إشباع ٱلٱعتماد هو سببُ ٱلْجهر (رفع ٱلصّوت) ، وعدمه يعني حصولَ ٱلْهمس (ضعف الصّوت وٱلإخفاء) ؛ فإشباع ٱلٱعتماد يمنع ٱلنّفَسَ من ٱلْجريان إلى أنّ يتمّ ٱلنّطقُ ثُمّ يجري ٱلنّفَسُ ؛ لزواله (وقد توصّلتُ إلى أنّ إشباع ٱلٱعتماد عند ٱلرّضيّ يعني : طول ٱلْفترة ٱلزّمنيّة لِلضّغط من قِبَل ٱلْعضو ٱلْمتحرك دونَ أنْ يعني ذلك غلق ٱلْمجرىٰ ٱلْهوائي بٱلْتقاء العضوين ، وهي حال ٱلْمجهورة ، وضدّها ٱلْمهموسة) . وينقلُ ٱلرّضيّ محاولةً أُخرى لفهم سبب ٱلْجهر والهمس حيث قال : " قِيلَ : وَٱلْمَجْهُورَةُ تَخْرُجُ أَصْوَاتُهَا مِنَ ٱلصَّدْرِ ، وَٱلْمَهْمُوسَةُ تَخْرُجُ أَصْوَاتُهَا مِنْ مَخَارِجِهَا فِي ٱلْفَمِ ؛ وَذٰلِكَ مِمَّا يُرَخِّي ٱلصَّوْتَ ، فَيَخْرُجُ ٱلصَّوْتُ مِنَ ٱلْفَمِ ضَعِيفاً ، ثُمَّ إِنْ أَرَدْتَ ٱلْجَهْرَ بِهَا ، وَإِسْمَاعَهَا ، أَتْبَعْتَ صَوْتَهَا بِصَوْتٍ مِنَ ٱلصَّدْرِ ؛ لِيُفْهَمَ " (٣) ، فكأنّ من قال هذا (وهو على مايبدو سيبويه بحسب رواية ٱلسّيرافيّ (٤)) يدرك أنّ هناك منطقتيْنِ لإنتاج ٱلْأصوات : ٱلأولى في ٱلصّدر ، وٱلثّانية في ٱلْمخارج ٱلْمعروفة ، ويقتصر في ٱلْمهموسة على ٱلصّوت ٱلنّاتج من ٱلْمخارج ، أمّا مع ٱلْمجهورة ، فيُتْبَعُ هذا الصّوت صوتٌ آخرُ ناتج منَ ٱلصّدر ، وبهذا فإنّ صوتَ ٱلصّدر أساسٌ في إنتاج ٱلْجهر ؛ وهذا التّصوّر غيرُ بعيد عن إدراك ٱلآليّة ٱلْجهريّة ٱلْخاصة بتذبذب ٱلأحبال ٱلصّوتيّة ؛ لأنّ ٱلصّدر عندهم تعبيرٌ عمّا تحت الحلق ، ولا يبعُدُ إدراكُه لصوت ٱلذّبذبة .

---

(١) ش ش ٢ / ٢١١ .

(٢) ش ش ٣ / ٨٠ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٤) ينظر : ٱلْعربيّة ٱلْفصحى : ١٩٨ ، مذكرة رقم ٣ (نصّ ينقله هنري فليش عن مخطوطة شرح الكتاب للسّيرافي) .

كذلك تشير ٱلْقولة ٱلسّابقة إلى إيجابيّة ٱلْجَهر، وهو فضلة على ٱلْهمس تُزاد، فيُدرَك لزيادتها صوتٌ آخرُ هو ٱلْمجهور . وتلك ملاحظة وقف عندها ٱلرّضيّ في مستهلّ كلامه على ٱلْمجهور وٱلْمهموس؛ قال : " أَقُولُ : إِنَّمَا سُمِّيَتِ ٱلْحُرُوفُ ٱلْمَذْكُورَةُ مَجْهُورَةً؛ لِأَنَّهُ لَابُدَّ فِي بَيَانِهَا وَإِخْرَاجِهَا مِنْ جَهْرِمَا ، وَلَا يَتَهَيَّأُ ٱلنُّطقُ بِهَا إِلَّا كَذَٰلِكَ ، كَٱلْقَافِ وَٱلْعَيْنِ بِخِلَافِ ٱلْمَهْمُوسِ ، فَإِنَّهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ أَنْ تَنْطِقَ بِهِ، وَيُسْمَعُ مِنْكَ خَفِيًّا كَمَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَجْهَرَ بِهِ " (١)، فهو يفهم أنّ ٱلْمهموس يمكن أن يُجْهَر به بخلاف المجهور، فلا يُهْمَسُ؛ لِأنّه بذلك يفقد تمايزه عن مقابله، ويبدو أنّ هذا يعزّز مافهمناه من اصطلاحه بٱلْجهر على رفع ٱلصّوت، وبالهمس على خفض ٱلصّوت . (٢)

(ولي وقفة مع هاتين الصّفتين في الفصل القادم إنْ شاء الله).

<u>الخفــــاء :</u> يصفُ ٱلرّضيّ بهذه ٱلصّفة أصوات ٱلْمدّ وٱلْهمزة وٱلْهاء وٱلنّون، وتكون أيضاً صفةً عارضةً في جميع ٱلْأصوات عند الوقف، لِأنّه موضع ٱلْاستراحة (٣)؛ قال : " وَبِٱلْوَقْفِ يَصِيرُ ٱلْحَرْفُ ٱلْمَوْقُوفُ عَلَيْهِ أَخْفَىٰ مِمَّا كَانَ فِي ٱلْوَصْلِ ، وَذَٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْحَرْفَ، أَوِ ٱلْحَرَكَةَ تُبَيِّنُ جَرْسَهُ " (٤)، ويبدو أنّ ٱلْمعنى ٱلْمتبادر إلى ٱلذّهن من هذا ٱلْمصطلح يعني مايُطْلِق عليه ٱلْمحدثون بدرجة إسماع واطئة، وفي كلامه مايؤكّد هذا ٱلْمعنى، وذلك حين وصف همزة ٱلْوصل قائلاً : "... بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ فِي غَايَةِ ٱلْخَفَاءِ ، حَتَّىٰ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ حَدِيثِ ٱلنَّفْسِ، فَلَا يُدْرِكُهَا ٱلسَّمْعُ " وهو المعنى الجامع، غيرأنّ هناك اعتبارات أخرى وقفتُ عليها تجعلني أقدمها على هذا النحو :

١ ـ ماكان ٱلْخفاء فيه صفةً ذاتيّةً محضة، وذلك مع ٱلْهاء وٱلْهمزة؛ قال الرّضيّ : " لِأَنَّ ٱلْهَاءَ خَفِيَّةٌ " (٥) وقد كثُرتْ إشارته إلى ذلك (٦)، وهي صفة تعبّر عن ذلك ٱلصّامت ٱلضّعيف ٱلّذي أشبهُ مايكون بصوت النّفس ٱلْخارج من ٱلْفم . امّا ٱلْهمزة فهي صوت ٱنفجاريّ (شديد، بحسب اصطلاح ٱلرّضيّ)، فهي من مجموعة ٱلْأصوات ٱلّتي تتميّز بأنّها ذات درجة إسماع واطئة (٧)، ويقتصر كيانها على ذلك ٱلْانفجار

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٨ .

(٢) في الكتاب : ٤ / ٤٣٤ ، المقتضب : ١ / ١٩٤ ، أبو ٱلْحسن بن كيسان : ٢١٨ " مَا لَزِمَ مَوْضِعَهُ إِلَى ٱنْقِضَاءِ حُرُوفِهِ، وَحَبَسَ ٱلنَّفَسَ أَنْ يَجْرِيَ مَعَهُ، فَصَارَ مَجْهُوراً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخَالِطْهُ شَيْءٌ يُغَيِّرُهُ " .

(٣) ش ش ٢ / ٢٨٩ .

(٤) ش ش ٢ / ٣١١ .

(٥) ش ش ٢ / ٢٤٥ .

(٦) ينظر ش ش ٢ / ٢٤٦ ، ش ك ٢ / ٤٠٨ ، ٢ / ٤١٠ .

(٧) دراسة الصّوت : ٢٤٤ .

الهوائي عند فتح الأحبال الصوتيّة بسرعة،ويلحقها مع هٰذه الطّبيعة الصّوتيّة إعتبارٌ آخرٌ يبدو أنّ الرضي يُدخِلُه في حِسابه،وهو كونُ الهمزة أقصى الأصوات مخرجاً قال الرَّضيّ : " إعلمْ أنّ الهَمْزَةَ هِيَ أَبْعَدُ الحُرُوفِ،وأَخْفَاها ، لِأَنَّها مِنْ أَقْصَى الحَلْقِ فَإِذا وَقَفُوا عَلَيْها ـ وَبِالوَقْفِ يَصِيرُ الحَرْفُ المَوْقُوفُ عَلَيْهِ أَخْفَى مِمَّاكانَ فِي الوَصْلِ ... " (١)

٢ـ ماكان الخفاءُ فيه قياساً إلى غيره ،وذلكَ في الخفاءِ الذي وُصِفَتْ به النّونُ فاصطُلِحَ عليها من لَدُنِ سيبويه بالخفيّة أوْ الخفيفة ،(٢) قال الرَّضيُّ : " ... أَخْفَى النّونَ بِقِلَّةِ الاعْتِمادِ،وَذٰلِكَ بِأَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَحَدِ مَخْرَجَيْهِ ... فَيَقْتَصِرُ عَلَى مَخْرَجِ الخَيْشُومِ فَيَحْصُلُ النُّونُ الخَفِيَّةُ " (٣)، وقد نَقَلَ عن السّيرافيّ في الحُروفِ المتفرّعة نحواً مِنْ هٰذا،فهي إذَنْ فَرْعٌ عن النّونِ الأَصْلِيَّةِ الّتي مع حروفِ الحلق المُعْتَمَدِ فيها على مَخْرَجين : أحدُهما في الفَمِ،والآخَرُ في الخيشوم (٤).

٣ـ ماكانَ الخَفاءُ فيه تَعْبيراً عن اللّينِ بخروجِ الهَواءِ حرّاً دُونَ إعاقةٍ مع قلّةِ مايُبْذَلُ من جهدٍ عِنْدَ إنتاجها مقابلاً تلك الإعاقة ،وبذل الجهد في غلقِ المَجرى ،أوْ تضييقه في الصّوامت،وقَدْ أشارَ الرَّضيُّ إلىٰ ذٰلكَ بقَوْله : " فأَوْسَعُهُنَّ مَخْرَجاً الأَلِفُ ،ثُمَّ اليَاءُ ، ثُمَّ الواوُ ،وهٰذِهِ الحُروفُ أَخْفَى الحُروفِ لاتّساعِ مَخارِجِها ،وأَخْفاهُنَّ الأَلِفُ ،لِأَنَّ سِعَةَ مَخْرَجِها أَكْثَرُ " (٥) ، وَبَيّنٌ وواضحاً كيفَ يربطُ الرّضيُّ بين خَفائها وسِعَةِ مَخْرَجها .

أَقولُ:إِنَّ الّذي دَعاني لِماتقدَّمَ في فَهْمِ الخفاءِ وجَعْلِهِ فَهْمَ الرّضيّ لهذا المصطلح أيضاً ،أنّه يذكرُ هنا أصواتاً تتميّزُ بامتلاكها لِأَعلى درجاتِ الإسماع،والوضوح السمعي،وهي أصواتُ المَدِّ،والنُّونِ (٦) (٧).

---

(١) ش ش ٢/ ٣١١

(٢) ينظر : الكتاب ٤/ ٤٣٢ ، ش ش ٣/ ٢٥٤ـ ٢٥٤ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٧٢

(٤) ش ش ٣/ ٢٧١

(٥) ش ش ٣/ ٢٦١

(٦) ينظر : دراسة الصوت ٢٤٤ـ ٢٤٥ .

(٧) في الكتاب : ٢/ ٤٢١ و ٢٦٢ ، ٤/ ١٦٥ و ١٦١ ،الرعاية :

المُوضح : ٩٧ .

الذَّلاقَـــةُ : وهي صفةُ حروف (مُرْ بِنَفَلٍ)،ومضادتُها الْمصمتــة ،قال الرَّضِيُّ : " الذَّلاقَةُ : الْفَصَــاحَةُ وَالْخِفَّةُ فِي الْكَلامِ ،وَهٰذِهِ الْحُرُوفُ أَخَفُّ الْحُرُوفِ ، وَلَا يَنْفَــكُّ رُبَاعِيٌّ وَلَاخُمَاسِيٌّ مِنْ حَرْفٍ مِنْهَا ، إِلَّاشَاذّاً ... ؛ وذلك لِأَنَّ الرُّبَاعِيَّ وَالْخُمَاسِيَّ ثَقِيلَانِ ؛ فَلَمْ يُخْلَيَا مِنْ حَرْفٍ سَهْلٍ عَلَى اللِّسَانِ خَفِيفٍ " (١)، ويبدو أنَّ هــذه الصفة تعتمد على المرونةِ الْحَرَكيّة الّتي يَتَمتعُ بها طرفُ اللِّسانِ مع امتلاكِها لخصائصَ وظيفيةٍ واضحةٍ تشكِّلُ صفاتٍ متمايزةً في النِّظامِ الصَّوتي الْعَربي مِنْ نحوِ الْغُنة والتكريــر والْجانبية والتأفيف،وفي الباء لَمْ تَجعلْ العربيةُ لَها مقابِلاً مستعملاً،فتفرَّدَتْ بمَخرجِها ؛ وَلهذا كَثُرَ دورانُها في الأَبنيةِ (٢) .

الرَّخَــاوَةُ : صفةُ حروفٍ (ض / ظ /ذ /ز /س/ش/ص/ح /خ /غ/ث/ف)،وقـــد حدَّها الرَّضيّ،فقال : " لِأَنَّ الرَّخَاوَةَ : أَنْ يَجْرِيَ الصَّوْتُ بِالْحَرْفِ عِنْدَ إِسْكَانِهِ كَالنَّبْـرِ " (٣) ،ومضادتُها الشّدّة ،فالرَّخاوةُ اذن:ذلكَ الانطباعُ السّمعيّ النّاتجُ عن استمراريـــةِ خروجِ الهواءِ عندَ النُّطق بها،وقد أهملَ الإشارةَ إلى هيئتِها المخرجية،ولكنَّهُ علـــى ما يبدو مِنْ ادراكه لِلْهيئةِ المخرجيّة لِمابين الشّديدة والرّخوة،قد أَدركَ هيئةَ هــذه الأصواتِ إدراكاً تاماً (٤) .

الشِّــدَّةُ : صفةُ حروفٍ (أَجِدُكَ قَطَبْتَ)،مضادتُها الرّخاوة ،قال الرضي فيها : " مَاإِذَا أَسْكَنْتَهُ،وَنَطَقْتَ بِهِ لَمْ يَجْرِ الصَّوْتُ " (٣)،وهو هنا كذلك يَعتمِدُ الانطباعَ السّمعــيَّ عندَ إنتاجِها،وهويُدْرِك ماتتميزُ بِهِ من قُصْرٍ زمنيّ ، أَيْ : امتلاكِها صفةَ الآنيّـــةِ، فقد قال : " إِنَّ الشَّدِيدَةَ لَايَجْرِي الصَّوْتُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا ؛بَلْ إِنَّكَ تَسْمَعُ بِهِ فــي آنٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ " (٣). أمّا تهيئتُها،فمثلَ ماسبقَ في (الرّخاوة) ؛ وقال الرّضـــيّ :

---

(١) ش ش٣/٢٦٢ .

(٢) في العين:١/٥١ ، التهذيب:١/٤٤و ٤٦ ،الكتاب:٤/٤٣٥،سر الصناعة ؛ ١/٧٤ .

(٣) ش ش ٣/٢٦٠ .

(٤) في الكتاب ٤/٤٣٤،المقتضب ١/١٩٤ ،أسباب حدوث الحروف : ٦٠ (المركّبة) والفراءُ يستعمِلُ لها مصطلح الْمُصَوَّتِ، ينظر:(ما ذكره الكوفيون من الإدغـــام ٥٩ ، الموضح : ٧٧،جهود الكوفيين في علم الاصوات : ١٥١،من فكر الفــراء الصّوتيّ : ١٩٦).

"وَٱلْهَمْسُ وَٱلرَّخَاوَةُ أَسْهَلُ عَلَى ٱلنَّاطِقِ مِنَ ٱلشِّدَّةِ وَٱلْجَهْرِ " (١) (٢) .

شِبْهُ ٱلنَّفْخِ : صفةٌ تتصفُ بها أصوات: (ظ/ذ /ض /ز) في الوقف ، وهي:

ذلك الصوت الضعيف جدا المنتج عَن ٱستمرار خروج الْهواءِ ، قال الرضي : "وَبَعْضُ ٱلْحُرُوفِ إِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهَا خَرَجَ مِثْلُ ٱلنَّفْخَةِ وَلَمْ تَنْضَغِطْ ضَغْطَ ٱلْأَوَّلِ (يعني : القلقلة) ، وهي: الظاء والذال والضاد والزاي ؛ فَإِنَّ ٱلضَّادَ تَجِدُ ٱلْمَنْفَذَ بَيْنَ ٱلْأَضْرَاسِ ، وَٱلظَّاءَ وَٱلذَّالَ وَٱلزَّايَ مِنْ بَيْنِ ٱلثَّنَايَا " (٣) ، وجاءَ ٱستعمالُه للمصطلح عندما ذكر وجوهَ الوقف مرتبةً بحسب قوتها ووضوحها السَّمعي ، حيث قال : " وَبَعْضُ ٱلْحُرُوفِ لَا يَصْحَبُهَا فِي ٱلْوَقْفِ لَاصَوْتٌ كَمَا فِي ٱلْقَلْقَلَةِ ، وَلَا نَفْخٌ كَمَا فِي ٱلْمَهْمُوسَةِ ، وَلَا شِبْهُ نَفْخٍ كَمَا فِي ٱلْحُرُوفِ ٱلْأَرْبَعَةِ " (٤) ، وَٱلْحروفُ الأربعةُ هي هٰذِهِ ٱلْحُرُوفِ (٥) .

ٱلصَّحِيحُ : صفة جميع ٱلْأصوات خلا أصوات ٱللِّين أو ٱلْعلَّة (أي : ٱلْمَدِّيَّة ، وشبه ٱلْمَدِّيَّة) ، وهو على هذا مرادف لمصطلح ٱلصَّامت ، والمصطلح هذا أكثر تقابلاً مع ٱلْعلَّة (يُنظر: مصطلح العلة) فأصواتُه ثابتةٌ لا تتغيرُ ، وأبرزُ مواردِ ٱستعمالِه عند الرضي الذي يوضحُ هٰذه الدلالة في (موضوع التقاء الساكنين) عند ما يقابل به مصطلحات: اللين والعلّة والمدّ وقلّة المدّ ؛ قال الرضي : " إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْحَرْفَيْنِ ٱلسَّاكِنَيْنِ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفاً صَحِيحاً لَا يُمْكِنُ ٱلتقاؤُهُما ... نَحْوَ بَكْرٍ ، بِشْرٍ ، بِسْرٍ ... وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفَ لِينٍ (يُنظر: تكملةُ النّصِ في مصطلح العلّة) " (٦) (٧) .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٧٥ .

(٢) في الكتاب : ٤ / ٤٣٤ ، وعند الفراء (الاخرس) (ينظر حاشية مصطلح الرّخاوة الخاص بالصوت) في دقائق التّصريف : ٥٤٨ (مصطلح الصّلبة) ، وفي الكشف : ١ / ١٣٥ (التّشديد) .

(٣) ش ش ٣ / ٢٦٣ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٦٣ .

(٥) استعمل صاحب الكتاب : ٤ / ١٧٤ (نحو النفخ) ، الموضح : ٩٣ ، التحديد : ١١١ ، وينظر التمهيد : ١٠٥ .

(٦) ش ش ٢ / ٢١٠ – ٢١١ .

(٧) مصطلح الدّراسات اللغوية عامة العين : ١ / ٥٧ و ٥٨ ، والتهذيب : ١ / ٤٤ ، ٥٠ ، قال في الموضح : ٩١ : " وللحروف قسمة أخرى إلى ٱلصّحة وٱلإعتلال ، فجميع الحروف صحيح إلاّ ٱلألف وٱلياء وٱلواو " ، المقرب : ٣٧٦ .

العِلَّـــةُ : حروفُها (الألف والواوُ والياءُ) ، وسُمِّيَتْ حروفُ العِلَّةِ وحروفَ الإعلال "لأَنَّهَا تَتَغَيَّرُ، ولاتَبْقى عَلى حَالٍ كَالعَليلِ المُنْحَرِفِ المِزاجِ، المُتَغَيِّرِ حَالاً بحَــالٍ" (١) على ماقال الرَّضِيُّ، وقَالَ أَيضاً : " لأَنَّهَا لاتَسْلَمُ ولاتَصِحُّ : أَيْ لاتَبْقَى عَلى حَالٍ فِي كَثيـــرٍ مِنَ المَواضِعِ بَلْ تَتَغَيَّرُ بالقَلْبِ والإِسكانِ والحَذْفِ " (٢) ، وقد جاءت استعمالاتُ الرَّضِــي في موضوع الإعلال لتُحَدِّدَ حروفَه بالواو والياء غَيْرِ المَدِّيَتين إلاّ إنَّهُ مِنَ النَّاحيـــة النظريّة لهذا المَوضوع مع تَطبيقاتٍ أُخرى خارجَه يَعُـمُّ بالمُصطلح المدِّيَّة وغيـرَ المدّيّة، من ذلكَ ماذَكرَهُ في التقاء السَّاكنين، حيث قال : " وَأَمَّا إذا كَانَ أَوَّلُهُمَــا حَرْفَ لِينٍ، فَإنَّهُ يُمكِنُ التقاؤُهُما لكِنْ مَعَ ثِقَلٍ مَا ، وإنَّما أَمْكَنَ ذَلِكَ مَعَ حُرُوفِ العِلَّـــةِ لِأَنَّ هَذهِ الحُروفَ هِيَ الرَّوابِطُ بَيْنَ حُروفِ الكَلِمةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ؛ وَذلِكَ أَنَّكَ تَأْخُــذُ أَبْعَاضَهَا (أعني الحَرَكاتِ) فَتَنْظِمُ بِهَا بَيْنَ الحُروفِ، ولَوْلاهَا لَمْ تَتَّسِقْ ؛ فإذا كانَـتْ أَبْعَاضُها هِيَ الرَّوابِطُ ، وكَانَتْ إحْداهَا، وهِيَ ساكنةٌ قَبْلَ سَاكنٍ آخرَ مَدَدْتَها، ومكَّنتَ صَوْتَكَ مِنْها حَتَّى تَصيرَ ذاتَ أَجْزاءٍ ، فَتَتَوَصَّلُ بِجُزْئِهَا الأخيرِ إلى رَبْطِها بالسَّاكِـــنِ الَّذي بَعْدَهَا ولذَلِكَ وَجَبَ المَدُّ التَّامُ في أَوَّلِ مِثْلِ هذيْنِ السَّاكِنَيْنِ " (٣) ، ونَجِـدُ تكراراً لمصطلحاتٍ هَذهِ الحُروفِ في الصَّفحاتِ التّالية لهذا النَّصِّ (٤) .

القَلْقَلَــةُ : وهو مصطلح لِمَا يصحبُ حروفَ (قَدْ طُبِجَ) عِنْدَ الوقف ، وفـــي سبب التَّسمية، قال الرَّضيّ : " إنَّما سُمِّيَتْ حُروفَ القَلْقَلَةِ؛ لأَنَّها يَصْحَبُها ضَغْـــطُ اللِّسَانِ في مَخْرَجِها في الوَقْفِ مَعَ شِدَّةِ الصَّوتِ المُتَصَعِّدِ مِنَ الصَّدْرِ ، وَهَذا الضَّغْطُ التَّامُ يَمْنَعُ خُروجَ ذَلِكَ الصَّوْتِ ، فَإذا أَرَدْتَ بَيَانَها لِلمُخاطَبِ احْتَجْتَ إلى قَلْقَلَـةِ اللِّسَانِ، وتَحريكِهِ عَنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى يَخْرُجَ صَوْتُها، فَيُسْمَعُ " (٥) ، يبدو أنّ الرَّضِـــيَّ يُدرِكُ مِمّا تقدَّم أَنّ هذه الأصوات الشَّديدة (الانفجارية) يذهبُ الوقفُ بكيانهـــا ؛ لأَنَّهُ موضعُ الإسكان، واللِّسانُ مَعَها يَتَّخذُ وضعاً يمنعُ مرورَ الهواءِ منعاً تامـــاً إذَنْ

---

(١) ش ش ٣ / ٦٨ .
(٢) ش ش ١ / ٣٣
(٣) ش ش ٢ / ٢١١ وينظر: ١ / ١١٩ .
(٤) العين : ١ / ٥٥ ، ٩٦ ، ٥٥ التهذيب : ١ / ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٠ ، الكتاب : ٤ / ٣٦٠ ، (ربما كان يعني بها صفة للواو والياء غير المديتين) .
(٥) ش ش ٣ / ٢٦٣ .

فـ (شدّةُ الصّوتِ المتصعّدِ منَ الصّدر ، وهَذا الضغطُ التّام (يعني ضغطَ اللّسَان) يَمنعُ خروجَ ذلكَ الصّوتِ) مع حالة الوقف ، تشترك كلها في زيادةِ ضغطِ الهواءِ الخارجِ منْ الصّدر خلفَ نُقطةِ الاعتراض فيؤدي إلى إزالةِ الإعاقةِ بقوّةٍ فيخرجُ الهواءُ بشـــدّةٍ واضحةٍ محدِثاً صَوتاً آنياً ثمّ يتدخّلُ النّاطقُ للمحافظةِ على كيانِ هَذه الأصواتِ بإخراج صوتٍ بعدَها ؛ لأنّها أصواتٌ ذاتُ إسماع واطيٍ وصوتُ القلقلةِ أظهرُ من بقيـــّـــة الأصواتِ الّتي تصحبُ غيرَ هذه الحروف عند الوقف .(١) (٢)

القُـــوّة : صفةُ الْواوِ والياءِ (نصفيْ المدِّ) ويرمز لهما (W و Y)، وهي عند الرضي يُشار بها الى سلوكِ صَوْتَيْ العلّة هذين مسلكَ الأصوات (الصّامتـــة) وظيفيّاً (Phonological)، وذلك في حالةِ التّشديد، وعندما تَعْقبهُـــا حركةٌ ؛ قال الرّضيّ : " وإنْ كانَتْ الواوُ المضمُومةُ مُشدَّدةً كالتّقوالِ لَمْ تُقْلَبْ أيضـــاً همزةً ؛ لِقُوتِها بالتّشديد، صَيْرورتِها كالحرفِ الصّحيح "(٣) ؛ وقال : " الْواوُ والْيــَـــاءُ الْمُتَحرِّكتان قويّتان بالحركةِ لتحصُّنِهمَا بهَا "(٤) ، وأتبعَهُ بقَولِه : " ... لِمُشَابهتِهما لِلْحُروفِ الصَّحيحةِ بقِلّةِ الْمدِّ فيهُما "(٤) ، وهما لا يُعلّان ؛ إذْ يعتقدُ الرضـــي " إنّما لَمْ تقلبْ الْمُتَحرِّكةُ (يقصدُ الواو) الّتي لَيْسَتْ لاماً ياءً لِكَسْرةِ ماقبْلَهَا بالْحركةِ ؛ فَلا تَجْذِبُها حَرَكةُ ماقبْلَهَا إلَى نَاحِيتِها ، مع كونِها في غَيْرِ موضعِ التّغْيير ، وكَـــذا إذا كَانَتْ مُدغمةً نحوَ اجْلوّاذ ؛ لأنّها إذَنْ قويةٌ فصارتْ كالْحَرْفِ الصّحيح "(٥) . إذن فهذه الصفةُ صفةُ الثباتِ وعدمِ التغيير في السِّياقِ الصّوتيّ والواو أو الياء هنا صوت شبه صحيح .(٦)

---

(١) ينظر النص آخر مصطلح (شبه النفخ) .

(٢) في الكتاب: ٤/ ١٧٤ ، سر الصناعة: ١/ ٧٣ ، المقتضب: ١/ ١٩٦ ، الايضـــاح: ٢/ ٤٤٨ .

(٣) ش ش ٣/ ٧٨ .

(٤) ش ك ١/ ١٥٢ .

(٥) ش ش ٣/ ٨٤ــ ٨٥، وينظر: ش ش ١/ ٢٤٩ (الواو المشددة) .

(٦) الخليل عن التهذيب : ١/ ٥٢ قال : " الوَاوُ والْياءُ إذَا جَاءَتَا بعْدَ فَتْحَـــةٍ قَوِيتا ، وكذا إذا تحركتا كانتا أقوى "، التّصريف الملوكيّ : ٨٧ ، ابن سينا في أسبابِ حدوث الحروف : ٨٣ و ٨٤ ، يطلق عليهما الواو الصامتة والياء الصامتة ، وينظــر التحديد : ١٣٤ " صارا بمنزلة الحروف الجامدة " .

مَابَيْنَ ٱلشَّدِيدَةِ وَٱلرَّخوَةِ : صفة حروف (لِمَ يروعُنا) . قال الرضي : " إنَّمَا جَعَلَ حُروفَ (لِمَ يروعُنا) بَيْنَ ٱلشَّدِيدَةِ وَالرَّخْوَةِ ؛ لِأَنَّ ٱلشَّدِيدَةَ هِيَ ٱلَّتي يَنْحَصِرُ ٱلصَّوْتُ في مَواضِعِهَا عِنْدَ ٱلوَقْفِ ، وَهذِهِ الأَحْرُفُ ٱلثَّمَانِيَةُ يَنْحَصِرُ ٱلصَّوْتُ في مَوَاضِعِهَا عِنْدَ ٱلوَقْفِ ، لٰكِنْ تَعْرِضُ لَهَا أَعْرَاضٌ تُوجِبُ خُروجَ الصَّوْتِ مِنْ غَيْرِ مَوَاضِعِهَا " (١)

ثمّ بعد ذلك يأتي إلى هٰذه الحروف حرفاً حرفاً موضحاً ما يقصدُهُ من كلام ، مع إعطاء تصوُّرٍ عن الهيئةِ المخرجيةِ لكلٍّ منها مما يشكّل وعياً تاماً لما يحدث في آلةِ الصّوت من إعاقة تامة ، أو جزئيّة للهواء ، ليس في هٰذه الصّفة فقط ، بل في صفتي الشّدَّة والرَّخاوة .

ولكنّ هذا المصطلح لا يبدو في اعتقادي سليماً ، ليطلق هنا ؛ إذْ يُوحي المصطلح بوجودِ صفةٍ بيْن الشّدّة والرّخاوة ، بمعنى وجودِ آليّةٍ بين آليتيْ هاتين الصفتين من حيثُ الإعاقة في نقطةِ المخرج ؛ لِذا أرى أنّ الأنسبَ أنْ يُطلَقَ هنا (مصطلح الشّدّة ـ الرَّخاوة) ، وأصواتها (الشّديدة ـ الرّخوة) ، وأعتقدُ أنّ الرضي هنا قد تكلَّف وضع الياء والواو والالف مع هذه الأصوات على الرغم من ادراكه أنّ هذه الحروف اخفى الحروف لاتّساع مخارجها على حَدِّ قوله الذي وقفنا عليه في مصطلح الخفاء ، وسيأتي مصطلحُ المدّ (٢) .

المَدُّ : وهو مصطلح يستعمله الرّضيّ على ما يبدو داخل مصطلحيْ العلّة واللين للاشارة إلى ما تتمتعُ بهِ أصواتُ (الالف والواو والياء) من امتدادٍ نطقيّ ، واستمراريّة في التّصويت ، بسعة مخارجها ، ويتصور الرضي وجود حركة مجانسة تسبق هذه الأصوات ، حتى تُمكّنَ من المدّ . قال : " وَنَعْني بِالْمَدَّةِ أَلِفاً أَوْ وَاواً أَوْ يَاءً"

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٠ .

(٢) في الكتاب : ٤/ ٤٣٥ ، وعنده هي صفة لصوت العين فقط . وأوّل من قال بشمول هذه الاصوات (لم يروعنا) لهذه الصفة المبرد في المقتضب : ١/ ١٩٦ ، إمّا اجتهاداً منه ، وإمّا توهماً لكلام سيبويه ، وهو الارجح عندي ؛ لان سياقَ ذكرها في الكتاب يساعد كثيراً على مثل هذا الفهم ، وقد اوقعت متابعة الرضي للمبرد في التكلّف المُشار اليه ، وربّما يكونُ أيضاً متوهماً لكلامِ سيبويه (ينظر الكتاب : ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥)

سَاكِنَيْن مَاقبلَهُمَا مِنَ ٱلحركَةِ مِنْ جِنْسِهِا "(١)، وقالَ أيضاً : " ونَعْنِي بِٱلْمدّةِ: حَرفَ لِينٍ سَاكِناً، حَرَكَةُ مَاقَبْلَه مِنْ جِنْسِه "(٢)، وَفي ٱلْتقاءِ السَّاكنَيْن يَستعملُ ٱللّينَ، والعلّةَ فيقولُ : " إذا كانَ ألِفاً (يعني : أوّلَ السَّاكنَيْن) فَٱلأَمرُ أخفُّ، لِكثْرةِ ٱلمدِّ فِي ٱلألِفِ، إذْ هُوَ مَدٌّ فَقط ... ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إذا كانَ أولهُمَا وَاواً أوْياءً مَاقَبْلَهُمَا مِنَ ٱلْحَرَكَاتِ مِنْ جِنْسِهِما ... "(٣)، فالمدُّ عِند الرَّضيّ يُشير إلى قيمةٍ صوتيّةٍ مرادفةٍ لِمَا تعارفَ عليه ٱلمحدثونَ في الصَّوائتِ الطويلةِ، إلاّ إنَّه يَربطُ نشأتَها بإشباعِ ٱلحركةِ السَّابقةِ ٱلمجانسةِ، ووجودُ حَركةٍ غيرُها في مكانها يُؤدّي إلى قلّةِ المدِّ فيها، لإختلاطِ المدَّيْنِ، فلا يحدثُ ٱلمدُّ التّامُ لهٰذه الأصواتِ، قالَ الرَّضيّ : " وَيَقِلُّ ٱلمدُّ فِي حُرُوفِ ٱللّينِ إذا كانَتْ حَركَةُ مَاقبْلَهَا مِنْ غَيْرِ جِنْسِهَا، نَحْو: قَوْلٍ وبَيْعٍ، بِخِلافِ مَا إذا كانَ مَاقبْلَهَا مِنْ ٱلْحَرَكَاتِ مِنْ جِنْسِهَا، نَحْو: قُول وَبِيع، وذٰلِكَ، لأنَّ فِي نَحْوِ قُول ٱلْمَضْمُوم قَافُهُ تتهيّأً بَعْدَ ٱلنُّطْقِ بِٱلْقَافِ لِلْوَاو، وذٰلِكَ، لأنَّ الضَّمَّةَ بَعْضُ ٱلوَاوِ، فيَسْهُلُ عَلَيْكَ ٱلْمَجيءُ بَعْدَ ٱلضَّمَّةِ بِٱلوَاوِ كامِلةً، لأنَّهُ لَمْ يُخَالِطْهَا إذَنْ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ ٱلْمَدِّ كَمَا خَالَطَهَا فِي قَوْلِ ٱلمَفتُوحِ قَافُهُ، فإنَّكَ إذَنْ تَهيَّأْتَ فِيه بَعْدَ ٱلْقَافِ لِلمدِّ الألفيِّ : أيْ ٱلفَتْحَةِ، ثُمَّ ٱنتقلتَ فِي ٱلْحالِ إلَى ٱلْمَدِّ ٱلْوَاوِيِّ، شَائباً شَيئاً مِنَ ٱلمدِّ ٱلأَوَّلِ بِٱلْمَدِّ ٱلثَّانِي، وَمَيْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْمَدَّيْنِ إلى جَانِبٍ غَيْرِ جَانِبِ ٱلآخَرِ، فَلا جَرَمَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ إشْبَاعِ ٱلْمَدِّ ٱلْوَاوِيِّ تَمامَ ٱلتَّمَكُّنِ "(٤)، وتكونُ الواوُ وٱلياءُ مَعَهَا في هٰذهِ الحالةِ في قلّةِ ٱلمدِّ، أو شبهِ المدِّ، وحسبِ المحدثينَ حالةَ نصفِ الصَّائتِ، أو نصفِ الصَّامتِ (٥).

ٱلْمُصْمَتَةُ : يقابلُ الذَّلاقةَ، وهي صفةُ جميعِ الْحُروفِ سوى حُروفِ (مُرْ بِنَفَلٍ) ، قالَ الرَّضِيُّ : " ٱلْمُصْمَتَةُ : ضِدُّ حُرُوفِ الذَّلاقَةِ، وَٱلشَّيْءُ ٱلْمُصْمَتُ : هُوَ ٱلَّذِي لا جَوْفَ لَهُ، فَيَكُونُ ثَقِيلاً، سُمِّيَتْ بِذٰلِكَ لِثِقَلِهَا عَلَى ٱللِّسَانِ، بِخِلافِ حُرُوفِ الذَّلاقَةِ "(٦).

---

(١) ش ك ١/١٥٢ ، وينظر ش ش ٣/٣٣ و ٢٤٩ .

(٢) ش ش ٢/٢٥٢

(٣) ش ش ٢/٢١٢ و ١/١١٩ . (٤) ش ش ٢/ ٢١١ ــ ٢١٢ .

(٥) في الكتاب : ٤/٤٤١ ، ٤٣٥ ، المقتضب : ١/٢١٠ ، الخصائص : ٣/١١٤ ، منازل الحروف : ٨٣ ، أسباب حدوث الحروف : ٨٤ .

(٦) ش ش ٣/٢٦٢ .

يُراعى في هذه الصّفة قلّة المرونة الحركيّة للسان ، والرّضيّ يرى أنّ ما تقدّم أنسب من قولهم : "إنّما سُمّيت بذلك لأنّها أُصمتت عن أن يُبنى منها وحدها رباعيّ أو خماسيّ" (١) إذ قال عنه : "الأوّل أولى ؛ لأنّها ضدّ حروف الذّلاقة في المعنى ؛ فمضادّتها لها في الإسم أنسب" (٢) (٣) .

المُنْخَفِضَة : قال الرّضيّ : "والمنخفضة : ما ينخفض معه اللسان ، ولا يرتفع ، وهي كلّ ما عدا المستعلية" (١) ، وهي حروف ما عدا : قظ خصّ ضغط (٤) .

المُنْفَتِحَة : وصف الرّضيّ هذه فقال : "قوله : (والمنفتحة بخلافها) ؛ لأنّه ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النّطق بها" (١) ، ويُفهم من كلامه أنّها صفة ما عدا المنطبقة بما فيها المستعلية (٥) .

النَّفْخ : وهي صفة وقفيّة بخروج صُوَيْت عند المهموسة دون القلقلة ، قال الرّضيّ : "وأمّا الحروف المهموسة فكلّها تقف عليها مع نفخ ؛ لأنّهنّ يجرين مع النّفس" (٢) ، ويبدو لي أنّ سبب هذا التّصويت هو المحافظة على كيان هذه الأصوات في الوقف ويعضّده قوله : "وبعض العرب أشدّ نفخاً كأنّهم يرومون الحركة في الوقف" (٢) (٦)

الهَمْس : صفة حروف (ستشحثك خصفه) بالهاء ضدّ الجهر ، وقد تقدّم الكلام عن هذه الصّفة في مصطلح الجهر ؛ لأنّ الضّدّ بالضّدّ يُعرف

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦٢ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٦٣ .
(٣) في العين : ١ / ٥٤ (الصّتم) ، التّهذيب : ١ / ٥١ : "المُصْمَتة هي الصّتم" ، الرعاية ١٣٥ ، اللسان : ١٢ / ٣٣٣ (الصّتم) .
(٤) في التهذيب : ١ / ٥١ "(عن الخليل : الاختفاض) ، سر الصناعة : ١ / ٧١ ، سر الفصاحة : ٢١ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، الهمع : ٢ / ٢٣٠ .
(٥) في الكتاب : ٤ / ٤٣٦ ، الموضح : ٩٠ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، المقرب : ٢ / ٣٥٩
(٦) في الكتاب : ٤ / ١٧٥ ، سر الصناعة : ١ / ٧٣ ، الموضح : ٩٣ يستعمل مكانه النّفس .

(علما سبق في مصطلح الجهر) (١)

الصِّفَاتُ الْمُفْرَدَةُ :

المَهْتُوتُ : صفةُ التّاءِ ، قالَ الرّضيُّ : " وإنّمَا سُمّيَ التّاءُ مهتُوتاً ، لِأنّ الهتَّ سَرْدُ الْكَلامِ عَلَى سُرْعَةٍ ، فهُوَ حَرْفٌ خَفِيفٌ لا يَصْعُبُ التّكلّمُ بِهِ على سُرْعَةٍ " (٢) ، ويَبدو لي أنّ هذا المصطلحَ يمثّل مجمل الانطباع السّمعيّ والنُّطقي لِهذا الصّوت من خلال ما يتمتّع به طرفُ اللسان من مرونةٍ في الحركة عِنْد إنتاجِه (٣) .

الهَاوِي : صفةُ الألف ، قالَ الرّضيُّ : " ... واتّساعُ مَخْرَجِ الألِفِ لِهَواءِ صَوْتِهِ أكثرُ مِنَ اتّساعِ مَخْرَجَيِ الْوَاوِ وَالْيَاءِ لِهَوَاءِ صَوْتِهِما ، فَلِذلِكَ سُمّيَ الْهَاوِي : أَيْ ذَاتَ الْهَوَاءِ (الأصحّ : ذَا الْهَوَاءِ) (٤) ، كالنَّاشِبِ وَالنَّابِلِ . وَإنّمَا كَانَ الاتّساعُ لِلألِفِ أكثرَ ، لأنّكَ تضمُّ شَفَتَيْكَ لِلْوَاوِ ، فيتضيّقُ الْمَخْرَجُ ، وَتَرْفَعُ لِسَانَكَ قِبَلَ الْحَنَكِ لِلْيَاءِ ، وأمّا الألِفُ فَلا تَعْمَلُ لَهُ شَيْئاً مِنْ هذا ، بَلْ تَفْرِجُ الْمَخْرَجَ ، فَأوْسَعُهُنَّ مَخْرَجاً الألِفُ ، ثُمّ الْيَاءُ ، ثُمّ الْوَاوُ .. " (٥)

ويلحظُ هُنا إلإدراكُ لِطبيعةِ المَجْرى الهَوائيّ عِنْد التّصْويت بالألف ، ويبرزُ فيها أيضاً إدراكُهُ لحالاتِ المخرج بَيْن الإفراج التّامّ والتّضيق الجزئيّ ، زيادةً على إدراك الغَلْق التّام لَهُ في الشّديدة (٦) .

مُصْطَلَحَاتُ التّجاوُرِ والتّركِيبِ :

الابْتِداءُ : مُصطلحُ بداية العمليّة الكَلاميّة ، الّذي يَرى الرّضيُّ استِحالتَه بوجود

---

(١) في الكتاب ٤/ ٤٣٤ ، أبو الحسن بن كيسان : ٢١٩ " حَرْفٌ لأنَ مَخْرَجَهُ دُونَ المَجْهُورِ وَجَرَى مَعَهُ النَّفَسُ " الجمهرة : ١/ ٤٦ ، سر الفصاحة : ٢٠

(٢) ش ش ٣/ ٢٦٤ .

(٣) في العين : ١/ ٥٧ ، ٥٨ (للهاء والهمزة) ، التّهذيب : ١/ ٤٨ ، سر الصّناعة : ١/ ٧٤ ، الموضح / ٩٤ .

(٤) وقد ورد الاستعمال صحيحا في ش ش ٣/ ٢٦٤ بقوله : " وَمَعْنَى الْهَاوِي : ذُو الْهَوَاءِ "

(٥) ش ش ٣/ ٢٦١ .

(٦) في الكتاب : ٤/ ١٧٦ ، ٤٣٥ ، جهود الكوفيين في علم الاصوات : ٥٣ (الراء واللام وبه قال فريق من أهل التّجويد) .

الساكن، قال الرضي : " الأكثرون على أن الابتداء بالساكن متعذر ... والظاهر أنه مستحيل، ولابد من الابتداء بمتحرك "(١) .

الإبدال: يبدو الرضيّ موافقاً لابن الحاجب في حدّه للإبدال بأنه " جعل حرف مكان حرف غيره "(٢)، لأنه اكتفى به، وقال معلقاً : " الإبدال في اصطلاحهم أعمّ من قلب الهمزة ، ومن قلب الواو والياء والألف "(٢) ، والإبدال في ظاهرة الإبدال عند الرضيّ المقصود به ما لا يكون لأجل الإدغام ، ويستعمل الرضيّ القلب بمعنى الإبدال، إذ قال : " والقلب الذي للإدغام ليس مما نحن فيه "(٣) (٤)

الإتباع: مصطلح المماثلة الكلّية بين الحركات ، قال الرضي : " يجوز في نحو يقتّل - بكسر القاف - أن تكسر الياء إتباعاً للقاف، فتقول : يِقِتّل كما في مِنخِر ومِنتِن ، ومنه في قراءة (أم من لا يِهِدّي) بكسر الياء والهاء(٥) ، وقال أيضاً : " وربما كسر ميم مُفعِل إتباعاً للعين أو يضم عينه إتباعاً للميم، قالوا في مُنتِن : مِنتِن ومُنتُن "(٦)، وقد تكرر هذا المصطلح كثيراً عند الرضيّ، وأغلب مظاهره تفردت بها اللهجات المتداولة حتى كاد يقتصر عليها(٧) .

أحوال الأبنية: قال الرضيّ (وهو يميّز الموضوعات الصرفية) : " وإنما يدخل في أحوال الأبنية : الابتداء والإمالة وتخفيف الهمزة والإعلال والإبدال والحذف،

---

(١) ش ش ٢/ ٢٥١ .

(٢) ش ش ٣/ ١٩٧ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٢٧ .

(٤) الخليل عن (الدراسات اللغوية : ٤٠٨، الكتاب: ٣/ ٤٤١، والأشموني والصبان : ٤/ ٢٧٩ : وإنما المراد البدل في غير الإدغام .

(٥) ش ش ٣/ ٢٨٥ . والآية (٣٥) من سورة يونس . والقراءة في المحتسب : ١/ ٢٤٥.

(٦) ش ك ٢/ ١٩٩ وينظر عن الاتباع : ٢١٢ و ١٩٠، وش ش ٢/ ٢٣٨ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٧ .

(٧) في الكتاب : ١/ ٤٣٦، ٤/ ١٩٦، وفي الخصائص ٢/ ١٤٣ عبّر عنه بتقريب الصوت من الصوت، وفي الانصاف : ٢/ ٧٣٧ .

وبعضُ الإدغام، وهو إدغامُ بعض حروفِ الكلمةِ في بعض ٠٠٠، وكذا بعضُ التقاء الساكنين، وهو إذا كان الساكنان من كلمةٍ كما في قُلْ وأصلُه قَوْلْ " (١) ، حيثُ يستعمل الرضيّ هذا المصطلحَ للدلالةِ على التحولاتِ الصوتيّة التي يرتبط وجودها بالبنية الصرفية (عاملٌ صرفيٌّ)، ويمكنُ أنْ يكون هذا المصطلح مرادفاً جيّداً لما عُرف في الدرس الحديث باصطلاح التغيير الصرفيّ الصوتيّ (Morphophonemic) (٢)
وقدْ تفرّد الرضيّ بالدلالة الاصطلاحيّة لهذا المصطلح الذي استعمله ابنُ الحاجب بشكلٍ عامٍّ لموضوعات الصرفيّة كافةً ٠

<u>اجتماعُ المثلين (المتماثلين) والأمثال</u> : مصطلح التجاور بينَ الأصواتِ المتماثلة مع إهمالِ وجودِ الحركاتِ فاصلةً بينها ، وفي المستوى الصائتيّ يستعمله مشيراً إلى تشابهِ الجنسِ لا التماثلِ التامِ ، قال الرضيُّ : " ويُكرَهُ اجتماعُ الأمثالِ ، لزيادةِ الاستثقالِ في قصيتٍ وتقضّيَ " (٣) ، والأمثال هنا صحاحٌ، وقد قلب الثالثُ منها ياءً ، وقال أيضاً : " اجتماعُ المتماثلين أعني الياءَ والكسرةَ سببُ فتحِ : أينَ وكيفَ " (٤) ، وينقلُ عن الخليل أنه استكرَه اجتماعَ المثلين في ماما، فأصبحتْ مَهْما (٥) ، وهو مستقبحٌ لفظاً ومعنىً (٦) (٧) ٠

<u>الإخفاء</u> : وهو أنْ لا يُمكّنَ النطقُ بالحرفِ تمكّناً كاملاً، وهو عند المثلين كأنه أُدغِمَ الخفيُّ، وبذلك وصفَ الرضيُّ ما يُنسبُ من إدغامٍ لأبي عمرو في نحوِ قوله تعالى : (خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ) و (شَهْرُ رَمَضَانَ) ، وقال عنه : " ليسَ بإدغامٍ حقيقيٍّ بَلْ هُوَ إخفاءٌ أوّلِ المثلين إخفاءً يُشبِهُ الإدغامَ " (٨) ، حيثُ يبدو أنّ هذا الإخفاء درجةٌ بينَ الخفاءِ التامِ (في الإدغامِ) والتبيينِ ؟ وقال في تثنية الحيا أي حَيَيَان :

---

(١) ش ش ١ / ٥٠ ٠
(٢) ينظر : أُسسُ علم اللغة : ١٠٦ ، وينظر: تمهيد الفصل الثالث ٠
(٣) ش ش ٣ / ٢١٠ ٠
(٤) ش ش ٢ / ٢٤٧ ٠
(٥) ش ك ٢ / ٢٥٣ ٠
(٦) ش ك ٢ / ١٨ ٠
(٧) في الكتاب: ٣ / ١٩١ ، يُعبّر عن الفكرة ولا يستعمل المصطلح، وفي: ٣ / ٢٦٥ (اجتماعُ النونات) ، الخصائص : ٢ / ١٣٩ ، ١٤١ ٠
(٨) ش ش ٣ / ٢٤٧ ٠

" جَازَ ٱلإخْفَاءُ وَالتَّبْيِينُ ، وٱلتَّبْيِينُ أَوْلَى ، لِعَدَمِ ٱلاسْتِثْقَالِ ، وَلَا يَجُوزُ هَاهُنَا ٱلإِدْغَامُ " (١)، وقد وصفَ به أيضاً ما وردَ من إدغامِ بعضِ الحروفِ في بعضٍ عن بعضِ ٱلْقُرّاءِ حين قرأ : (لِبَعْضِ شَأْنِهِم، وَٱغْفِرْ لِّي، وَنَخْسِفْ بِّهِم)(*)، فقالَ : " حذّاقُ أَهْلِ ٱلأَدَاءِ عَلَى أَنَّ ٱلْمُرادَ بِٱلإِدْغَامِ فِي مِثْلِهِ ٱلإِخْفَاءُ ، وَتَعْبِيرُهُمْ عَنْهُ بِلَفْظِ ٱلإِدْغَامِ تَجَوُّزٌ، لِأَنَّ ٱلإِخْفَاءَ قَرِيبٌ مِنَ ٱلإِدْغَامِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ إِدْغَامًا، لَٱلْتَقَى سَاكِنَانِ لَا عَلَى حَدِّهِ فِي نَحْوِ: لِبَعْضِ شَأْنِهِم " (٢) .

وَقد وصفَ به أيضاً النُّطقَ بالنونِ مع الأَصواتِ غيرِ الحلقيّةِ حين يقتصرُ فيها على الغنّةِ فتحصلُ ما يعرفُ بالنُّونِ ٱلْخَفِيَّةِ ، قالَ الرَّضيّ : " فَإِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً، وَبَعْدَهَا غَيْرُ حَرْفِ ٱلْحَلْقِ، فَهُنَاكَ دَاعِيَانِ إِلَى إِخْفَائِهَا " (٣)، هُمَا السُّكُونُ، وٱلْحرفُ غيرُ الحلقيّ، وهٰذهِ الظَّاهرةُ سَاهمتْ في إغناءِ مَباحثِ أَهْلِ التَّجويدِ بشكلٍ واضحٍ (٤)(٥) .

ٱلإِدْغَامُ : قالَ الرَّضيُّ : " ... وَٱلَّذِي أَرَى : أَنَّهُ لَيْسَ ٱلإِدْغَامُ ٱلإِتْيَانَ بِحَرْفَيْنِ ، بَلْ هُوَ ٱلإِتْيَانُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ مَعَ ٱعْتِمَادٍ عَلَى مَخْرَجِهِ قَوِيٍّ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ ٱلْحَرْفُ مُتَحَرِّكًا نَحْوَ: يَمُدُّ زَيْدٌ ، أَوْ سَاكِنًا نَحْوَ: يَمُدُّ وَقْفًا " (٦)، وما يذكرُ من إدغامِ ٱلْمتقاربين ، فالرَّضيُّ لا يقبلُ به، لأنّه يرى : " أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِدْغَامُ ٱلْمُتَقَارِبَيْنِ إِلَّا بَعْدَ جَعْلِهِمَا مُتَمَاثِلَيْنِ ، لِأَنَّ ٱلإِدْغَامَ إِخْرَاجُ ٱلْحَرْفَيْنِ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ دُفْعَةً وَاحِدَةً بِٱعْتِمَادٍ تَامٍّ ، وَلَا يُمْكِنُ إِخْرَاجُ ٱلْمُتَقَارِبَيْنِ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مَخْرَجًا عَلَى حِدَةٍ " (٧)، فهو بالأحرى يقدِّم تعديلاً للفهمِ المتبادرِ من إدغامِ المتقاربين (٨) .

(*) الآيات: النور-٦٢ وإبراهيم-٤١ وسبأ-٩ (على الترتيب). وهي قراءة مشهور للبزي (ت ٢٥٠هـ) ينظر: طبقات القراء: ١/١١٩.

(١) ش ش ٣/١١٦ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٧٤ .

(٣) ش ش ٣/٢٧٢ وينظر منه ٣/ ٢٧١ـ ٢٧٤ .

(٤) ينظر من مصادر البحث : كتب التجويد الموضوع الخاص باحوال النون والتنوين

(٥) في الكتاب: ٤/ ٤٣٨ ، ٤٥١ ، ٤٥٤، إدغام القُراء : ٨، الكشف : ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ وعن منهاج التوفيق : ٣٣٥ : " ٱلْمُخْفَى شَيْئَانِ : حرفٌ وحركةٌ ، فَإِخْفَاءُ ٱلْحَرْفِ نُقْصَانُ صَوْتِهِ، وَإِخْفَاءُ ٱلْحَرَكَةِ نُقْصَانُ تَمْطِيطِهَا " وهو قول الدّاني في التحديد: ٩٨، وقال في كشف المشكل: (٢/ ٣٩١) : " وَٱلإِخْفَاءُ لَا يُسْتَهْلَكُ مَعَهَا الحَرْفُ ٱلْخَفِيُّ، وَلَكِنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ ٱلَّذِي قَابَلَهُ فِي ٱلنُّطْقِ مِنْ غَيْرِ إِدْغَامٍ " وفي مرتبة هذا الإخفاء، قال القُرْطُبِيُّ في المُوَضّحِ: ١٥٧ : " مَنْزِلَةٌ بَيْنَ ٱلإِظْهَارِ وَٱلتَّشْدِيدِ " .

(٦) (٧) ش ش ٣/ ٢٣٥ .

(٨) يقولُ شَادَه : " أَهَمُّ المدارِكِ ٱلَّتِي وصلَ إِلَيها علمُ ٱلأَصواتِ العَصْرِيِّ في هٰذا = = =

ٱلْازْدِوَاجُ : أنْ تنتهي المقاطع والفواصل (أي نهايات السلاسل الصَّوتيّة) في السِّياقِ الواحد بجنس واحدٍ من ٱلأصواتِ ، قَالَ الرَّضِيّ : " ٱلْحَذْفُ في ٱلْفَواصِلِ وَٱلْقَوَافِيّ لِيَسَرِيَنَادِرٍ طَلَبَاً لِلْازْدِوَاجِ "(١) ،وقالَ أيضاً : " فَإذَا وَقَعَ ٱلوَاوُوَٱلْيَاءُ ٱلمَذْكُورَانِ فِي ٱلْفَوَاصِلِ وَصْلاً جَازَ حَذْفُهُمَا ،وَٱلاجْتِزَاءُ بِحَرَكَةِ مَاقَبْلَهُمَا كَقَوْلِهِ تَعَالىٰ : (وَٱلَّيْلِ إذَا يَسْرِ) ، وَذَلِكَ لِمُرَاعَاةِ ٱلتَّجَانُسِ وَٱلْازْدِوَاجِ ... ،وَكَذَا فِي ٱلْقَوَافِيّ يُحْذَفُ فِيهَا كَثِيراً مِثْلُ ذَلِكَ لِلْازْدِوَاجِ لَا لِلْوَقْفِ "(٢) .

ويظهر أنّ تقصيرَ الصوائت هو وسيلةُ هذا الازدواجِ الّذي عبَّر عنه بالحذف (٣) .

ٱلْاسْتِثْقَالُ (ٱلثِّقَلُ) : قالَ الرَّضِيُّ : " إعْلَمْ أنَّهم يَسْتَثْقِلُونَ ٱلتَّضْعِيفَ غَايَةَ ٱلْاسْتِثْقَالِ إذْ عَلَى ٱللِّسَانِ كُلْفَةٌ شَدِيدَةٌ في ٱلرُّجُوعِ إلَى ٱلْمَخْرَجِ بَعْدَ ٱنْتِقَالِهِ عَنْهُ "(٤) ، وقالَ (في السّين وقبلها صوتٌ مستعلٍ) : " وَلَا يَثْقُلُ ذَلِكَ ثِقَلَ ٱلتَّصَعُّدِ مِنْ مُنْخَفِضٍ "(٥) ، حيثُ الاستثقالُ والثقل نطقيّان(٦) .

==== ٱلْبَابِ قَاعِدَةٌ وُفِّقَ الىٰ إثْبَاتِها مُنذ خمسين عاماً إسْوِسْرِيٌّ يدعى (ڤنتلر) ، ومآلُها أنَّ النَّاطِقَ بحرفين متواليين يقتضيان حركةً مشتركةً بينهما مِنْ حَرَكاتِ آلاتِ ٱلنُّطقِ لَايَجِيءُ بِهَذِهِ ٱلْحَرَكَةِ إلّامَرَّةً وَاحِدَةً " عن (علم الأصواتِ عندَ سيبويه وعندنا : ١٥) وقد استفادَ منه في التعريفات: (١٦) فقال عن الادغام : " وَقِيلَ : هُوَ إلْبَاثُ ٱلْحَرْفِ فِي مَخْرَجِهِ مِقْدَارَ إلْبَاثِ حَرْفَيْنِ نَحْوَ: مَدَّ وعَدَّ " .

(١) ش ك ١٤٨/١ .

(٢) ش ش ٣٠٢/٢ . والآية (٤) / الفجر .

(٣) من مصطلحات البلاغيين ،الصناعتين : ٢٦٠،سرّالفصاحة : ١٦٣ .

(٤) شرش ٢٣٨/٣ ـ ٢٣٩ .

(٥) ش ش ٢٣٠/٣ .

(٦) في الكتاب : ٤١٧/٤ ،الخصائص : ٣/ ١٨ .

الإشراب : يَستعمله الرّضيّ فيما يبدو بوصفه ظاهرةً تحدث بأَنْ يكتسب أحد الأصوات صفةً صوتيّةً أو أكثر تقرّبه من نطق صوت آخر ؛ وقد وجدت بفعل هذه الظّاهرة مجموعةُ ٱلْمُتفرعاتِ ؛ قال الرّضيّ : " يَعْنِي بِٱلْمُتَفَرِّعِ حَرْفاً يَتفرَّعُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْمَذْكُورَةِ وَقِيلَ بِإِشْرَابِهَا صَوْتاً مِنْ غَيْرِهَا " (١) إذ إنّ بعض مظاهره هٰهنا مِمّا يُعرفُ عند المحدثين بالمماثلة الجزئيّة، كما في الصّاد كالزاي في يَصْدُقُ وصَدَقَ وأيضا " إشْرَابُ ٱلْجِيمِ وَٱلشِّينِ ٱلْمُعْجَمَتَيْنِ ٱلْوَاقِعَتَيْنِ قَبْلَ ٱلدَّالِ صَوْتَ ٱلزَّايِ " (٢) ؛ في أَشْدَق وأَجْدَر — وهو يرادف المضارعة وهو سبيل التّجانُس والتناسب (ينظر مصطلحات المضارعة والتّجانس والتّناسب) (٣) .

الإشمام : يَردُ هٰذا المصطلح عند الرّضيّ في دلالتين : ٱلْأُولى : خاصةً بٱلوقف وهي : " تَصْوِيرُ ٱلْفَمِ عِنْدَ حَذْفِ ٱلْحَرَكَةِ بِٱلصُّورَةِ ٱلَّتِي تَعْرِضُ عِنْدَ ٱلتَّلَفُّظِ بِتِلْكَ ٱلْحَرَكَةِ بِلَا حَرَكَةٍ ظَاهِرَةٍ وَلَا خَفِيَّةٍ " (٤) ، وهو مقتصرٌ على الحركات، وبالأخصّ (الضّمّ والرّفع) أمّا الثّانية فقد عبّر عنها بقوله : " .... لِأَنَّ ٱلْإِشْمَامَ هٰهُنَا حَرَكَةٌ بَيْنَ حَرَكَتَي ٱلضَّمِّ وَٱلْكَسْرِ بَعْدَهَا حَرْفٌ بَيْنَ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ " (٥) ، فالإشمام هنا يُعبّر عن مُتفرع صائت ، وقد قال في المُتفرّعة : " وَمِنْهَا أَيْضاً ٱلْيَاءُ كَٱلْوَاوِ فِي قُيِلَ وَبُيِعَ — بِٱلْإِشْمَامِ " (٦) ، فهذا متفرع آخر صائت طويل، وهو هنا أشبهَ ما يكون بظاهرة ٱلإشرابِ ، ويقول أيضاً " إِذَا تَحَرَّكَتْ ٱلصَّادُ وَبَعْدَهَا دَالٌ أُشِمَّ ٱلصَّادُ صَوْتَ ٱلزَّايِ " (٧) ، والاشمام هنا جاء على موضوع المضارعة ، وعلى ما تقدّم ، فإنّ ٱلإشمام والاشراب والمضارعة ويتّصل بهما التّجانسُ والتّناسبُ تدور كلها في حلقة المماثلة الجزئية مع اختلاف الاعتبارات وخاصّة في التّجانسِ والتّناسبِ (٨) .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٤ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٣٣
(٣) قال سيبويه (الكتاب ٤ / ١٧٤) بخُرُوج صُوَيتٍ مَعَ ٱلْحُرُوفِ عندَ الوَقْفِ (ٱلْحروف ٱلْمشربة) وأَوّلَ مَن ٱسْتعملَهُ بهذا المعنى مكي في الرعاية: ٨٢ ، الموضح : ١١٨ .
(٤) ش ش ٢ / ٢٧٥
(٥) ش ش ٢ / ٢٧٠ ، وينظر المصطلح ش ش ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٦) ش ش ٣ / ٢٥٧
(٧) ش ش ٣ / ٢٣٢ .
(٨) على ما يبدو ، فإنّ ٱبنَ مجاهدٍ أُوّلَ من استعملَ الدلالة الثانية ، السبعة : ١٠٥ ، ١٠٦ ، سر الصناعة ١ / ٥٧ ، اما الاولى فينظر : الكتاب ٤ / ١٧١ .

ٱلْإِظْهَارُ: مقابل الإدغام. قال الرضيّ : " فَإِنْ كَانَ ٱلْمِثْلَانِ فِي أَوَّلِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَاضِيًا كَتَتَرَّسَ وَتَتَارَكَ، أَوْ مُضَارِعًا كَتَتَنَزَّلُ وَتَتَشَاقَلُ، فَٱلْأَوْلَىٰ فِي ٱلْمَاضِي ٱلْإِظْهَارُ، وَيَجُوزُ ٱلْإِدْغَامُ، مَعَ ٱجْتِلَابِ هَمْزَةِ ٱلْوَصْلِ فِي ٱلِٱبْتِدَاءِ... وَإِنْ كَانَ ٱلْمِثْلَانِ فِي وَسَطِ ذِي ٱلزِّيَادَةِ، فَلَكَ ٱلْإِظْهَارُ وَٱلْإِدْغَامُ نَحْوَ : ٱقْتَتَلَ وَقَتَّلَ "(١)، إِذَنْ فَٱلْإِظْهَارُ إخراجُ ٱلْحَرْفَيْنِ مُسْتَقِلَّيْنِ عِنْدَ النُّطْقِ(٢).

ٱلِٱعْتِدَالُ : وهو مصطلحُ التَّناسبِ الصَّوتيّ بين طرفي ٱلكلمة. قال الرَّضيُّ في إعلالِ النَّاقِصِ على (فَعْلَى) : " وَٱلْوَاوِيُّ لَا تُقْلَبُ وَاوُهُ يَاءً، لَا فِي ٱلِٱسْمِ كَٱلدَّعْوَىٰ وَٱلْفَتْوَىٰ، وَلَا فِي الصِّفَةِ نَحْوَ: شَهْوَى مُؤَنَّثُ شَهْوَانٍ لِٱعْتِدَالِ أَوَّلِ ٱلْكَلِمَةِ وَآخِرِهَا بِٱلْفَتْحَةِ وَٱلْوَاوِ، فَلَوْ قُلِبَتْ يَاءً لَصَارَ طَرَفَا ٱلْكَلِمَةِ خَفِيفَيْنِ، وَأَمَّا ٱلْيَائِيُّ مِنْهُ، فَقُصِدَ فِيهِ ٱلتَّعْدِيلُ أَوَّلًا، فَعُدِّلَ ٱلِٱسْمُ ٱلَّذِي هُوَ أَسْبَقُ مِنَ ٱلصِّفَةِ بِقَلْبِ يَائِهِ وَاوًا ... "(٣) وَكَذَٰلِكَ لَمْ تُعَلَّ فُعْلَى لحصولِ الاعتدالِ بالضَّمة في أَوّلها، وبالياءِ في آخِرِها "(٤) وَفي (فِعْلَى) أيضًا، فالكَسْرَةُ في الثِّقْل بينَ الضَّمة وٱلْفَتحة، فيحصلُ الاعتدالُ مَعَ الياءِ أو الواوِ، فلا يُعَلُّ(٥). وفي نَحْوِ حمراوان لَمْ تُقْلَب الهمزةُ ياءً في الأغلب " طَلَبًا لِلِٱعْتِدَالِ ؛ لِأَنَّ ٱلْيَاءَ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْأَلِفِ، فَكَانَ إِيقَاعُ ٱلْيَاءِ بَيْنَ ٱلْأَلِفَيْنِ جَمْعٌ بَيْنَ ثَلَاثِ أَلِفَاتٍ، فَٱسْتُرِيحَ مِنْ تَوَالِي ٱلْأَمْثَالِ ... "(٦). والمصطلح كما يبدو قائم على علاقةٍ واضحةٍ بينَ البِنْيَةِ والصَّوت وفي كلِّ هذا، فهو يَقْتَصِرُ على الصَّوائتِ، ولَم أَقفْ عَلى مَن سبقَهُ الى هذا المصطلح.

---

(١) ش ش ٣/ ٢٤٠.

(٢) في التّهذيب: ١ / ٤٤ بمعنى النّطق بالحرف ؛ وبالدّلالة أعلاه في الكتاب ٤/ ٤٤٥، ٱلْكشف : ١/ ١٣٤، شرح ٱلمفصل : ١٠/ ١٢٢، ٱلمقرب: ٣٦٨.

(٣) ش ش ٣/ ١٧٧ـ ١٧٨.

(٤) ش ش ٣/ ١٧٨.

(٥) ش ش ٣/ ١٧٩.

(٦) ش ش ٣/ ٦٠.

ٱلإِعْـلَالُ : قَالَ الرَّضِيُّ : " اِعْلَمْ أَنَّ لَفظَ ٱلْإِعْلَالِ فِي ٱصْطِلَاحِهِمْ مُخْتَصٌّ بِتَغْيِيرِ حَرْفِ ٱلْعِلَّةِ : أَيِ ٱلأَلِفِ وَٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ ، بِٱلْقَلْبِ أَوِ ٱلْحَذْفِ ، أَوِ ٱلْإِسْكَانِ ؛ وَلَا يُقَالُ لِتَغْيِيرِ ٱلْهَمْزَةِ بِأَحَدِ ٱلثَّلَاثَةِ إِعْلَالٌ "(١) ؛ ومع ٱستعمالِ الرّضيّ المصطلحَ على ما هو عنْد علماءِ ٱلْعربيّةِ ، فقد ٱستعملَهُ في غيره مستفيداً مِنْ د لالتِهِ على مطلقِ التّغيير ، حيثُ قالَ في (ٱلأَمِّ) : " تُقْلَبُ ٱلْفَاءُ ، وَتُدْغَمُ ٱلْعَيْنُ ، وَهُمَا إِعْلَالَانِ "(٢) ؛ لأَنّها من أَوَمَّ أَوْ أَيَمَّ على أَفْعَلَ . كذلك وَصَفَ حذفَ التاءِ بهِ ، فقال : " وَأَمَّا نَحْوُ قِيَةٍ وَشِيَةٍ ، فَلَيْسَ فِيهِمَا إِلَّا إِعْلَالٌ وَاحِدٌ ؛ لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ تَقِيَ وَتَشِيَ "(٢)(٣) .

ٱلْتِقَاءُ ٱلسَّاكِنَيْنِ : وهو تتابعُ ساكنين عنْدَ النُّطق (يُنظر مصطلح السّاكن) وهذا الالتقاءُ بحسب تصوّره يتمّ على شكلين هما : (٤)

١ـ صحيح ساكن + صحيح ساكن ٢ـ لين ساكن + صحيح ساكن . وفي اللّين السّاكن يَرِدُ المَدّ وشبْه المدِّ ؛ لأنَّ الرّضِيَّ يعاملُ شبهَ المدِّ في هذه الظّاهرة الّتي تشكّل صميمَ البِنْيَة ٱلمَقْطَعيّة للعربيّة ، و يرى الرّضي أنّ التّتابع يتحقق في الشّكْلِ الثّاني بشرطين ، ولا يتحقّقُ أبداً في الشّكْل الأَوّل (٥) .

ٱلْتِقَاءُ ٱلمِثْلَيْنِ : قالَ الرّضيّ في الثِّقل : " لِثِقَلِ ٱلْبِنَاءَيْنِ ، وَثِقَلِ ٱلْتِقَاءِ ٱلْمِثْلَيْنِ " (وهو كناية عن الاستثقال واجتماع المِثْلين) .

ٱلْإِمَالَـةُ : قالَ الرّضيُّ : " وَإِنَّمَا تُسَمَّى إِمَالَةً إِذَا بَالَغْتَ فِي إِمَالَةِ ٱلْفَتْحَةِ نَحْوَ الكَسْرَةِ "(٦) ، وقالَ أيضاً : " وَهٰذا ٱلْعَمَلُ شَبِيهٌ بِٱلْإِمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ

---

(١) ش ش ٣/ ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) ش ش ٣/ ٩٤ .

(٣) ينظر حاشية مصطلح (العِلَّة) واعراب القرآن المنسوب: ١/ ٢٤٥ .

(٤) ينظر (مقدمة التقاء الساكنين في ش ش ٢/ ٢١٠ ومابعدها .

(٥) في الكتاب ٣/ ٥٣٢ الخصائص ٢/ ٤٩٣ ، المقرب ٣٦٩ .

(٦) ش ش ٣/ ٤ .

ٱلصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ " (١) ، حَيْثُ يُنْحَى بالفَتْحة نحوَ ٱلْكسرةِ أي: إلى جانبِ ٱلْكَسْرة (*) ، وتُعَدُّ ٱلإِمَالةُ على وجهِ العموم مظهراً من مظاهِرِ ٱلمُمَاثلةِ ٱلْجُزئيَّة بين الصَّوائتِ، وذلك لأنّ بعضَ مظاهرِها تُعَدُّ من ضمن المُماثلة الكلّيّة، وأُخرى من العَادات النّطقيّة لمن الإمالةُ في لُغتِه، وذلك فيما كانتْ فيه إمالةُ فاصلةٍ لفاصلةٍ مُمالةٍ، أو لمناسبةِ إمالةٍ سابقةٍ . أمّا ما كان من ٱلْعَادات النُّطقيّة فهو إشارة الرّضيّ لبعضِ الإمالة الّتي يُنَبِّهُ فيها على أصلِ ٱلألِفِ ٱلمُمالـةِ (٢)(٣).

ٱلْبَيَـانُ : يقابلُ الرّضيّ بهذا المصطلح حالةَ الإدغام الّذي يعني به المحافظة على ٱستقلاليّة ٱلحرفِ، عكس ما يحصلُ عِنْد الإدغام ، وقد أكثر في هٰذا المصطلح الاعتمادَ على مقولاتِ سيبويه في تقويمه الإدغامَ في حروفِ ٱلحلق، وما جاورها من أقصى اللسان، ومن ذلكَ قولُ الرّضيّ عن إدغامِ الغَيْن في الخَاء : " قَالَ سِيبَوَيْهِ : ٱلْبَيَـانُ أَحْسَنُ، وَٱلإِدْغَامُ حَسَنٌ " (٤) ، وقَالَ الرّضيّ في إدغام ٱلْهاء في الحاء نَحو إِجْبَـهْ حَّاتِماً : " وَٱلْبَيَانُ أَحْسَنُ " (٤) ، كما أنَّ الرّضيَّ قد يعبّر به عمّا يقابلُ أيّ تغيير قَدْ يطْرَؤُ على الصَّوتِ، حيثُ قالَ : " وَيَعْنِي بِٱلْبَيَانِ ٱلإِتْيَانَ بِٱلصَّادِ وَٱلسِّينِ صَرِيحَيْـنِ بِلَا قَلْبٍ، وَلَا إِشْرَابِ صَوْتٍ " (٥) (٦) .

بَيْنَ بَيْنَ ٱلْمَشْهُور : نُطقٌ خاصٌّ بالهمزةِ المتحرّكة عند التّخفيف، وهو يعد ولـيٍّ وجهه: أنْ تُنطق ٱلْهمزة بعد ٱلألف خاصّة بينها وبين حرفِ حركتها ، لامتناع سائر وجوه التّخفيف ٱلأخرى، قال الرّضيّ : " وَإِنْ كَانَتْ ٱلْهَمْزَةُ بَعْدَ ٱلأَلِفِ وَقَصَدْتَ ٱلتَّخْفِيفَ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ جَعْلُهُ بَيْنَ بَيْنَ ٱلْمَشْهُـورِ، لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَرِيبـاً مِنَ ٱلسَّاكِنِ إِلاَّ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ حَـالٍ

---

(١) ش ش ٣ / ٢٣٠ (وينظر مصطلح التجانس) .

(٢) ينظر ش ش ٣ / ٥ .

(٣) الكتاب ٣ / ٢٧٨ (الخليل يسمّاها الإِجْنَاحَ) ، شرح المفصل ١٠ / ٥٢ ، قال في مفتاح العلوم : ١٧٣ : " ٱلإِمَالَةُ ، وَهِيَ أَنْ تَكْسِيَ الفَتْحَةَ كَسْرَةً، فَتَخْـرُجَ بَيْنَ بَيْنَ . " الحدود النحوية : ١٤٧ " وَذَلِكَ أَنْ تَشْرِبَ ٱلْفَتْحَةَ شَيْئاً مِنْ صَوْتِ ٱلْكَسْرَةِ ، فَتَصِيرَ الفَتْحَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْكَسْرَةِ " .

(٤) ش ش ٣ / ٢٧٦ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٣٣

(٦) الكتاب ٤ / ٤٥١ ، ٤٤٥ ـ ٤٥٢ ، إعراب القرآن المنسوب : ١ /

(*) ش ش ٣ / ٤ .

حَالِ مُتَحَرِكٍ ، وَهٰذَا أَمْرٌ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ عِنْدَ قَصْدِ ٱلتَّخْفِيفِ لِانْسِدَادِ سَائِرِ أَبْوَابِ وُجُوهِ ٱلتَّخْفِيفِ "(١) (فهو على ما في التّسهيل) . ويبدو أنّه أوّلُ مَنْ أصطلح عليه هكذا (٢) .

بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ : أَنْ تُنْطَقَ الهمزةُ المتحرّكةُ على ما أرى بَيْنَهَا وبَيْنَ حرف حَرَكَةِ ماقبلها ، يقول الرّضيّ : " وَكَذَا ٱلْمَجْهُولَةُ بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ تُدَبَّرُ بِحَرَكَةِ مَاقَبْلَهَا "(٣) وقال أيضاً " لَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ ، إِذْ لَاحَرَكَةَ لِمَا قَبْلَهَا "(٤) ، وذلك في سبب نُطقِ بَيْن بينَ المَشْهُورِ، ويبدو أنّه أوّل من أصطلحَ عليه هكذا (٥) .

بَيْنَ ٱللَّفْظَيْنِ : قالَ الرّضيُّ في ٱلْإِمَالَةِ : " وَمَالَمْ تُبَالِغْ فِيهِ (يعني: ما لم تبالغ فيه إمالةَ الفتحةِ نحوَ الكسرةِ) يُسَمَّى بَيْنَ ٱللَّفْظَيْنِ "(٦) (٧) .

ٱلتَّبْيِينُ : يُرادِفُ به الإظهار ، إذْ هو نطقُ المثلين مستقلَّين دُونَ إدغامٍ أوإخفاءٍ قال في حَيِيَانِ : " جَازَ ٱلْإِخْفَاءُ وَٱلتَّبْيِينُ، وَٱلتَّبْيِينُ أَوْلَى ، لِعَدَمِ ٱلْاسْتِثْقَالِ وَلَايَجُوزُهَا هُنَا ٱلْإِدْغَامُ "(٨) ، ولم أقفْ على مَن سَبَقه .

تَجَانُسُ ٱلصَّوْتِ : هو مايحدثُ بين الأصواتِ المُتجاورة مِن ميلٍ إلى التَّشابُه في صفاتِها الصَّوْتيَّة ؛ قالَ الرَّضِيُّ (في إبْدالِ سينٍ يَسْدُلُ زاياً) : " فَقَرَّبُوا

---

(١) ش ش ٣/ ٣٩ ـ ٤٠ وينظر ٣/ ٤٣ .

(٢) وينظر، شرح المراح : ١٧٧ ، والتّعريفات : ٣٣ .

(٣) ش ش ٣/ ٣١ .

(٤) ش ش ٣/ ٤٠

(٥) ينظر شرح المراح : ١٧٧ .

(٦) ش ش ٣/ ٤

(٧) يبدو أنّ المصطلح من إبداعات أهل التّجويد ، ينظر التحديد : ١٠٣ : "وَهِيَ تَسْمِيَةُ ٱلْقُرَّاءِ" ومنهاج التّوفيق : ٣٣٨ .

(٨) ش ش ٣/ ١١٦ .

ٱلسِّينَ مِنَ ٱلدَّالِ ، بِأَنْ قَلَبُوهَا زَايًا ، لِأَنَّ الزَّايَ مِنْ مَخْرَجِ ٱلسِّينِ وَمِثْلُهَا فِي ٱلصَّفِيرِ، وَتُوَافِقُ ٱلدَّالَ فِي ٱلْجَهْرِ، فَيَتَجَانَسُ ٱلصَّوْتَانِ " (١) ، وَقَالَ أَيْضًا فِي إِبْدَالِ السِّين صاداً قَبْلَ ٱلْأَصواتِ ٱلمستعلية : " فَأَبْدَلُوا مِنَ السِّينِ صَاداً ، لِأَنَّهَا تُوَافِقُ ٱلسِّينَ فِي ٱلْهَمْسِ وَٱلصَّفِيرِ ، وَتُوَافِقُ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفَ فِي ٱلْإِسْتِعْلَاءِ ، فَتَجَانَسَ ٱلصَّوْتُ بَعْدَ ٱلْقَلْبِ " (٢) ، ويصفُ هذا العملَ بقوله : " وَهٰذَا ٱلْعَمَلُ شَبِيهٌ بِٱلْإِمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ ٱلصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ " (١٠) ، وَذلِكَ يَجْعَلُ التَّجانسَ مظهرًا واضحًا مِنْ مظاهرِ المماثلة الجزئيّة . (٣)

ٱلتَّخْفِيفُ : يرى الرَّضيُّ أنّ التّخفيفَ هو ٱلهدفُ منْ مجموعِ التَّحولاتِ الصَّوتيّة جميعاً، بل ٱلأساسُ في أيّةِ عمليّة لغويّة . وعلى هذا يُمكنُ أنْ يكون التّخفيفُ أحدَ القوانين الّتي تُراعى في التَّطوراتِ الصَّوتيَّة من نحوِ الإعلال ، وتخفيفِ ٱلهمزة ، وبعض مظاهر الإبدال ، وكذلكَ يكونُ في ٱلتقاءِ السَّاكنين، وليس بالضّرورة أنْ تكونَ الحالةُ السَّابقةُ للتّخفيف مستثقلةً، ومن ٱلتَّخفيفِ ما ذكرَهُ قائلاً : " وَذَلِكَ لِأَنَّ ٱلْهَمْزَةَ حَرْفٌ مُسْتَثْقَلٌ، فَطَلَبَ ٱلتَّخْفِيفُ مَعَهَا أَكْثَرُ بَتَعْدٍ بل ٱلصَّوْتِ فِي مَجْمُوعِ ٱلْكَلِمَةِ " (٤) ، وقَالَ فِيهِ : " ٱلتَّخْفِيفُ بِٱلْآخِرِ أَوْلَى " (٥) ، وقالَ ايضا " ٱلطَّرَفُ ٱلَّذِي هُوَ مَحَلُّ ٱلتَّخْفِيفِ " (٦) وهو سبب الاعلال (٧) (٨) .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٣١ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٣٠ .

(٣) يستعمل الزّمخشريّ مصطلح ٱلتجانسين بمعنى ٱلتماثلين ، المفصل :٢٩٣، وشرح المفصل : ١٠ / ١٢١ ، ٥٢٦ ، شرح الجاربردي وحاشية ٱبن جماعة : ١ / ٢٣٥ .

(٤) ش ش ٣ / ١٣ .

(٥) ش ش ٣ / ٩٥

(٦) ش ش ٣ / ٨٦ .

(٧) ينظر ش ش ٣ / ٦٧ .

(٨) الكتاب ٤ / ٤٨١ ، ١١٣ .

تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ: وهو مصطلح لسُلُوكِ العَرَبِيّةِ الْحِجَازِيّةِ في التّخلّص من الْهَمْزَةِ حيث يشمل إِبْدَالَها، والحذفَ وبَيْنَ بَيْنَ (١)، وزادَ الرَّضِيُّ عليه مظهراً آخرَ في غيْرِ هذا الموضع، وهو التّخفيف بالقلب، قالَ الرَّضِيُّ: " فَيُقَالُ فِي يَسْأَلُونَ: يَاسَلُونَ، لِأَنَّ تَخْفِيفَهَا إِذَنْ بِالْقَلْبِ لَا بِالْحَذْفِ "(٢)، وهٰذا التّخفيفُ في نظرِ العربيّةِ الْفصحى موضع استحسانٍ، قالَ الرّضيُّ: " وَالتَّخْفِيفُ اسْتِحْسَانٌ "(٣) وجعلها أُولى المتفرعات ومن المستحسن في قراءة القُرْآنِ والأشْعار (٤) (٥) .

التَّرْقِيقُ: وهو أحدُ مظاهرِ الإمالة، قال الرَّضِيُّ: " التَّرْقِيقُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الفَتْحَةِ قَبْلَ الْأَلِفِ فَقَطْ "(٦)، حيثُ يُنحى بها نحو الكسرة . وهو هنا ليس مقابلاً لصفة التّفخيم (٧).

التَّسْهِيلُ: قالَ الرّضيُّ: " وَمَعْنَى التَّسْهِيلِ: أَنْ تَأْتِيَ بِهَا (يعني: الْهَمْزَةَ) بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَبَيْنَ حَرْفِ حَرَكَتِهَا، وَتَجْعَلَ الْحَرَكَةَ عَلَيْهَا مُخْتَلَسَةً سَهْلَةً بِحَيْثُ تَكُونُ كَالسَّاكِنَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْهَا "(٨)(٩).

التَّضْعِيفُ: وهو تكرارُ الْحرفِ بمجيئه بعدَ مماثِله سواءٌ على مستوى الْبِنْيةِ الصّرفيّة، أوْ مستوى النُّطقِ بها (الْمستوى الصَّوْتي)، وسواءٌ أكانَ الصّوتانِ مدغمَيْنِ أمْ غيرَ مدغمَيْن، فإنّه يُطلَق عليها هٰذا المصطلح، فمنه قَوْلُ الرَّضِيّ: " وَكَانَ حَقُّ الْحَاءِ أَنْ تَكُونَ أَقَلَّ فِي بَابِ التَّضْعِيفِ مِنَ الْغَيْنِ وَالْخَاءِ، لِأَنَّهُ أَنْزَلُ مِنْهُمَا فِي الْحَلْقِ لٰكِنَّهُ إِنَّمَا كَثُرَ نَحْوَ بَحَّ، وَزَحَّ، وَصَحَّ، وَفَحَّ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ لِكَوْنِهِ مَهْمُوسًا رَخْوًا "(١٠)، وقالَ أيضاً

---

(١) ش ش ٣/ ٣٠ ومابعدها .

(٢) ش ش ٣/ ٣٩ .

(٣) ش ش ٣/ ٣٢ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٥٤ .

(٥) في الكتاب: ٣/ ٥٤١، الشافية: ٢٤١، الايضاح: ٢/ ٣٣٣، مفتاح العلوم: ١٧٤ .

(٦) ش ش ٣/ ٤

(٧) لم اعثرعلى من أطلق هٰذه التسمية، ولعلّه أفادها من إطلاق التّفخيم على الفتح، شرح المفصل: ٩/ ٥٤

(٨) ش ش ٣/ ٤٥ .

(٩) ينظر التّحديد: ٩٩، منهاج التّوفيق: ٣٣٦

(١٠) ش ش ٣/ ٢٧٥ .

"إعْلَمْ أَنَّهُمْ يَسْتَثْقِلُونَ التَّضْعِيفَ غَايَةَ الإسْتِثْقَالِ، إِذْ عَلَى اللِّسَانِ كُلْفَةٌ شَدِيدَةٌ في الرُّجُوعِ إِلَى المَخْرَجِ بَعْدَ انْتِقَالِهِ عَنْهُ، وَلِهَذَا الثِّقَلِ لَمْ يَصُوغُوا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالأَفْعَالِ رُبَاعِيًّا أَوْ خُمَاسِيًّا فِيهِ حَرْفَانِ أَصْلِيَّانِ مُتَمَاثِلَانِ، لِثِقَلِ البِنَاءَيْنِ ، وَثِقَلِ المِثْلَيْنِ " (١)

وَذَلِكَ فِي نَحْوِ دَدَن وبَبَر، وبيد و التَّضعيفُ أَكثرَ تعبيراً عن الحالة قبلَ الإدغام، وذلك بقوله : "بَلْ إِنَّمَا ضَعَّفُوا حَيْثُ يُمْكِنُهُمْ الإِدْغَامُ ؟ وَذَلِكَ بِتَمَاثُلِ العَيْنِ وَاللَّامِ إِذْ الفَاءُ لَوْ أُدْغِمَ فِي العَيْنِ وَجَبَ إِسْكَانُهُ، وَلا يُبْتَدَأُ بِالسَّاكِنِ " (٢) (٣) .

تَقْرِيبُ الصَّوْتِ : وَهو المماثلة بشكلها العام والجزئية على وجه الخصوص ، إذ قال (مُشبِّهاً عمل تَجانسَ الصَّوْتَ بالإمالة) : " وَهَذَا العَمَلُ شَبِيهٌ بِالإِمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ الصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ " (٤) ، فهو بتعبيرٍ دقيقٍ الانسجامُ الصَّوتيُّ (٥) .

تَنَاسُبُ الأَصْوَاتِ : وجودُ علاقةٍ صوتيّة سواءٌ في المخرج، أم في الصّفة في عمليّة تجانس الصّوت بين الصّوتين المُتجاورَيْن مَعَ الصّوتِ المُختارِ، لأنْ يكونَ به بدلاً لأحدِهما، فهذه العلاقةُ بينَ هذه الأصواتِ الثلاثة هي (التّناسُبُ)، قال الرَّضيُّ في يَصْدُرُ (بابدالِ الصّادِ زاياً) : " فَتَنَاسَبَتِ الأَصْوَاتُ ، لِأَنَّ الزَّايَ مِنْ مَخْرَجِ الصَّادِ، وَأُخْتُهَا فِي الصَّفِيرِ، وَهِيَ تُنَاسِبُ الدَّالَ فِي الجَهْرِ، وَعَدَمِ الإِطْبَاقِ " (٦) (٧)

تَنَافُر : يُشيرُ الرّضيُّ بهذا المُصطلح إلى تَبايُنٍ في صِفاتِ صَوتيْن مُتجاورَيْن، وذلك مما يَتَكلَّفُ اللِّسانُ في إخراجِهما، فيتمُّ لأجْلِ هذا التّخلصُ من هذا التّنافر بقلب أحدِهما إلى صوتٍ يُناسبُ الآخرَ، قال الرَّضيُّ (في أحوالِ النُّون): (ثُمَّ

---

(١) ش ش ٣ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٣٩ .

(٣) في الكتاب: ٤ / ٤١٧ و ٣ / ٥٢٩ ـ ٥٣٠ ، شرح المفصل: ١٠ / ٥٥ : "ومَعْنَى التَّضعيفِ أنْ يَتَجَاوَرَ المِثْلَانِ".

(٤) ش ش ٣ / ٢٣١ .

(٥) في الكتاب ٤ / ١١٧ ، الخصائص: ٢ / ١٤٣ ، ٣ / ٦٦ ، التصريف الملوكي : ٩٣

(٦) ش ش ٣ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٧) ينظر شرح المفصل: ٩ / ٥٥ ، وتناسب الكلام في: سر الفصاحة: ١٧٧ ، ١٨٣ . وينظر المماثلة التناسبية في الفصل الثاني والثالث ، ١٠٤ و ١٦١ .

بعدَ ذَلِكَ (يعني بعدَ الإخفاءِ) إِنْ تَنَافَرَتْ هِيَ وَٱلْحَرفُ ٱلَّذِي يَجِيءُ بَعْدَهَا ، وَهِيَ ٱلْمِيمُ . . . . " (١) . ولم أجِدْ من ٱسْتعملَه غيرَه .

ٱلْحَذْفُ ٱلْإِعْلَالِيُّ : وهوسقوطُ الصَّائتِ لعلّةٍ ، قالَ الرَّضِيُّ : " يَعْنِي بِٱلْحَذْفِ ٱلْإِعْلَالِيِّ : مَاحُذِفَ مُطَّرِدًا لِعِلَّةٍ ، كَعَصًا ، وَقَاضٍ " . (٢) وهو ٱصْطلاح ٱلعلماءِ قبلَه حيثُ قَالَ : " وَقَدْ ٱشْتَهَرَ فِي ٱصْطِلَاحِهِمْ ٱلْحَذْفُ ٱلْإِعْلَالِيُّ لِلْحَذْفِ ٱلَّذِي يَكُونُ لِعِلَّةٍ مُوجِبَةٍ عَلَى سَبِيلِ ٱلْإِطِّرَادِ كَحَذْفِ ٱلِفِ عَصًا ، وَيَاءِ قَاضٍ " (٣) (٥) .

حَذْفُ ٱلْإِعْتِبَاطِ : (يُرادُ فيه مصطلح الحذف التَّرخيميّ) وهوَ ٱلحذفُ بِلا علَّةٍ في نحوِ يَدٍ ودَمٍ يَقولونَ عنه : " حذفُ ٱلإِعْتِبَاطِ " (٤) (٥) .

ٱلْحَذْفُ ٱلتَّرْخِيمِيُّ : قالَ الرَّضِيُّ في الحذفِ في نحوِ يدٍ ودمٍ " . . . وَٱلتَّرْخِيمِيُّ مَاحُذِفَ غَيرَ مُطَّرِدٍ كَمَا فِي يَدٍ وَدَمٍ " (٦) ، وهوٱصْطلاحُ العلماءِ المشهورُ عنْهم ، وقَال أيْضًا : " وَيَقُولُونَ لِهٰذَا أَيْضًا حَذْفٌ بِلا عِلَّةٍ ، وَحَذْفُ ٱلْإِعْتِبَاطِ " (٤) ، ومنه أيْضًا " حَذْفُ ٱلْعَيْنِ فِي سَهٍ وَمُذْ " (٧) (٨) .

ٱلْحَذْفُ نَسْيًا : من تتبعي لورود هذا المصطلح تبيّنَ لي : أنّ الرّضيّ يقصدُ به مايَعنيه من ٱلحذفِ بِلا علّة أوْ الحذفِ التّرخيميّ والاعتباطيّ ، فمثلاً في (فَمٍ) سقطتْ لَامُهُ نَسْيًا (٩) ، وفي تَصغيرِ عَطَاءٍ أيْ : عُطَيٌّ فإنّ سقوطَ ٱلْيَاءِ ٱلثَّالثةِ كانَ نَسْيًا (١٠) ، وفي ٱلأسماءِ ٱلْعَشرةِ ٱلّتي تَردِ فيها ٱلْهمزةُ وصلاً حيثُ لَامُها قدْ حُذِفَتْ نَسْيًا (١١) (٥) .

---

(١) ش ش ٣/٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، وينظر : ٣/٢١٦

(٢) ش ش ٣/٢٩٢

(٣) ش ش ٣/٦٧ .

(٤) ش ك ١/١٤٩

(٥) استعماله لها يشير الى وجودها قبله ، ولكني لم أقف على ذلك .

(٦) ش ش ٣/٢٩٢ وينظر ٣/٦٧ .

(٧) ش ش ١/٢١٩ .

(٨) في الكتاب ٢/٢٣٩ .

(٩) ش ك ١/٢٩٧ .

(١٠) ش ش : ١/٢٣١ ، ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥٨ .

(١١) ش ش ٢/٢٥١ .

حَرْفٌ مُنَاسِبٌ (مُتَوَسِّطٌ) : وهو ٱلحرف ٱلّذي يمتلك صفاتٍ منسجمةً مع ما قُلِب عنه، ومع ٱلصّوت ٱلمجاور ٱلّذي ٱستدعى هذا ٱلقَلْب لتنافر صفتيّ ٱلصّوتَيْن ٱلأصليَّيْن ؛ قال ٱلرّضيّ في (معهم) بعد أنْ ذكر تنافر ٱلعين والهاء : " فَطَلَبُوا حَرْفاً مُنَاسِباً لَهُمَا أَخَفَّ مِنْهُمَا، وَهُوَ ٱلحَاءُ . . . وَأَمَّا مُنَاسَبَتُهُ لِلْعَيْنِ، فَلِأَنَّهُمَا مِنْ وَسَطِ ٱلْحَلْقِ ، وَأَمَّا ٱلْهَاءُ فبالهمس والرخاوة "(١) وقال في أحوال النّون : " . . ثُمَّ بعد ذلك إِنْ تنافرت هي والحَرْفُ ٱلّذي يجيء بَعْدَهَا ، وهي ٱلباء فقط ، كما في عَنْبَر، قُلبت تلك النّونُ ٱلخفيّةُ إلى حرفٍ متوسطٍ بَيْنَ ٱلنّونِ ، وَذٰلِكَ ٱلحَرْفِ ، وَهِيَ ٱلمِيمُ "(٢) وقال أيضاً : " وَٱلنُّونُ ٱلْخَفِيَّةُ لَيْسَتْ إِلَّا فِي ٱلْغُنَّةِ ٱلَّتِي مُعْتَمَدُهَا ٱلْأَنْفُ فَقَطْ ، وَٱلْبَاءُ مُعْتَمَدُهَا ٱلشَّفَةُ، وَيَتَعَسَّرُ ٱعْتِمَادَانِ مُتَوَالِيَانِ عَلَى مَخْرَجَيِ ٱلنَّفَسِ ٱلْمُتَبَاعِدَيْنِ، فَطُلِبَتْ حَرْفٌ تُقْلَبُ ٱلنّونُ إِلَيْهَا مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ ٱلنُّونِ وَٱلْبَاءِ ، فَوُجِدَتْ هِيَ ٱلْمِيمُ ، لِأَنَّ فِيهِ ٱلْغُنَّةَ كَٱلنُّونِ ، وَهُوَ شَفَوِيٌّ كَٱلْبَاءِ "(٣) ، ولم أقف على من سبقه إلى هذا ٱلإِصطلاح .

ٱلسَّاكِنُ : تستند فكرة هذا ٱلمصطلح على وجود الحركة بعد ٱلحرف، أو عدمها، فٱلحرف ٱلّذي لم تعقبْه إحدى ٱلحركات يُوصَف بأنّه ساكن، أمّا إذا أعقبته إحداها، فهو متحرّك ، وعلى هذا ٱلأساس بنى الرّضيّ وبقيّة علماء ٱلعربيّة فكرتهم عن ٱلسّاكن ، بل إنّ نظرتهم إلى ٱلبِنْية ٱلمقطعيّة تمّ على هذا ٱلأساس ، وعليه فإنّ ٱلمصطلح يشمل بالضرورة أصوات ٱلمدّ ٱلّتي لا يُمكن أنْ تعقبها أيّة حركة ، قال الرضي : " ٱلسَّاكِنُ إِمَّا حَرْفُ ٱلعِلَّةِ أَوْ حَرْفٌ صَحِيحٌ "(٤) ، ومثّل لحروف العلّة بالمدّيّات في (ٱلقَاضِي وَٱلْغُلَامُ وَيَغْزُو)، ولأجل عدم تحرّكها أبداً، فهو يصفها بأنّها عَرِيقَةٌ فِي ٱلسُّكُونِ(٥) ، وقال ٱلرّضيّ : " فِيمَا لَا يَجُوزُ تَحْرِيكُهُ ٱلأَلِفُ وَٱلوَاوُ وَٱليَاءُ ٱلزَّائِدَتَانِ فِي بِنْيَةِ ٱلكَلِمَةِ إِذَا كَانَتَا مَدَّتَيْنِ "(٦) ، وهو مصطلح كثير ٱلتّداول في ٱلدّرس ٱللّغوي .

ٱلسَّلَاسَةُ : قال ٱلرّضيّ في سبب ٱستهجان ٱلتفرع الصّوتيّ (ٱلْجيم كَٱلشّين في نحو: ٱجْتَمَعُوا، وأَجْدَر) : " وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْجِيمِ وَٱلدَّالِ، وَلَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلتَّاءِ تَبَايُنٌ

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦٦ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٧٢ .
(٣) ش ش ٣ / ٢١٦ .
(٤) ش ك ٢ / ٤١٠ .
(٥) للالف ش ش ١ / ٢١٤، وللواو والياء ش ش ٢ / ٢٢٩ ، قال " وَاوُ ٱلضَّمِيرِ وَيَاؤُهُ فَإِنَّهُمَا عَرِيقَانِ فِي ٱلسُّكُونِ " .
(٦) ش ش ٣ / ٣٣ .

بَلْ هُمَا شَدِيدَتَانِ ، لِكِنَّ ٱلطَّبْعَ رُبَّمَا يَمِيلُ لِاجْتِمَاعِ ٱلشَّدِيدَيْنِ إِلَى ٱلسَّلَاسَةِ وَٱللِّينِ ، فَيُشْرِبُ ٱلْجِيمَ مَا يُقَارِبُهُ فِي ٱلْمَخْرَجِ ، وَهُوَ ٱلشِّينُ " (١) ، فٱلْمصطلح يعبّر عن ميل نحو ٱلحدّ ٱلأدنى مِن ٱلْجهد ، بٱلتّخلّص منَ ٱلشّديدَيْنِ ٱلْمتجاورَيْنِ إلى تتابع : رخوٍ وشديدٍ . ولم أقف على من ٱستعمله قبله في مثل هٰذا ٱلْموضع .

ٱلفَصْـــلُ : ٱلنّطق بٱلْمثلَيْنِ مستقليْن من غير إدغام ، لوجود ٱلْحركةِ ٱلْفاصلــــة
قال (معلقاً على كلام ٱلْمصنّف إنّ ٱلْإدغام يتمّ بإتيان حرفين : ساكن ومتحـــرك) : "يَعْنِي أَنَّ ٱلْمُتَحَرِّكَ يَكُونُ بَعْدَ ٱلسَّاكِنِ ، وَإِلَّا لَيْسَ بُدٌّ مِنَ ٱلْفَصْلِ : أَيْ فَكِّ أَحَـــدِ ٱلْحَرْفَيْنِ مِنَ ٱلْآخَرِ ، لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ " (٢) (٣) .

فَكُّ ٱلْحَرْفَيْـــنِ : وَهُو يرادفُ ٱلْفَصْلَ (٤) .

ٱلْقَلْـــبُ : وهو مصطلحٌ ذو دلالات متعدّدة ، ترتبط بدلالة عامّة على مطلق إبدال حرف من حرف ، قالَ ٱلرّضيّ في قلب الصّحاح : " فَطَلَبْتُ حَرْفاً تُقْلَـــبُ ٱلنُّونُ إليها " (٥) ، وقال (يستعمل ٱلْقلب بمعنى ٱلْإعلال) : " قَلْبُ ٱلْعَيْـــنِ في فَعَلٍ نَحْوُ : دَارٍ ونَارٍ وَنَابٍ " (٦) ، وقد كثُر ٱستعماله لهاتين الدّلالتَيْنِ فـــي موضوعات كتابه : ٱلْإبدال وٱلْإعلال وٱلْإدغام) .
ويستعمله ٱلرّضيّ بدلالة أُخرى محدّدة ، وقد خصّص له جزءاً من كتابه ، وهو ذلك ٱلْقلب ٱلّذي عُرف (ٱلْقَلْب ٱلْمكانيّ) حيث حدّده قائلاً : " أَقُولُ : يَعْنِي بِٱلْقَلْبِ تَقْدِيمَ بَعْضِ حُرُوفِ ٱلْكَلِمَةِ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَتَّفِقُ ٱلْقَلْبُ فِي ٱلْمُعْتَلِّ وَٱلْمَهْمُوزِ " (٧) ، ومثّل له بـ (ٱكْرَهَفَّ وَٱضْحَلَّ أمام ٱكْفَهَرّ وَٱضْمَحَلَّ) ، وعلى هذا فإنّه لا يسلّم بمـــا ٱصطلح عليه ٱلصّرفيون من دلالة القلب ٱلّذي ذكره في مقدمة ٱلْإعلال حيثُ قـــال :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٦ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٣٤ .
(٣) في الكتاب : ٤ / ٤٣٨ و ٤٤٣ ، شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .
(٤) في الكتاب : ١ / ٤١٣ .
(٥) ش ش ٣ / ٢١٦ ، وينظر : ٣ / ٢٦٤ " ٱلْقَلْبُ مُقَدِّمٌ لِلْإدغام " .
(٦) ش ش ٣ / ٢٤٢ ، وينظـــر ٣ / ٩٥ و ١٥٧ .
(٧) ش ش ١ / ٢١ .

" لَفْظُ ٱلْقَلْبِ يَخْتَصُّ في ٱصْطِلَاحِهِم بِإِبْدَالِ حُرُوفِ ٱلْعِلَّةِ وَٱلْهَمْزَةِ بَعْضِهَا مَكَانَ بَعْضٍ " (١) (٢) .

لَا أَبْنِيَةَ وَلَا أَحْوَالَ أَبْنِيَةٍ : قال ٱلرّضيّ (وهو يقسّم موضوعات علم ٱلصّرف) : " فَهٰذِهِ ٱلْمَذْكُورَاتُ (يعني : ٱلابتداء وٱلإمالة ...) أَحْوَالُ أَبْنِيَةٍ ، وَبَاقِي مَا ذُكِرَ هُوَ ٱلْأَبْنِيَةُ إِلَّا ٱلْوَقْفَ وَٱلْتِقَاءَ ٱلسَّاكِنَيْنِ فِي كَلِمَتَيْنِ وَٱلإِدْغَامَ فِيهِمَا، فَإِنّ هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةَ لَا أَبْنِيَةَ وَلَا أَحْوَالَ أَبْنِيَةٍ " (*) ، إذ يشير به إلى مجموعة ٱلتّحولات ٱلصّوتيّة ٱلّتي تتجاوز مستوى ٱلبناء ٱلمفرد إلى مستوى ٱلتّركيب (ٱلنّحو)، ويمكن أنْ يكون ٱلمصطلح مرادفاً ماعُرِف عند ٱلمحدثين بالظّاهرة ٱلنّحويّة ٱلتّشكيلية (**) ؛ ولم يسبق ٱلرّضيّ إلى مثل هذا بحسب تتبعي .

ٱلمُتَقَارِبَةُ : يقصد ٱلرّضيّ بهذا ٱلمصطلح ماكان من ٱلأصوات متقارباً مخرجياً ؛ إذ هو ٱلأساس في هذا ٱلتّقارب، وماكان من ٱلتّقارب في ٱلصّفات، فإنّه يُحمل عليه، قال ٱلرّضيّ (في ادغام السين في الشين) " لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلصَّوْتِ، فَكَأَنَّهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وإِن تَبَاعَدَ مَخْرَجَاهُمَا " (٣) ، وقال أيضاً : " فَجَعَلَ ٱلتَّقَارُبَ فِي ٱلصِّفَةِ كَٱلتَّقَارُبِ فِي ٱلْمَخْرَجِ " (٤) ، وقد جعل قياس إدغام حروف ٱلحلق مستنداً الى هذا ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ بإدغام ٱلأدخل في ٱلأعلى (٥) وقال في مقدمة إدغام ٱلمتقاربين : " أَقُولُ : شَرَعَ فِي بَيَانِ إِدْغَامِ ٱلْمُتَقَارِبَةِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ ... " (٦) وقال أيضاً : " إِذَا ٱجْتَمَعَ مِنَ ٱلْمُتَقَارِبَةِ شيئان : فَإِنْ كَانَا فِي كَلِمَتَيْنِ نَحْوُ: مَنْ مِثْلُكَ ، فَإِنَّهُ يُدْغَمُ أَحَدُهُمَا فِي ٱلْآخَرِ ... " (٧) (٨) .

ٱلمُتَحَرِّكُ : (ينظر مصطلح ٱلسّاكن)، ويمكن أنْ تُوصف به جميع ٱلحروف ٱلصّحاح من ٱلنّاحية ٱلنّظريّة، وكذلك تُوصف به ٱلواو وٱلياء في حالة قلّة مدّها ، ويرى ٱلرّضيّ : " ... إِنّ ٱلْحَرَكَةَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ بَعْضُ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ ٱلْمُتَحَرِّكِ بِلَا فَصْلٍ " (٩) ، وهو من ٱلإصطلاحات ٱلشّائعة في ٱلدّرس اللغوي .

ٱلمُجَانَسَةُ : بمعنى ٱلإتباع، فعند ٱلرّضيّ أنّ كسر ميم (عليهمِ) بعد ٱلهاء ٱلمضمومة للمجانسة مع ٱلياء. (١٠) (١١)

ٱلمُضَارَعَةُ : قال ٱلرّضيّ : " إِذَا تَحَرَّكَتِ ٱلصَّادُ وَبَعْدَهَا دَالٌ أُشِمَّ ٱلصَّادُ صَوْتَ ٱلزَّايِ، وَلَا يَجُوزُ قَلْبُهَا زَاياً صَرِيحَةً، لِوُقُوعِ ٱلْحَرَكَةِ فَاصِلَةً بَيْنَهُمَا وَأَيْضاً فَإِنّ ٱلْحَرْفَ يَقْوَى بِٱلْحَرَكَةِ فَلَمْ يُقْلَبْ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْمُضَارَعَةُ بِٱلْمُجَاوَرَةِ " (١٢) وذلك في صَدَقَ وَصَدَرَ . وقال أيضاً (في يزدل) وإنّه لايجوز " أَنْ تُشْرَبَ ٱلسِّينُ صَوْتَ ٱلزَّايِ ، كَمَا يُفْعَلُ ذلكَ فِي ٱلصَّادِ ، نَحْوَ يَصْدُرُ ، لِأَنَّ فِي ٱلصَّادِ إِطْبَاقاً ، فَضَارَعُوا لِئَلَّا يَذْهَبَ ٱلإِطْبَاقُ بِٱلْقَلْبِ " (١٣).

---

(١) ش شر ٣/ ٦٧ .

(٢) في الكتاب ٤/ ٣٦٤ ، ٤٤٧ و ٣/ ٣٦٥ - ٣٦٨ ، الخصائص : ٢/ ٦٦ و ٦٩ ، ٣/ ١٦٣ ، ١/ ٦٤ ، المفصل : ٣٩٦ ، الايضاح : ٢/ ٤١٩ ، ٤٩٢ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٧٨ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٧١ .

(٥) (٦) ش ش ٣/ ٢٦٤ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٦٧ .

(٨) في الكتاب : ٤/ ٤٤٧ ، الخصائص : ٢/ ٤٩٦ ، الايضاح : ٢/ ٤٨٠ ، المقرب : ٣٦٠

(٩) ش ش ١/ ١١٨ .

(١٠) ش ك ٢/ ١٢ . (١١) في الانصاف : ٢/ ٧٣٨ . (١٢) ش ش ٣/ ٢٣٢ .

(١٣) ش ش ٣/ ٢٣١ .

(*) ش ش ١/ ١٥ .

(**) اسس علم اللغة : ١٠٧ ، حاشية (٢) .

فالمضارعة الظاهرة الصوتية التي وسيلتها الإشمام أو الإشراب، وهي عنده قريبة على خط الإمالة فقد قال: " جَعَل الصاد مُضارِعاً لِلزَّاي ، بأنْ يُنْحَى بالصادِ نَحْوَ الزَّاي "(١) كما يُنحى بالفتحة نحو الكسرة . (٢)

مَقاطِعُ الكَلام : وهي نهايات السلاسل الصوتية (أي : فواصلها) ، قال الرضي : "يَعْنِي بالكَلام ما لا وَقْفَ فيه، وبالفَواصِلِ رُؤُوسَ الآي وَمَقاطِعَ الكَلام "(٣) (٤) .

المُناسَبَة : يستعمل الرضي هذا المصطلح للاشارة إلى مطلق التشابه الصوتي، كما في الإمالة التي قال فيها : " وَسَبَبُ الإمالَةِ إمَّا قَصْدُ مُناسَبَةِ صَوْتٍ نُطْقِكَ بالفَتْحَةِ لِصَوْتِ نُطْقِكَ بالكَسْرَةِ التي قَبْلَها كَعِمَادٍ ، أوْ بَعْدَها كَعَالِمٍ ، أوْ لِصَوْتِ نُطْقِكَ بالياء كَسَيَّالٍ وَشَيْبَانَ ، أوْ قَصْدُ مُناسَبَةِ فاصِلَةٍ لِفاصِلَةٍ مُمالَةٍ ، أوْ قَصْدُ مُناسَبَةِ إمالَةٍ لإمالَةٍ قَبْلَ الفَتْحَةِ، أوْ قَصْدُ مُناسبةِ صَوْتِ نُطْقِكَ بالأَلِفِ بِصَوْتِ نُطْقِكَ بِأَصْلِ تِلْكَ الأَلِفِ "(٥) وقال الرضي : " مُناسَبَةُ حُرُوفِ العِلَّةِ بَعْضِها لِبَعْضٍ أكْثَرُ "(٦) (٧) .

نَسَقٌ واحِدٌ : وهو تساوي الجهد المبذول عند النطق بصوتين متتاليين ، حيث قال الرضي في سبب إظهار النون مع حروف الحلق : " لأنَّ حَرْفَ الحَلْقِ يَحْتَاجُ إلى فَضْلِ اعْتِمادٍ، فَتَجْرِي النُّونُ عَلَى أَصْلِها مِنْ فَضْلِ الاعْتِمادِ لِيَجْرِيَ الاعْتِمادُ عَلَى نَسَقٍ واحِدٍ "(٨) ولم أقف على سابق له في استعماله ههنا .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٢ .

(٢) في الكتاب: ٤/ ٤٧٧، سر الصناعة : ١/ ٥٨ ، الشافية : ٢٥٠ ، شرح الجاربردي : ١/ ٣٢٥، وحاشية ابن جماعة: ١/ ٣٢٥ .

(٣) ش ش ٢/ ٣٠٢ .

(٤) ينظر : الصناعتين : ٤٣٨ .

(٥) ش ش ٣/ ٥ .

(٦) ش ك ٢/ ١٦٢ .

(٧) استعملها أولاً ابن الحاجب في الشافية : ٢٣٩ ، ش ش ١/ ٤، في (المتن) .

(٨) ش ش ٣/ ٢٧٣ .

نَقْلُ ٱلْحَرَكَةِ : وهو مصطلح ٱلْقلب ٱلْكاني بين ٱلصّحاح وٱلْحركات ،وهو سلوك واضح في ظاهرة ٱلْإعلال،وفي الوقف مع سكون ٱلْحرف ٱلسّابق . قال الرّضيّ : " ... وَكَذَا فِي نَقْلِ حَرَكَةِ ٱلْعَيْنِ ٱلْمَزِيدِ فِيهِ إِلَى ٱلسَّاكِنِ ،كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا فِي ٱلْإِقَامَةِ وَٱلْإِسْتِقَامَةِ ، فَإِنَّ فِيهِ قَلْباً وَنَقْلاً ... " (١) ، وقال : " ... وَبَعْدَ ٱلْإِسْكَانِ تُنْقَلُ ٱلْحَرَكَةُ إِلَى ذَلِكَ ٱلسَّاكِنِ ٱلْمُتَقَدِّمِ تَنْبِيهاً عَلَى ٱلْبِنْيَةِ " (٢)، وقال في أنواع ٱلْوقف: " ... وَهِيَ : ٱلْإِسْكَانُ ، وَٱلرَّوْمُ ، وَٱلْإِشْمَامُ وَ.. نَقْلُ ٱلْحَرَكَةِ " (٣)، وقال أيضاً: " فَإِنْ كَانَ مَاقَبْلَهَا سَاكِناً ،نَقَلُوا حَرَكَتَهَا إِلَى مَاقَبْلَهَا وَحَذَفُوهَا " (٤) (٥) .

ٱلْوَقْفُ : قال الرّضيّ بعد ذكر وجوه ٱلْوقف: " .. فَإِنّ هَٰذِهِ ٱلْمَذْكُورَاتِ أَحْكَامُ ٱلْوَقْفِ : أي ٱلسّكُونِ عَلَى آخِرِ ٱلْكَلِمَةِ مُخْتَاراً ، لِتَمَامِ ٱلْكَلَامِ " (٦)، وفي حدّ ٱبن ٱلْحاجب : " قَطْعُ ٱلْكَلِمَةِ عَمَّا بَعْدَهَا " ، قال ٱلرّضيّ : " قَوْلُهُ : (عَمَّا بَعْدَهَا) يُوهِمُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ ٱلْوَقْفُ عَلَى كَلِمَةٍ إِلَّا وَبَعْدَهَا شَيْءٌ " (٦) (٧) .

ٱلْوَقْفُ ٱلصِّنَاعِيُّ : وهو الوقف الّذي يعمله المتكلم ٱلّذي لايفيدُ ٱلْأنتهاء من الكلام، قال ٱلرّضيّ : " وَلَا يُرِيدُ بِٱلْوَقْفِ ٱلْوَقْفَ ٱلصِّنَاعِيَّ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ إِلَّا عَلَى ٱلسَّاكِنِ أَوْ شِبْهِهِ مِمَّا يُرَامُ حَرَكَتُهُ ، بَلْ يُرِيدُ بِهِ ٱلسُّكُوتَ وَٱلْإِنْتِهَاءَ " (٨) (٩) .

ٱلْمُصْطَلَحَاتُ ٱلصَّوْتِيَّةُ ٱلْعَامَّةُ :

ٱلْإِشْبَاعُ : وهو مصطلح مطل ٱلْحركاتِ بإطالة التّصويت بها فيتولّد عنها أصوات ٱلْمدّ ٱلْمجانسة لها ،قالَ الرّضيّ : " ٱلْفَتْحُ يُشْبَعُ فَيَتَوَلَّدُ ٱلْأَلِفُ " (١٠) ،وقال : " ... وَإِشْبَاعُ ٱلضَّمِّ وَإِشْبَاعُ ٱلْكَسْرِ ... " (١١) ،وقالَ (في ٱلْمجهورة) :

---

(١) ش ش ٣ / ١٥٦ ـ ١٥٧ .
(٢) ش ش ٢ / ٣٢١ .
(٣) ش ش ٢ / ٢٧١ .
(٤) ش ش ٢ / ٣١٤ .
(٥) ٱستعمله ٱبن ٱلحاجب،ش ش ٢ / ٣٢١ (المتن) ،الايضاح ٢ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، شرح المفصل :٩ / ٧١ ـ ٧٢ .
(٦) ش ش ٢ / ٢٧١ .
(٧) في الكتاب :٤ / ١٧٣ ،حاشية الصّبان :٤ / ٢٠٣ ، التّعريفات : ١٣٨ ، لطائف الإشارات : ٢٤٨ .
(٨) ش ش ٢ / ٢٥١ .
(٩)
(١٠) ش ك ٢ / ١٢ ،وأيضاً ٢ / ٤٠ ،٢٠٣٤ ،٢٠٥ ،٢٣٠ .
(١١) ش ك ٢ / ٩ .

"وتُمْتَحَنُ ٱلْمَجْهُورَةُ بِأَنْ تُكَرِّرَهَا مَفْتُوحَةً أَوْ مَضْمُومَةً أو مَكْسُورَةً رَفَعْتَ صَوْتَكَ بِهَا أَوْ أَخْفَيْتَهُ؛ سواءٌ أَشْبَعْتَ ٱلْحَرَكَاتِ حَتَّى تَتَوَلَّدَ ٱلْحُرُوفُ ، نَحْوَ قَاقَاقَا ، وقُوقُوقُو ، وقِي قِي قِي ، أَوْلَمْ تُشْبِعْهَا نَحْوَ قَقَقَ ... "(١) ،وقال أيضاً : " وإنَّمَا جَازَ إشْبَاعُ ٱلْحَرَكَاتِ لِأَنَّ ٱلْوَاوَ وَٱلْأَلِفَ وَٱلْيَاءَ أَيْضاً مَجْهُورَةٌ فَلَا يَجْرِي مَعَ صَوْتِهَا ٱلنَّفَسُ " (١)
ومنه ٱستفدتُ دلالةَ إشباع ٱلْإعْتماد كما مرَّ في مصطلح ٱلْاعتماد (٢) .

ٱلتَّصْوِيتُ : وهو عملية إنتاج ٱلصّوت سواءٌ أكان ٱلصّوتُ لغويّاً أم غير لغويٍّ ،قال ٱلرّضيّ : " ٱلْمَجْهُورَةُ لَا ٱعْتِبَارَ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ ٱلصَّوْتِ ، بَلْ ٱلْاِعْتِبَارُ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ ٱلنَّفَسِ عِنْدَ ٱلتَّصْوِيتِ بِهَا "(٣) ،وقالَ في ٱلأصوات ٱلّتي يستعملها ٱلْإنسان مع ٱلْحيوان : " ... مقارناً ذلِكَ ٱلتَّصْوِيتَ عَلَى ذَلِكَ ٱلْأَمْرِ ، إِمَّا بِضَرْبِهِ أَوْ تَأْدِيبِهِ "(٤)(٥)

جَرْسُ ٱلْحَرْفِ : يبدو أنّ ٱلرّضيّ يشير بهذا ٱلْمصطلح إلى ٱلْانطباع ٱلسّمعيّ ٱلْمميّز لهذا ٱلصّوت أو ذاك ،فهو لهذا تعبيرٌ عن مجمل صفات ٱلصّوت ٱلْمنطوق ؛ قال ٱلرّضيّ "وَذَلِكَ لِأَنَّ ٱلْحَرْفَ أَوِ ٱلْحَرَكَةَ ٱلَّتِي تَلِي ٱلْحَرْفَ تُبِينُ جَرْسَهُ "(٦) ،وقال أيضاً : " لِأَنَّ أَخْذَكَ فِي جَرْسِ حَرْفٍ آخَرَ يُبَيِّنُ جَرْسَ ٱلْأَوَّلِ ،وَإِنْ كَانَ خَفِيّاً "(٧)(٨)

جَرْيُ ٱلصَّوْتِ : وهو ٱستمرار التّصويت بسبب ٱستمرار خروج هواء ٱلزّفير ،وهو من الاعتبارات المهمة في تمايز الاصوات ،قال ٱلرّضيّ : " وَٱلْمَجْهُورَةُ لَا ٱعْتِبَارَ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ ٱلصَّوْتِ "(٣) ،وقال أيضاً : " فَإِذَا أَشْبَعْتَ ٱلْاعْتِمَادَ، فَإِنْ جَرَى ٱلصَّوْتُ كَمَا فِي ٱلضَّادِ وَٱلظَّاءِ وَٱلزَّايِ وَٱلْعَيْنِ وَٱلْغَيْنِ وَٱلْيَاءِ، فَهِيَ مَجْهُورَةٌ رَخْوَةٌ ، وَإِنْ أَشْبَعْتَهُ وَلَمْ يَجْرِ ٱلصَّوْتُ كَٱلْقَافِ وَٱلْجِيمِ وَٱلطَّاءِ وَٱلدَّالِ، فَهِيَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ "(٩) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٩ .
(٢) في الكتاب: ٤/ ٢٠٢ ،ادغام ٱلْقراء : ٩ ،إعرابُ ٱلْقرآن المنسوب : ١/ ٢٢٠ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٦٠ .
(٤) ش ك ٢/ ٨٠ .
(٥) في الايضاح ٢/ ٤٨٦ ، الموضح : ٩٩ .
(٦) ش ش ٢/ ٣١١ .
(٧) ش ش ٢/ ٢٨٦ .
(٨) في العين: ١/ ٥٣ ، ٥٦ ، التّهذيب: ١/ ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، الجمهرة ١/ ٨ ،نقل عن الإخفش : ٱلْألفُ جَرْسٌ بِلا حَرْفٍ، الخصائص: ١/ ٥٧ ، لطائف الاشارات : ١/ ٢٠٢: فكأنَّه ٱلْحرفُ الصَّوتيّ .
(٩) ش ش ٣/ ٢٥٨ .

وعدم جري ٱلصّوت لا يعني ٱحتباسه وتوقفه بل إنّه يُسْمَعُ في آنٍ ثُمّ ينقطع ،قال الرّضيّ : "أَنَّ ٱلشّدِيدَةَ لا يَجْرِي ٱلصَّوْتُ عِنْدَ ٱلنُّطْقِ بِهَا بَلْ تَسْمَعُهُ فِي آنٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ" (١) (٢) .

جَرْيُ ٱلنَّفَسِ : يستعمله ٱلرّضيّ خاصاً به ٱلأصوات ٱلْمجهورة وٱلْمهموسة ، فهو ذو دور متميّز في تباين ٱلأصوات ٱللّغوية ، قال الرّضيّ في ٱمتحان ٱلْمجهورة : " .. فَإِنَّكَ تَرَى ٱلصَّوْتَ يَجْرِي وَلَا يَنْقَطِعُ ، وَلَا يَجْرِي ٱلنَّفَسُ إِلَّا بَعْدَ ٱنْقِضَاءِ ٱلِٱعْتِمَادِ وَسُكُونِ ٱلصَّوْتِ ، وَأَمَّا مَعَ ٱلصَّوْتِ فَلَا يَجْرِي ذَٰلِكَ ، لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ ٱلْخَارِجَ مِنَ ٱلصَّدْرِ – وَهُوَ مَرْكَبُ ٱلصَّوْتِ – يَحْتَبِسُ إِذَا ٱشْتَدَّ ٱعْتِمَادُ ٱلنَّاطِقِ عَلَى مَخْرَجِ ٱلْحَرْفِ ، إِذِ ٱلِٱعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ ، يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ ، وَإِنَّمَا يَجْرِي ٱلنَّفَسُ إِذَا ضَعُفَ ٱلِٱعْتِمَادُ" (٣) ، وفي علامة ٱلْجهر قال : " وَعَلَامَتُهُ عَدَمُ جَرْيِ ٱلنَّفَسِ " (٤) فجري ٱلنّفس إذن هو : خروج ٱلْهواء ٱلْقادم من ٱلصّدر من ٱلْممرّ ٱلْمخرجيّ إلى خارج ٱلْفم (٥) .

جَوْهَرُ (ٱلْحَرْفِ) : وهو مصطلح ٱلْكيان ٱلأساسي لِلصّوت ٱلْمعين ٱلْمستقلّ عن بقية ٱلأصوات ، وهو ٱلتّحقيق ٱلْفعليّ لِلصّوت عند ٱلنُّطق ، إذ قال ٱلرّضيّ : " وَٱلْأَصْلُ عَدَمُ إِخْرَاجِ ٱلْحَرْفِ عَنْ جَوْهَرِهِ " (٦) ، وقُلْتُ ٱلتّحقيق ٱلْفعليّ ، لأنّ ٱلرّضيّ يقول : " وَٱلتَّحْقِيقُ هُوَ ٱلْأَصْلُ كَسَائِرِ ٱلْحُرُوفِ " (٧) ، وقال (مُشيراً إلى أنّ ٱلْجوهر هو صفات ٱلصّوت ، وذٰلك في وصفه لِلْمهموسة) : " إِنَّ جَوْهَرَهَا لِضُعْفِ ٱلِٱعْتِمَادِ عَلَى مَخَارِجِهَا لَا يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ " (٣) وإذا كانت ٱلأصوات عند ٱلْفصل عن بعضها يظهر جوهرها (٨) ، فإنّ وجود ٱلْحركة تابعة لها تسلبها شيئاً منه ، لأنّها كما قال الرّضيّ : " تَفُتُّ فِي عَضُدِهَا وَتُشْرِبُهَا شَيْئاً مِنْ جَوْهَرِ نَفْسِهَا ، وَتُمِيلُهَا إِلَى مَخْرَجِهَا قَلِيلاً " (٩) ، وهو إدراك لِلتّأثيرات ٱلْموقعيّة على كيان ٱلأصوات ، وأنّه غير مسبوق بهذا ٱلاصطلاح .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦٠ .

(٢) في الكتاب : ٤ / ٣٤ ، وينظر : حدّ الشّديدة والرّخوة عند متابعي سيبويه .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٦٠ .

(٥) في الكتاب : ٤ / ٤٣٤ ، (وجميع تعريفات ٱلْمجهور وٱلْمهموس لِلّذين تبعوا سيبويه) .

(٦) ش ش ٣ / ٤٥ .

(٧) ش ش ٣ / ٣٢ .

(٨) ش ش ٣ / ٧ .

(٩) ش ش ٣ / ١٠ .

ٱلْحَـــرْفُ : قالَ الرَّضِيّ : " وَٱلْحُرُوفُ هَيْئَةٌ عَارِضَةٌ لَهُ (يعني ٱلصّوت ٱلسّاذج) " (١) (٢) (وسيأتي ٱلصّوت ٱلسّاذج) فعبر آليّة ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة يتمّ إحداث هيئات للصّوت غير ٱلْمتميّز بعضه عن بعض،وهو مصطلح قديم في ٱلدّرس ٱللّغويّ ٱلْعربيّ .

ٱلـــدَّرْجُ : وهو مصطلح لعملية ٱستمرار ٱلْحدث ٱلْكلاميّ ، قال الرّضيّ في نحو تَتَنَزَّلُ وَتَنَزَّلُ " وَإِذَا أَدْغَمَ لَمْ يَجْتَلِبْ لَهُ هَمْزَةَ ٱلْوَصْلِ كَمَا فِي ٱلْمَاضِي،لِثِقَلِ ٱلْمُضَارِعِ،بِخِلَافِ ٱلْمَاضِي بَلْ لَا يُدْغِمُ إلّا فِي ٱلدَّرْجِ،لِيُكْتَفَى بِحَرَكَةِ مَاقَبْلَهُ نَحْو:قالَ تَّنَزَّلُ " (٣) ، وقال أيضاً : " فَلَابُدَّ مِنْ سُقُوطِ أَلِفِ ٱللّهِ فِي ٱلدَّرْجِ " (٤) (يَعْنِي ٱلْهمزة) (٥) .

ٱلصَّـــوْتُ : ويقصد به ٱلْانطباع ٱلسّمعيّ ٱلْمميّز لكلّ حرفٍ من ٱلْحروف،فلذلك يرادف ٱلرّضيّ به معنى ٱلْحرف،فنراهُ يُطْلِقُ على ٱلْجهازِ ٱلصّوتيّ مرةً (آلة الحروف)،ومـــرةً أخرى (آلة ٱلصّوت)،وقد ٱستعمله بشكل محدودٍ جداً ما يمكن أنْ يُشير به إلى ٱلصَّفير أو ٱلرّخاوة ، حيثُ قال عن الشين والسين : " لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلصَّوْتِ " (٦) أو يُشير به إلى مجموعةِ ٱلْأصوات غير ٱللّغويّة كأصوات ٱلْجمادات،وما يُصَوَّتُ به لِلْحيوان ، ويأتي مثـــلَ هذا محدداً بمابعده.(٧) (٨) .

ٱلصَّوْتُ ٱلسَّاذِجُ : يعتقد ٱلرّضيّ أنّ ٱلْأصوات في مادّتها الأوّليّة ساذجة بسيطةٌ غير مركّبة،فهي لأجل هذا غير متميّزة عن بعضها ، إذْ قالَ : " لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ ٱلسَّاذِجَ ٱلَّذِي هُوَ مَحَلُّ ٱلْحُرُوفِ ـ وَٱلْحُرُوفُ هَيْئَةٌ عَارِضَةٌ لَهُ ـ غَيْرُ مُخَالِفٍ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ فِي ٱلْحَقِيقَةِ . . . فَإِذَا كَانَ سَاذِجُ ٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ لَيْسَ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَلَوْلَا ٱخْتِـــلَافُ أَوْضَاعِ آلَةِ ٱلْحُرُوفِ . . . لَمْ تَخْتَلِفْ ٱلْحُرُوفُ ، إِذْ لَا شَيْءَ هُنَاكَ يُمْكِنُ ٱخْتِلَافُ ٱلْحُرُوفِ بِسَبَبِهِ إِلَّا مَادَّتَهَا وَآلَتَهَا " (٢) وقال فيما يصوّت به لِلْحيوان : " وَإِنَّمَا ضَمُّوا لِمِثْـــلِ

---

(٢) شرش ٣/ ٢٥٠ .
(١) يبدو لي أنّ أوّل من قدّم من نحوهذه ٱلصّياغة هو ٱبنُ سينا (أسباب حدوث ٱلْحروف: ٦٠)
(٣) ش ش ٣/ ٢٤٠ وينظر ٢/ ٢٢٤ ، ٢٧٦ .
(٤) ش ش ٢/ ٢٩٣ .
(٥) يستعمل الكتاب هنا مصطلح الكلام:(٤/ ١٥٠) وقد ٱستعمله ٱلرّمانيّ في:منازل الحروف : ٢٤ " لِأَنَّكَ تُثبتُهَا في درج ٱلْكَلام . . . "
(٦) ش ش ٣/ ٢٧٨ .
(٧) ش ك ٢/ ٨٠ .
(٨) في الكتاب : ٤/ ٣٥٤ ، سر ٱلصّناعة: ١/ ٩ ، شرح المفصل : ١٠/ ١٢٤ ، ====

هٰذَا ٱلْغَرَضِ صَوْتاً مُرَكَّباً مِنَ ٱلْحُرُوفِ وَلَمْ يَقْنَعُوا بِسَاذِجِ ٱلصَّوْتِ لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُشْتَبَهُ ٱلْأَفْرَادِ وَتَمَايُزُهَا بِٱلتَّقْطِيعِ وَٱلِاعْتِمَادِ عَلَى ٱلْمَخَارِجِ سَهْلٌ " (١) (٢) .

مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ : وهو ٱلصوت ٱلسّاذج جعله مَادَّةً أَوَّلِيَّةً لِلْأَصْوَاتِ ، قَالَ ٱلرَّضِيّ : " فَإِذَا كَانَ سَاذِجُ ٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ لَيْسَ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ... " (٣) ولم يسبق ٱلصّوت ٱلسّاذج ولم أقف على من ٱستعمله قبله .

ٱلْمُتَفَرِّعُ : ويصطلح به على مجموعة ٱلأصوات ٱلخارجة عن الأداء الاعتيادي في العربية الفصحى المشتركة ، باخراج حروف بين صوتين من اصوات العربية ويتم ذلك عبر طرق متعدّدة جمعها بقوله : " يَعْنِي بِٱلْمُتَفَرِّعِ حَرْفاً يَتَفَرَّعُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْمَذْكُورَةِ قَبِيلَ بِإِشْرَابِهَا صَوْتاً مِنْ غَيْرِهَا " (٤) ، وهي :

١ . متفرعات ناتجة عن ٱلتّعامليّة من نحو : (ٱلنّون ٱلْخفيّة ولام ٱلتّفخيم وٱلصّاد كٱلزّاي ، وغيرها) .

٢ . متفرعات لمستوى لهجيّ (محليّ) من نحو : (ألف ٱلْإمالة ، وٱلْياء كٱلْواو وٱلْواو كالياء) (٥) .

٣ . متفرعات لتداخل أجنبي : من نحو : (ٱلطّاء كٱلتّاء وٱلفاء كٱلباء وٱلضّاد ٱلضّعيفة)

ولمّا كانت هذه ٱلمتفرعات في نظر العربيّة ماهي إلّا اختلافات متفاوتة في ٱلقيم ٱلصّوتيّة ، ولم يُجعل لها أيّ أثر في تغيير معنى ٱلْكلمة ٱلدّاخلة فيها فإنّه يمكن عدّها بحسب مايصطلح عليه عند ٱلمحدثين بـ " ٱلْهيئات ٱلصّوتيّة ـ أو ٱلْألفونات " (٦)(٧) .

مُرَكَّبُ ٱلصَّوْتِ : قَالَ ٱلرَّضِيّ : " ... لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ ٱلْخَارِجَ مِنَ ٱلصَّدْرِ ـ وَهُوَ مُرَكَّبُ ٱلصَّوْتِ ـ يَحْتَبِسُ ، إِذَا ٱشْتَدَّ ٱعْتِمَادُ ٱلنَّاطِقِ عَلَى مَخْرَجِ ٱلْحَرْفِ ، إِذِ ٱلِاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ " (٨) ويتصوّر ٱلرّضيّ في هذا

==== التعريفات : ٧٧ " كيفية قائمة بالهواء يحملها الى الصماخ " وينظر شروح الحدود ٣٨ .

(١) ش ك ٢ / ٨٠ .

(٢) قال ابن جني في سرّ ٱلصّناعة : ١ / ٩ : " فَإِنّ ٱلصَّوْتَ يَخْرُجُ فِيهِ (يعني : ٱلنّاي) مستطيلاً أملس ساذجاً " .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٥٤ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٧ .

(٦) الفونيم : ٨٢ المنظريّات الصّوتيّة في كتاب سيبويه : ١٤٨ .

(٧) اصطلاح الكتاب : ٤ / ٤٣٢ : فرع ، وفي الايضاح : ٢ / ٤٨٢ : المتفرع .

(٨) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

ٱلمصطلح قد بلغ نضجاً كبيراً فيما عبّر به عن "مُرْكَبُ ٱلصَّوْتِ" ، فعملية إنتاج ٱلصّوت عند ٱلرّضيّ تتسمُّ بوجود ٱلنّفس (ٱلحامل) ، وٱلصّوت (ٱلْمحمول) ؛ وهذا ٱلتّصور تمثّله أحدث ٱلأبحاث ٱلصّوتية في (نظريّة ٱلْحامل) ٱلّتي يقول عنها أحد ٱلْباحثين : " تتضمن عملية ٱلْكلام ٱلطّبيعيّة من وجهة ٱلنّظر ٱلسَّمعيّة (Acoustics) إنتاج مجموعة من ٱلموجات ٱلصّوتيّة ، ومعنى هذا وجود موجة تسمى : موجة ٱلأساس (Fundamental) ، ومجموعة من ٱلْموجات ٱلأخرى ٱلّتي تتوافق معها "(١) ، فٱلْموجات ٱلْمتوافقة في نظر ٱلرّضيّ تكمن في ٱلصّوت ٱلْمحمول ، وموجة ٱلْأساس هو النّفس ٱلْخارج من ٱلصّدر وٱلصّفات ٱلصّوتيّة " تتمثّل في عدد ٱلْموجات ٱلتّوافقيّة ٱلّتي تتّحد مع ٱلْحامل ، فترسل ٱلصّفات ٱلصّوتيّة جميعاً في نفس ٱلْوقت حسب عدد هذه ٱلْموجات ٱلتّوافقيّة وصفاتها ، وبهذا تكون ٱلْموجة ٱلْمركّبة ٱلّتي تمثّل ٱلْفتحة مثلاً مختلفة عن تلك ٱلّتي تمثّل ٱلْكسرة ؛ لأنّه بالرّغم من ٱتّحاد ٱلْموجة ٱلْبسيطة ٱلْأساسيّة (ٱلْحامل) ؛ فإنّ ٱلْموجات ٱلْإضافيّة (ٱلتّوافقية) في ٱلْفتحة تختلف عن تلك ٱلّتي في ٱلْكسرة "(٢) .

ويقول أيضاً : وقد وجدنا أنّ جهاز النّطق ٱلْإنسانيّ يتكوّن أساساً من مرسل يبث ميكانيكيّاً موجات كهرومغناطيسية تتكون من ٱلْموجة ٱلْحامل وٱلْموجات ٱلتّوافقيّة ، ويشتمل على جهاز منظم يشكّل ٱلْموجة ٱلْحامل بمزجها بٱلْموجات ٱلتّوافقيّة ٱلّتي تمثّل ٱلرّسالة (٣) .

ٱلنّبْـــرُ : وهو رفع ٱلصّوت ، قال ٱلرّضيّ : " لِأَنَّ لِلنُّونِ نَبْرَةً : أي رَفْعَ ٱلصَّوْتِ "(٤) ، وقال أيضاً : " لِأَنَّ ٱلرَّخَاوَةَ أَنْ يَجْرِيَ ٱلصَّوْتُ بِٱلْحَرْفِ عِنْدَ إِسْكَانِهِ كَٱلنَّبْرِ "(٥) ، يبدو أنّ ٱلرّضيّ يشير إلى ذلك ٱلْإمتداد ٱلنّطقيّ عند ٱلتّصويت بٱلْحرف ممّا يؤدّي إلى ٱمتلاك ٱلْحرف درجة إسماع عالية نوعاً ما أمام ٱلانفجاريّة (ٱلْأصوات غير ٱلْإستمراريّة) . ويستعمل ٱلرّضيّ ٱلنّبْر في ٱصطلاح آخر ، وذلك مع ٱلْهمزة حيث يقول : " إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْهَمْزَةَ لَمَّا كَانَتْ أَدْخَلَ ٱلْحُرُوفِ فِي ٱلْحَلْقِ ، وَلَهَا نَبْرَةٌ كَرِيهَةٌ تَجْرِي مَجْرَى ٱلتَّهَوُّعِ ، ثَقُلَتْ بِذَلِكَ عَلَى لِسَانِ ٱلْمُتَلَفِّظِ بِهَا ، فَخَفَّفَهَا قَوْمٌ . . . "(٦) ، وكأنّه يشير إلى ذلك ٱلْغلق ٱلشّديد للأوتار ٱلصّوتية ، وقد كان لهذه ٱلصّفة في نطق ٱلْهمزة دور بارز في أنْ يعرف ٱلْهمز في وقت مبكر بٱلنّبر ، وفي هذا ينقل ٱلرّضيّ قولاً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه ٱلسّلام) يقول فيه : " نَزَلَ ٱلْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، وَلَيْسُوا بِأَصْحَابِ نَبْرٍ ، وَلَوْلَا أَنَّ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) نَزَلَ بِٱلْهَمْزَةِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا هَمَزْنَا "(٧) ، وعلى هذا فإنّ دلالتي ٱلنّبر يمكن أن تكونا متوافقين مع ما عرف عند ٱلْمحدثين من نوعي ٱلنّبر أعني ٱلنّبر ٱلطّوليّ وٱلنّبر ٱلتّوتريّ . (٨) (٩) ولم أقف عند أحد على مثل هذه ٱلدّلالة للنّبر (أعني ٱلأولى) .

ٱلنّفَـــسُ : قال ٱلرّضيّ : . . . لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ ٱلْخَارِجَ مِنَ ٱلصَّدْرِ ـ وَهُوَ مُرْكَبُ ٱلصَّوْتِ ـ يَحْتَبِسُ ، إِذَا ٱشْتَدَّ ٱعْتِمَادُ ٱلنَّاطِقِ عَلَى ٱلْحَرْفِ ؛ إِذِ ٱلْإِعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ "(١٠) فالنفس إذن هواء ٱلزّفير ٱلْخارج عن ٱلرّئتين عبر ٱلْمجرى ٱلصّوتيّ (١١) .

---

(١) الكلام انتاجه وتحليله : ٢٤٦ . (٢) نفسه : ٣٤٧ . (٣) ينظر : نفسه : ٣٤٨ .
(٤) ش ش ٢٧١/٣ . (٥) ش ش ٢٠٦/٣ (٦) ش ش ٣١/٣ .
(٧) ش ش ٣٢/٣ (٨) القراءات القرآنية : ١٠٥ .
(٩) في الكتاب : ٥٤٨/٣ ، واشار بعض المحدثين الا انه بمعنى (Stress) أي النبر ينظر علم الاصوات عند سيبويه وعندنا : ٢٦ . اللسان : مادة نبر عن ابن الانباريّ " النّبر عند ٱلعرب ارتفاع الصوت " .
(١٠) ش ش ٢٥٩/٣ .
(١١) في الكتاب : ٤٣٥/٤ ، الايضاح : ٤٨٥/٢ ، التحديد ١٠٧ الموضح ٨٨،٨٧ التمهيد : ٧ وجميعهم لم يأتوا بمثل ماقدمه ٱلرضي في ايضاح معنى النفس وخروجه وعمله .

نتائجُ الفَصْلِ الأوّلِ :

١ . بعد الجَرْدِ الكاملِ لشرحِ الشّافيةِ ،ولشرحِ الكافيةِ،وجدتُ أنّ المادةَ الصّوتيّةَ لهذا الدّرسِ تتركزُ في القِسمِ الأخيرِ من شروحِ الشّافيةِ .

وَقد حَصَرْتُ المادةَ الصّوتيّةَ في عشرةِ مباحثَ هي : الإبتداء،والإمالةُ وتخفيفُ الهمزة،والاعلال،والإبدال،والإدغام،والتقاءُ السّاكنين،والوقف،والقلبُ المكانيّ والحذف.

وقد أبرزتُ من خلالِ المبحثِ الأوّلِ الإدراكَ الواعي للرّضيّ النّاحيةَ الصّوتيّة في هذهِ المباحثِ عن بقيةِ المَوضوعاتِ الصّرفيّةِ بما وظّفَ لها من مصطلحيْ(أحوالِ الأبنيةِ و (لا أبنيةَ ولا احوالَ أبنيةٍ)) غيرَ أنّه أخلَّ شيئاً قليلاً عندما لَمْ يصطلحْ مع أحوالِ الأبنية موضوعَ القلبِ المكانيّ أو (القلبَ) بحسبِ اصطلاحه .

٢ . كوّن التّراثُ المَعرفيُّ السّابقُ للرّضيّ من مؤلفاتِ عُلماءِ العربيّةِ،وأهلِ التّجويدِ مصدرَ ثراءٍ واسعٍ،وعميقٍ للمادةِ الصّوتيّة التّي قدّمها عندَ دراسته الظّاهرة الصّوتيّة المعيّنة .

وقد مكّنَه هذا أيضاً من أنْ يبنيَ درسَهُ بناءً محكماً على وِفْقِ منهجٍ يحملُ على حَصْرِ المادةِ المُقدمةِ من السّابقين،والمادةِ المُبتدعةِ من قِبَلهِ ضِمنَ نطاقٍ من الحُدودِ،والتّقسيماتِ،والأمثلةِ التّطبيقيّةِ لكلّ منها .

٣ . لقد أكّدتُ في هذا الفَصلِ عبْرَ ما قمتُ به من استقراءٍ للروافدِ الثّقافيّة لدرسِ الرّضيّ - ما يشيعُ من دورِ سيبويهِ فيمن أتى بعْدَه من علماءِ العربيّةِ وأهلِ التّجويدِ بكونه أهمَّ مصادرهم،وارتكازَهم على ما قدّمه من افكارٍ صوتيّةٍ ؛ إذْ تردد ذكرُه في المَباحثِ العشرة ما يزيدُ على مَجموع تردد بقيّةِ العُلماءِ،ويأتي السّيرافيّ ثانياً لأهميّةِ أفكارِه الصوتية، خاصةً في فهْمِ الحروفِ المتفرعةِ .

٤ . لقد أفرزَ المبحثُ الثّالثُ عبْرَ ما وضعتُ في مُعالجةِ المَنهجِ تعسفاً عندَ الرّضيّ في فَهْمِ الظّاهرة الصّوتيّةِ،بما وجدتُ من اختلافِ الأنماطِ اللّغويّة الفنيّة للعربيّة،واختلاطِ الأنماطِ اللّغويّةِ الأدائيّة المحليّة بالعربيّة المُشتركةِ .

٥٠ إنّ (١١٢) مصطلحاً صوتيّاً مما قدّمته في (مبحث المُصطلحات) تشكّل مفاتيحَ الثّروة الصّوتيّة الّتي يَطلّ منها الدّارسونَ على فروعِ الدّراسة الصّوتيّة الوظيفيّة (الفونولوجية Phonology) للغةِ العَربيّة الفُصحىٰ ٠

٦٠ أُوكِّدُ الثّروة الاصطلاحيّة التي استخرجْتُها من مؤلفي الرّضيّ؛ إذْ لم يتفرغْ لمثلها أحدٌ من الباحثينَ بحسب اطلاعي، إذْ تبيّن بشكل ملموسٍ مدىٰ الغِنى الاصطلاحيّ الصّوتيّ الّذي احتوتْه دراساتُنا الصّوتيّة التّراثيّة ؛ ويبدو أنّ صاحبَ رسالة الماجستير الموسومة (المصطلح الصّوتيّ في الدّراسَاتِ العَربيّةِ) قَصّرَ عن أنْ يستوعبَ قسماً كبيراً منها، إذْ وجدتُ نفسي في هذا البحث أزيدُ على ما قدّمَهُ ما يربو على السّتينَ مصطلحاً صوتيّاً ٠ ولتجنّبِ مثلَ هذا القُصورِ في مثلِ هذه الدراسات أرى أنْ تقومَ مادةُ الرسالة، أو البحث على التّتبع الدّقيق للمادة الصّوتيّة، وحركتِها في مختلفِ المؤلفات، والتّعويلَ على ما قدّمتُه تمهيداً للاصطلاحاتِ لا أنْ تُوضعَ أسماءُ المُصطلحات على ما هو متعارفٌ ومُحدّدٌ سلفاً ؛ ثُمّ يجري تتبعُ هذه المُصطلحاتِ كالذي أعتقدُ أنّه حصلَ مع الرسالة المذكورة ؛ وتزداد هذه العمليّة دقةً واستيعاباً عنْد تحديدها داخلَ إطارٍ زمنيّ، أو شخصيّةٍ معيّنةٍ يَتمُّ رصدُ نتاجها الصّوتيّ الاصطلاحيّ ٠

٧٠ إنّ مبحثَ المُصطلحاتِ الصّوتيّة يُبرزُ عَبْرَ مجموعةٍ بأسرِها من المصطلحات تفاعلاً واضحاً بين النّظام الصّوتيّ مع النّظامَيْن الصّرفيّ والنّحويّ (التركيب) من نحو مصطلحات: الإبدالِ، والقَلبِ، والإعلالِ، والوقفِ، ونَقلِ الحَركةِ، والإشرابِ والإشْمامِ، وتخفيفِ الهمزةِ المشهورة، والبعيدِ، والتّقريبِ والتّجانس، والمضارعةِ، وغيرها ٠

٨٠ يُسْهِم العملُ الّذي قُمتُ به في المُصطلحاتِ في اكتمالِ النّظرة المعرفيّة الاصْطلاحيّة عند قُرْبِ نهايةِ القرنِ السّابع الهجريّ مع إعطاءِ تصوّرٍ واضحٍ عن طبيعةِ الاصطلاحات الخاصة بعلم الأصواتِ العربيّ منذُ بدايته، وحتى القرنِ المذكورِ؛ ليس فقط في الدّراساتِ النّحويّة والصّرفيّة بلْ حتى في دراسات أهلِ التّجويدِ والقراءاتِ ٠

٩٠ يعملُ مبحثُ المصطلحاتِ على وضعِ البدائلِ الاصطلاحيّة للالفاظ الأجنبيّة الّتي تتميّزُ بأصالتِها التّراثيّة مع إمكانية انسجامِها وتصورات المحدثينَ في مصطلحاتِهم؛ فمن ذلكَ مصطلحُ "أحوالِ الأبنيةِ" الّذي أعتقدُ أنّه البديلُ المناسبُ للمصطلح

الأجنبيّ (Morphophoneme) الذي ترجم بالمصطلح (التّغيير الصّرفيّ – الصّوتيّ) .

١٠ . يُبرزُ هذا الفصلُ (وهي أهمّ نتائجه) أصالة الرّضيّ في وضع الأصطلاحات الصّوتيّة سواءٌ تلك الّتي وضعها فكرةً ولفظاً أم وضعها لفظاً فقط ، وحرصْتُ فيها على أستخدام ألفاظه الّتي أستعملها في عرض فكرته الخاصة .

والمصطلحات هي: ألْمُستَفِلةُ ، وآلةُ الْحروفِ ، وآلةُ الصّوتِ ، وآلةُ الضّمةِ ، والأعلى ، والأنزل، وأوْضاعُ آلةِ الْحروفِ، وفضيلةُ الْحَرفِ، وهي (ذاتُ أهمّيّة بالغةٍ في نظام التمايز الصوتيّ، والاعتبارات الصوتية في العربية)، وشبهُ النّفخ، ولا أبنيةَ ولا احوالَ أبنيةٍ، والاعتدال، وبين بينَ المشهور، وبيْنَ بيْنَ الْبعيد، والتّبيينُ والتّنافرُ، والحذفُ نَسياً، والْحرفُ الْمُناسب (الْمُتوسط)، ونَسقٌ واحدٌ، والصّوتُ السّاذج، وجوهرُ الْحرفِ، ومادةُ الحَرفِ، ومفهومُهُ في مُركب الصّوْتِ ومفهومُهُ لمصطلح النّبر، وتركيبه لفضيلةِ الشّينِ (التّفشي والرّخاوة)، ومفهومُهُ للْجَهر، والْهمس، واحوالِ الأبْنية ومفهومُهُ الْمتقدّم جداً للإدْغام، والساكنُ والمتحركُ (اللّذان جعلتهما مع مصطلحاتِ التّجاورِ لا في الصّفاتِ كما وُجِد في استعمال بعضِ المُحدثين) وكذلكَ مصطلح الخفاء الذي رأيتُ أنْ أُقسّمه الى دلالاتٍ اعتباريّة متعددة، والسلاسةُ الصوتيّة والازدواجُ اللّذان هما أحدُ مصطلحاتِ البلاغيين في الأصْلِ .

١١ . وقد وجدتُ عَبر عددٍ من المصطلحاتِ تفاعلاً واضحاً بين الدّراسات اللّغويّة مع دراساتِ أهلِ التّجويدِ، والقراءاتِ الْقرآنيّة، وبعضِ دراسات الفلاسفة والأفكار المَنطقيّة من نحو مصطلحات : التأفيفِ ، وبَيْنَ اللفظين ، والتّسهيلِ ، والحَرفِ ، ومادةِ الْحَرفِ ، والصّوتِ السَّاذج ، وآلةِ الحُروف ، وآلة الصّوت وغيرها .

الفصل الثاني

اتجاهات الدراسة الصوتية

الاتجاه الاول : الاصوات في حالة الافراد

الاتجاه الثاني : الاصوات في حالة التجاور والتركيب (التعاملية)

الاتجاه الثالث : الاصوات في نظام الاداء

مما لايُنكر أنّ ٱلرّضيّ كغيره من المتأخّرين قد عمل على ٱلإفادة من تراث من سبقه من المتقدمين كالخليل وسيبويه وغيرهما ،وذلك ممّا لا يمتنع معه أنْ يكونَ لكلّ عالم منهجه واتجاهه في ٱلدّرس وٱلتّحليل،وهو ما نجده عند ٱلرّضيّ ،الّذي أحدّد دراسته ٱلصّوتيّة في ثلاثة ٱتّجاهات :

- ٱلإتّجاه ٱلْأوّل : ٱلأصوات في حالة ٱلإفراد .
- ٱلإتّجاه ٱلثّاني : ٱلْأصوات في حالة ٱلتّركيب وٱلتّجاور (وهي : ٱلتّعامليّة).(١)
- ٱلإتّجاه ٱلثّالث : ٱلْأصوات في نظام ٱلْأداء .

وفيما يأتي تفصيلات هذه الاتجاهات الثلاثة في هذا الدرس :

- ٱلْإتّجاه ٱلْأوّل : ٱلْأصوات في حالة ٱلْإفراد .

وتتحدّد مجالاته في الآتي :

١ ـ إنتاج ٱلْأصوات :

يقوم ٱلتّفكير ٱلصّوتيّ عند ٱلرّضيّ هنا على تصوّرين أساسيّين :
ٱلْأوّل : ماهيّة ٱلصّوت أو ٱلحرف،وقد سمّاه :(ٱلصّوت ٱلسّاذج) ،الّذي هو ٱلْمادّة ٱلْأوّليّة ٱلْبسيطة لِلأصوات ٱللّغويّة جميعاً ،قال ٱلرّضيّ : " ... لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ ٱلسَّاذِجَ ٱلَّذي هُوَ مَحَلُّ ٱلْحُروفِ ـ وَٱلْحُرُوفُ هَيْئَةٌ عَارِضَة لَـهُ ـ غَيْرُ مُخَالِفٍ بَعْضُـه بعضاً فِي ٱلْحَقِيقَةِ "(٢) فهو يبني تصوّره لإنتاج ٱلْأصوات ٱللّغويّة على أنّها في حالتها ٱلْأوّليّة أحاديّة ٱلتّركيب غير متميّزة بعضها عن بعض فهي متشابهة، ولا تدرك أجراسها ٱلْخاصّة بكلّ منها .
وهنا يأتي دورُ آلـة ٱلْحروف أو آلة الصّوت (وهي التي يبنى عليها ثاني ٱلتّصوريْن وهو ٱلْمخارج الصّوتيّة ،حيثُ يتمّ توظيف ٱلصّوت ٱلسّاذج لإنتاج ٱلْأصوات ٱللّغويّة مختلفةَ ٱلْأفراد،وقد عبّر ٱلرّضيّ عن هذا بقوله : " فَإِذَا كَانَ سَاذِجُ ٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ لَيْسَ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ،فَلَوْلَا ٱخْتِلَافُ أَوْضَاعِ آلَـةِ ٱلْحُروفِ ـ وَأَعْنِي

---

(١) يُنظر : ٱلنّظريّات ٱلصّوتيّة في كتاب سيبويه : ١٤٤ و ١٥١ (لمصطلح التّعامليّة).

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٠ .

بِٱلَّتِيهَا مُوَاضِعَ تَكَوُّنِهَا فِي ٱلْلِسَانِ وَٱلْحَلْقِ وَٱلسِّنِّ وَٱلنِّطْعِ وَٱلشَّفَةِ ،وَهِيَ ٱلْمُسَمَّاة بِٱلْمَخَارِجِ ـ لَمْ تَخْتَلِفِ ٱلْحُرُوفُ ". (١)

فعُبر ٱلْأَوضاع ٱلْمختلفة لِآلَـةِ ٱلْحروف يتمُّ إنتاج تلك ٱلْأَفراد ٱلْمتمايزة ٱلّتي بهـا نظام ٱلتّواصل؛لِأنّهم (أعني ٱلْمتكلمينَ) : " لَمْ يَقْنَعُوا بِسَاذِجِ ٱلصَّوْتِ؛لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ مُشْتَبَهُ ٱلْأَفْرَادِ،وَتَمَايُزُهَا بِٱلتَّقْطِيعِ وَٱلْاعْتِمَادِ عَلَى ٱلْمَخَارِجِ سَهْـلٌ"(٢)، كما يقول ٱلرّضيّ ٱلّذي يدرك بما تقدّم ضرورة وجود آلة خاصّة (علينا في مصطلحي آلة الصوت وآلة الحروف ، وهي ٱلْأعضاء ٱلنّطقيّة)؛ لإنتاج ٱلْأصوات ،وفي هذا يتسامى إلى تصوّرات بعض ٱلْمُحدَثين (٣) ٱلّذي رفض مايُشاع من أنّ تسمية ٱلْجهاز ٱلصّوتيّ وغيرها من ٱلتّسميات،ماهي إلّا تسميات مجازيّة؛لِأنّ ٱلْوظيفة ٱلْأساسيّة لهذه ٱلْأعضاء ليست ٱلنّطق،وأن ٱلنّطق أو إنتاج ٱلْأصوات ما هي إلّا وظيفة ثانويّة لها ،فرأى أنّ هذه ٱلْأعضاء مثلما خُلقتْ لأجل ٱلْقيام بٱلْعمليّات ٱلْحيويّة كَٱلْأكل وَٱلتّنفس،فإنّها كذلك قد خُلِقتْ لِلْقيام بٱلْوظيفة ٱلنّطقيّة؛لِأنّها قد ٱحتوتْ من ٱلتّجاويف وٱلْمرونة ٱلْحركيّة مايفوق حاجات ٱلْإنسان عند ٱلْأكل أو ٱلتّنفس . (٤) وذلك ماأعتقد صوابه . (٥)

فَٱلرَّضيّ يمتلك رؤيةً واضحةً لطبيعة مايجري في تمايز ٱلْأصوات حيث ٱلْهواء ٱلْخارج من ٱلصّدر،وهو النَّفَس (٦)، وحركاتُ ٱلْأعضاء،وهيئاتُها ٱلْمختلفة، تتفاعل كلّها لِإحداث ٱلتّمايزات ٱلسّمعيّة ٱلّتي تكوّنُ ٱلْأصوات ٱللّغويّة ٱلْمتنوعةَ .

وٱلرّضيّ يسند نظريته في هذه ٱلتّمايزات،أو ٱلْانطباعات ٱلسّمعيّة ٱلْمختلفة إلى أساسين وضعهما تحت مصطلح شاملٍ لَهُما هو (أوضاع آلة ٱلْحروف) ؛ وٱلْأساسان هما : ٱلتَّمايُزُ بحسب ٱلْمخرج ،وٱلتّمايُزُ بحسب ٱلصّفات .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٢) ش ك ٢ / ٨٠ .

(٣) هو د . عبد الرّحمن أيوب في: الكلام:إنتاجه وتحليله : ٢٧ .ومابعدها .

(٤) ينظر: نفسه : ٢٨ .

(٥) فقد أُثبت علمياً وجود مراكز مخيّة مسؤولة عن إدراك ٱلْكلام وإنتاجه،وزيادة على المصدر السابق ينظر : أضواء على ٱلدّراسات ٱللغويّة: ٢٣ ـ ٢٧،وٱللّغة وٱلْفكر : ٣٩ ،أين موقع اللغة في الدماغ : ١٠٤ .

(٦) ينظر ش ش ٣ / ٢٥٩ .

وكان قد أدرك ذلك بملاحظته وجود أصوات متّحدة ٱلْمخرج ، ولكنّها متباينة لٱختلاف وقعها ٱلسّمعيّ ، ويتّضح ذلك في قوله : " وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ ٱخْتِلَافَهَا قَدْ يَحْصُلُ مَعَ ٱتِّحَادِ ٱلْمَخْرَجِ ، بِسَبَبِ ٱخْتِلَافِ وَضْعِ ٱلْآلَةِ مِنْ شِدَّةِ ٱلْٱعْتِمَادِ وَسُهُولَتِهِ ، وغير ذلك ، فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ حَرْفٍ مَخْرَجٌ "(١).

فَشدّة ٱلٱعتماد وسهولته يُشير بهما إلى صفتي ٱلشّدّة وٱلرّخاوة ، وبغير ذلك إلى بقيّة ٱلصّفات من جهر وهمس وإطباق وصفير .. الخ .

وهذا ٱلتّصوّر يزداد وضوحاً حتّى يُعدّ من مسلمات هذا ٱلدّرس عندما نجده يقسّم ٱلٱصوات بحسب ٱلْمخارج ، وبحسب الصّفات الصّوتيّة ممّا سأقف عليه قريباً ، وفي هذا إدراك عميق لِمَا أجمله سيبويه في تقسيمه لِلأصوات ، وهو بعد منسجم مع ٱعتبارات علم ٱلأصوات الفيزيائيّ (الأكوستيكي Acoustic Phonetics)(٢) ، إذْ ثبت عن طريق ٱلتّحليل ٱلفيزيائيّ (الأكوستيكي) للكلام (أيْ ٱلْخصائص ٱلْماديّة) ، أنّ ٱلٱختلافات ٱلصّوتيّة ٱلّتي يُمكن إدراكها تعود إلى شيئين : درجة ٱلصّوت المتكوّن في ٱلْحنجرة فيما يخصّ ٱلأصوات ٱلْمجهورة ، وٱختلافات ٱلْموجات الصّوتيّة تبعاً لٱختلاف مكان ٱلنّطق ، ولٱختلاف ٱلشّكل ٱلْكليّ لتجويف مافوق ٱلْحنجرة في أثناء إنتاج ٱلٱصوات.(٣)

فالرّضيّ بوعيه ٱلّذي قدّمه سابقاً ، نظريّاً وعمليّاً يبرز في صف ٱلْمتقدمينَ كٱلْخليل وسيبويه وٱلْمبرد وٱبن جنّيّ وٱبن يعيش ،(٤) خاصّة ماكانَ من ٱبن جنّي حيثُ نجد ملامح نضج متقدّمة عن غيره (وإن كان مجاله عكس ٱلرّضيّ) ، ذلك حين يقول :

" إِعْلَمْ أَنَّ ٱلصَّوْتَ عَرَضٌ يَخْرُجُ مَعَ ٱلنَّفَسِ مُسْتَطِيلاً مُتَّصِلاً حَتَّى يَعْرِضَ لَهُ فِي ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ وَٱلشَّفَتَيْنِ مَقَاطِعُ تُثْنِيهِ عَنِ ٱمْتِدَادِهِ وَٱسْتِطَالَتِهِ ، فَيُسَمَّى ٱلْمَقْطَعُ أَيْنَمَا عَرَضَ لَهُ حَرْفاً ، وَتَخْتَلِفُ أَجْرَاسُ ٱلْحُرُوفِ بِحَسَبِ ٱخْتِلَافِ مَقَاطِعِهَا "(٥).

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٢) وهو : " فرع من علم ٱلٱصوات يهتمّ بدراسة ٱلْخصائص ٱلْماديّة أو ٱلْفيزيائيّة لأصوات ٱلْكلام أثناء ٱنتقالها منَ ٱلْمتكلم إلى ٱلسّامع ، وبعضهم يطلق عليه ٱسم علم ٱلْأصوات الفزيائيّ (Physical Phonetics) "

دراسة الصّوت : ٤ ، وقد ترجمه محمود السّعران بٱلسّمعي ، ينظر: علم اللغة : ٣٥٣ .

(٣) دراسة الصّوت : ١٨ ــ ١٩ (بتصرّف) ، وينظر: مصطلح (مركب الصوت) ومقارنته لنظرية الحامل .

(٤) ينظر : العين ، المقدمة : ١ / ٤٧ ــ ٦٠ ، ٱلْكتاب : ٤ / ٤٣١ ــ ٤٣٦ ، المقتضب : ١ / ١٩٢ ــ ١٩٦ ، سرّ الصّناعة : ١ / ٥٢ ــ ٥٣ ، شرح المفصل : ١٠ / ١٢٤ ــ ١٣١ .

(٥) سر الصّناعة : ١ / ٦ .

وٱلرّضيّ بعد أنْ ينتهي من وضع ٱلإطار ٱلْعام لنظريّته السّابقة يأتي إلى وقفات تفصيليّة على المخارج الصّوتيّة،وتوزيع ٱلأصوات بحسبها،ثُمَّ ينتقل إلى ٱلصّفات الصّوتيّة، وهو في ذلك يسير على ٱلْمنهج ٱلْمتعارف عليه في ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة ٱلْعربيّة ٱلتّراثيّة ٱلّذى خطّه سيبويه ؛ وقد تابع ٱلرّضيّ سيبويه في عدد ٱلْمخارج وتوزيعها على ٱلْمجرى ٱلنّطقيّ وتسمياتها،حتّى أنّه يهمل ٱلْوقوف على بعض ٱلْمخارج ٱكتفاءً بما ذكره ٱبنُ ٱلْحاجب ٱلّذي تابع سيبويه في كلّ ذلك إلّا ماكان من وصفه لمخرج ٱللام ٱلّذي كان مثار نقد الرّضيّ إذْ ٱعترض عليه واصفاً إيّاه بعدم ٱلصّواب لمخالفته سيبويه وبقيّة علماء هذا ٱلْفن ٱلّذين تابعوه . (١)

وقبل ٱلدّخول في تفصيلات ذلك نقف على ماقدّمه ٱلرّضيّ في ٱلْجانب ٱلْعضويّ منها (أعني ٱلْجهاز ٱلصّوتيّ) .

٢ ــ أجزاء آلـة ٱلصّوت :

لابدّ لي قبل ٱلتّعرض لهٰذه ٱلْأجزاء من ٱلْقول:إنّ ٱلرّضيّ لم تتبلورْ عنده أهمية الوقوف على ٱلْجانب ٱلتّشريحيّ من ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة إلا ماكان منه موضع حاجة ،ولهٰذا كانت مادّة هٰذا ٱلْموضوع مختلطة مع أصطلاحات ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة ، ولم أجدْ إلّا مجرّد تسميات لِلأعضاء خالية من ٱلْوصف وٱلتّحديد مكتفياً (فيما يَبْدو) بٱلْمتعارف من أوصافها ومواقعها ، خـلا ماكان مع ٱلْأسنان ٱلّتي إتّبع معها سلوكاً جديداً ومتفرّداً (إذْ لم يُسبق اليه) متمثّلاً بالوقوف ٱلدّقيق على أقسامها وتسميات كلّ قسم مِنها،وتوزيعها على جانبيْ ٱلْفم،وعلى ٱلْفكيْن ٱلْأسفل وٱلْأعلى ، وكلّ هذا في سبيل ٱلْوصف ٱلدّقيق لمخرج صوت ٱلضّاد ٱلّذي كان قد تفرّد بمؤلفات عديدة تحاول ضبطه،وضبط كلماته،بسبب تعسّر تمييزه عن ٱلظّاء من قِبَل أبناء لغة ٱلضّاد .

ويتّصل بهذا ٱلسّلوك ماكان من وصفه لِلّسان فقد أشار إلى حافتَيْه ٱللّتين تشاركان في نطق بعض ٱلْأصوات،ومنها صوت ٱلضّاد ،وسأقف عند كلامه في تشريح هذه ٱلْأعضاء بعد قليل ، وقبل ذلك أقول :

لقد أشار ٱلرّضيّ إلى معظم ٱلْأعضاء ٱلصّوتيّة بتسمياتها ،وشارك الجمهور وقصر ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة إبتداءً من ٱلْحلق،فلم يشرْ إلى ٱلحنجرة ولا إلى أوتارها،ولم يشر إلى ٱلْقصبة ٱلْهوائيّة،مع أنّها كانتا معروفتَيْن في زمانه وقبله ،فابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) خصص بعض رسالته (أسباب حدوث الحروف) (٢) لتشريح ٱلْحنجرة وٱللّسان،وأشار

(١) ينظر : ش ش ٣ / ٢٥٣ .
(٢) ٱلفصل الثّالث من (أسباب حدوث الحروف) : ٦٤ ــ ٧١ .

ٱبنُ ٱلْبناء (ت ٤٧١ هـ) إلى ٱلْحنجرة ، هو ٱلْقصبة ٱلْهوائيّة وسمّاها (قَصَبَةَ ٱلْحَلْقِ) في كتابه: بيان ٱلْعيوب . (١)

غير أنه عوضاً عن هذا أدرك وجود عضو مشارك في عملية التّصويت أُصطلح عليه بالصّدر ، وقد أورده هكذا مبهماً دون تحديد ، وكأنَّه يعمّ به منطقة أسفل ٱلْحلق ؛ قال ٱلرّضيّ : " لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ ٱلْخَارِجَ مِنَ ٱلصَّدْرِ ـ وَهُوَ مَرْكَبُ ٱلصَّوْتِ ـ يَحْتَبِسُ . . . " (٢) ، ونقل عن بعضهم دوره في تمييز الجهورات عن المهموسات بقوله : " قِيلَ : وَٱلْمَجْهُورَةُ تَخْرُجُ أَصْوَاتُهَا مِنَ ٱلصَّدْرِ " (٣) ، وفي سبب صفة ٱلْقلقلة الّتي تتميّز بها مجموعة من ٱلْأصوات قال في سببها أنَّهُ " شِدّةُ ٱلصَّوْتِ ٱلْمُتَصَعِّدِ مِنَ ٱلصَّدْرِ " (٤) ، ولم يتعدّ هذه المواضع في ذكره له .

وقد أشار إلى بقيّة ٱلْأعضاء الصّوتيّة (أيْ أجزاء آلة ٱلصّوت) في قوله : " وَأَعْنِي بِآلَتِهَا مَوَاضِعَ تَكَوُّنِهَا فِي ٱللِّسَانِ وَٱلْحَلْقِ وَٱلسِّنِّ وَٱلنِّطْعِ وَٱلشَّفَةِ وَهِيَ ٱلْمُسَمَّاةُ ٱلْمَخَارِجَ " (٥) .

فهذه ٱلْأعضاء تتوزّع عليها ٱلنّقاط ٱلْمخرجيّة ؛ وقد وجدته في بعض ٱلْمواضع يعبّر عن جميع هذه ٱلْأعضاء بالحلق والفم ، إذْ قال في ٱلْمجهورة : " .... إِذِ ٱلْاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ ، يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ " (٦) ، وينسب بعض ٱلحروف ، فيقول : " حُرُوفُ ٱلْفَمِ وَٱلشَّفَةِ " (٧) ، وهي ٱلْحروفُ الّتي ٱرتفعتْ مخارجُها أمام ٱلْحروف ٱلْحلقيّة الّتي سَفَلَتْ مخارجُها (٨) ، ولتباين مواضعها في آلة ٱلصّوت ، يعمدُ إلى ٱستعمال ٱلْمصطلحات ٱلدّالة عليها ، فيستعمل مع ٱلْحلق : ٱلْأعلى ، وٱلْأدخل ، وٱلْأنزل ، (مخرجاً) ليعطي ٱلشّكل ٱلْعمودي لِلْحلق ، وأمّا مع بقيّة ٱلْحروف ، فيستعمل ٱلْأقرب إلى خارج ٱلْفم ، وٱلْأقرب إلى ٱلْعضو ٱلتّالي ، وهكذا ٱستعمل خاصةً مع حروف ٱلْمخرج ٱلْواحد (على ما سنقف عليه في تسميات المخارج وتوزيع ٱلْأصوات عليها) .

---

(١) ينظر : ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة : ٩٧ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٥٨ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٦٣ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٥١ .

(٦) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

(٧) ش ش ٣ / ٢٧٢ .

(٨) ينظر : مصطلحات المرتفعة والمستفلة .

كذلك ذكر ٱلرّضيّ في ٱلأعضاء ٱلمشاركة في ٱلنّطق: (الخيشوم)، إذْ قال (في مابين ٱلشّديدة وٱلرّخوة): " وَأَمَّا ٱلْمِيمُ وَٱلنُّونُ، فَإِنَّ ٱلصَّوْتَ لَايَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَمِ، لٰكِنْ لَمَّا كَانَ لَهُمَا مَخْرَجَانِ فِي ٱلْفَمِ، وَفِي ٱلْخَيْشُومِ جَرَىٰ بِهِ ٱلصَّوْتُ مِنَ ٱلْأَنْفِ دُونَ ٱلْفَمِ " (١)؛ وفي ٱلنُّون ٱلْخفيّة يقتصر مرور ٱلْهواء على هٰذا ٱلْمجرىٰ " إِذْ هِيَ نُونٌ سَاكِنَةٌ غَيْرُ ظَاهِرَةٍ، مَخْرَجُهَا ٱلْخَيْشُومُ فَقَطْ " (٢). ومن ٱلنّص السّابق يتضح أنّه يستعمل مرادفاً له هو (الانف)؛ ولم يقدّم لنا أيّ تحديد لهٰذا ٱلْعضو الّذي وصفه مكيٌّ قائلاً: " وَٱلْخَيْشُومُ ٱلَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ هٰذِهِ ٱلْغُنَّةُ، هُوَ ٱلْمُرَكَّبُ فَوْقَ غَارِ ٱلْحَنَكِ ٱلْأَعْلَى " (٣)؛ وقال عنه أبو عمرو ٱلدّانيّ: " وَٱلْخَيْشُومُ خَرْقُ ٱلْأَنْفِ ٱلْمُنْجَذِبُ إِلَى دَاخِلِ ٱلْفَمِ " (٤)، وقال فيه د. غانم قدوري إنّه أكثر وضوحاً من تعريف مكي (٥)، إذ إنّه يُحدّد ٱلْمقصود بٱلْخيشوم بدقّة الّذي يبدو أنّه كان واضحاً عند ٱلرّضي في قوله السابق.

ولم يشرْ ٱلرّضيّ إلى ٱللّها تعولاً الى دورها في إنتاج بعض ٱلْأصوات مع أنّ ٱلْخليل كان قد أشار إليها في نظامه ٱلْمخرجي، ونسب إليها ٱلقَافَ وٱلْكَافَ (٦)؛ ولم يشرْ إلى ٱللّثة، وٱستعاض عنها في ٱلمخارج بتسمية (فُوَيْق ٱلثَّنايا) (٧)، وهو مصطلح أدق من ٱللّثة؛ أمّا الأسنان، فقد قال عنها ٱلرّضيّ:

" إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْأَسْنَانَ أُثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ سِنّاً، سِتَّ عَشَرَةَ فِي ٱلْفَكِّ ٱلْأَعْلَى، وَمِثْلُهَا فِي ٱلْفَكِّ ٱلْأَسْفَلِ، فَمِنْهَا ٱلثَّنَايَا، وَهِيَ أَرْبَعٌ مِنْ قُدَّامٍ: ثِنْتَانِ مِنْ فَوْقٍ، وَمِثْلُهَا مِنْ أَسْفَلٍ، ثُمَّ ٱلرَّبَاعِيَّاتُ، وَهِيَ أَرْبَعٌ أَيْضاً: رُبَاعِيَتَانِ مِنْ فَوْقٍ، يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَمِثْلُهُمَا مِن أَسْفَلٍ، وَخَلْفَهُمَا ٱلْأَنْيَابُ ٱلْأَرْبَعَةُ:

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦١.

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٤ ــ ٢٥٥؛ وينظر ش ش ٣ / ٢٧١.

(٣) الرّعاية: ٢٢٤٠.

(٤) ٱلتّحديد: ١١٧.

(٥) ٱلدّراسات الصّوتيّة: ١٠٣.

(٦) العين: ١ / ٥٧.

(٧) ش ش ٣ / ٢٥٤.

نَابَانِ مِنْ فَوْقٍ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَمِثْلُهُمَا مِنْ أَسْفَلٍ ، وَخَلْفَ ٱلْأَنْيَابِ ٱلضَّوَاحِكُ ، وَهِيَ أَرْبَعٌ : ضَاحِكَتَانِ مِنْ فَوْقٍ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَمِثْلُهُمَا مِنْ أَسْفَلٍ ، وَخَلْفَ ٱلضَّوَاحِكِ ٱلْأَضْرَاسُ ، وَهِيَ سِتَّ عَشَرَةَ : ثَمَانٍ مِنْ فَوْقٍ : أَرْبَعٌ يَمْنَةً وَأَرْبَعٌ يَسْرَةً ، وَمِثْلُهَا مِنْ أَسْفَلٍ ؛ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَنْبُتُ لَهُ خَلْفَ ٱلْأَضْرَاسِ ٱلنَّوَاجِذُ ، وَهِيَ أَرْبَعٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ : ثِنْتَانِ فَوْقَ وَثِنْتَانِ أَسْفَلَ ، فَيَصِيرُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سِنًّا " (١) .

وهذه ٱلْوقفة لم يُسبقْ ٱلرّضي إلى مثلها، وقد كان لها أثرٌ واضحٌ عند بعض ٱلْمتأخّرين من علماء ٱلتّجويد . (٢) أمّا وقفته ٱلأخرى ٱلّتي سبق أنْ أشرتُ إليْها، فهي مع ٱللسان عندما وصف حافتيه بقوله :

" ٱلْحَافَّةُ : ٱلْجَانِبُ ، وَلِلِّسَانِ حَافَّتَانِ مِنْ أَصْلِهِ إِلَى رَأْسِهِ كَحَافَتَيِ ٱلْوَادِي . . " (١)

ومنَ ٱلْأجزاء ٱلْأخرى لآلة ٱلصّوت؛ (ٱلْحَنَكُ ٱلْأَعْلَى) ، وقصد به سقف ٱلْفم ، ولم يذكره الرّضي إلّا في تقسيمات المخارج ٱلّتي تشارك نقاطه مع أحد أقسام ٱللسان في عملها فمثلاً في مخرج (ج ، ش ، ي) ، قال ٱلرّضيّ نقلاً عن سيبويه : " بَيْنَ وَسَطِ ٱللِّسَانِ ، وَبَيْنَ وَسَطِ ٱلْحَنَكِ ٱلْأَعْلَى " (١) .

وتقسيمات ٱلْحلق مع تقسيمات ٱللسان لم يُراعِ فيها ٱلنّاحية ٱلْعضويّة بل هي لدواعٍ مخرجيّة لأجل الدّقة في تعيين ٱلْمَخرج ليس إلّا ؛ ولذلك لم أُشرْ إليها هنا، وأشير إليها في آليّة المخارج (الأولى غير ما كان من تقسيم الاسنان) .

٣ ـ ٱلتّمايزُ ٱلصّوتيّ عند ٱلرّضيّ :

يُقيم ٱلرّضيّ نظريته في ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ بتميّزُ أصوات ٱللغة ٱلْمختلفة على وفق آليّتيْنِ : آليّة ٱلْمخارج وآليّة ٱلصّفات . وفيما يأتي بيانهما :

أ ـ آليّة ٱلْمخارج :

يبني ٱلرّضيّ تصوره لهذه الآليّة بأنْ تشكّل ٱلْأعضاء ٱلنّطقيّة ٱلْمتحركة كالشّفتين وٱللسان وٱلْفك ٱلأسفل وجدار ٱلْحلق (ٱلْأماميّ) مناطق إعاقة لِلنَّفَسِ ٱلْخارج من الصّدر (أيْ : عند الزفير) ، يطلق عليها ٱلدّرس ٱلْحديث مناطق الاحتكاك ؛

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٢ .

(٢) ينظر : الدّراسات الصّوتية ، ١٠٥ .

وَعَلى ٱلرّغم من تشابه بعضها في كيفيات ٱلْإعاقة إلّا أنّ ٱختلاف نقاطها على طول ٱلْمجرىٰ ٱلْهوائيّ يُؤدّي إلى تمايز ٱلْأصوات ،وإذا كان الرّضيّ وغيره من علماء ٱلْعربية قد ٱكتفوا بهذا حسبُ ،فإنّ ٱلدّرس ٱلْحديث يرجع هذا ٱلتّمايز أيضًا إلى غرفة ٱلرّنين ٱلّتي تعملها ٱلْأعضاء ٱلصّوتيّة (٣) ،ولمعرفة موقف ٱلرّضيّ من ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة،وتوزيع ٱلْأصوات عَمِلْتُ ٱلْجدول ٱلْآتي ٱلّذي ٱستندتُ أساسياته على بحث ٱلدّكتور : هادي نهر الموسوم بـ (الحروف والاصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين (*)) وأبقيت على تصنيف ابن جني للفائدة العلمية ولأثر هذا ٱلرّجل في ٱلدّراسات ٱلْلاحقة :

---

(٣) دراسة الصوت ١٦٤ .

(*) البحث منشور في (مجلة آداب المستنصرية ،ع ٨ ،ص ٢٠٧ – ٢٦٠) سنة ١٩٨٤م .

جدول رقم (١) المخارج الصّوتيّة عند الرّضيّ مع سيبويه وابن جنّي .

	المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت ١٨٠هـ	عند ابن جنّي ت ٣٩٢هـ	عند الرّضيّ ت ٦٨٨هـ	الملاحظات
٠١	أقصى الحلق .	ء هـ ا	ء ا هـ	ء هـ ا	لي وقفة مع ترتيب الرّضيّ لحروف الحلق .
٠٢	وسط الحلق .	ع ح	=	=	
٠٣	أدنى الحلق .	غ خ	=	=	سمّاه الرّضيّ : (رأس الحلق) (١) .
٠٤	من أقصى اللّسان ، وما فوقه من الحنك الأعلى .	ق	=	=	اقتصرفي (ق ، ك) على توضيح الألفاظ وقال في إدغام الكاف في القاف : " ... والإدغامُ حسَنٌ والبيانُ أحسَنُ ؛ لأنّ القافَ
٠٥	من أسفل ذلك ، وأدنى إلى مقدّم الفم .	ك	=	=	أدْخَلُ " (٢) (ينظر مصطلح الأدخل) .
٠٦	من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى .	ج ش ى	=	=	قال الرّضيّ : " الجيمُ أقرَبُ إلى أصلِ اللِّسانِ ، وبعْدَه إلى خارجِ الفَمِ الشّينُ ، وبعْدَه إلى خارجِه الياءُ " (٣) .
٠٧	من أوّل حافة اللّسان وما يليها من الاضراس	ض	=	=	بعد أن وضّح حافة اللّسان وأقسام الأسنان قال : " فأنْتَ تُخْرِجُ الضّادَ مِنْ أقصَى إحْدَى حافَتَيْ اللِّسانِ إلى قريبٍ مِنْ رأْسِ اللِّسانِ ، ومُنتهاهُ أوّلُ مَخْرَجِ اللّام ... ومَوْضِعُها مِنَ الأسْنانِ نفسُ الأضْراسِ العُلْيا ، فيكُونُ مَخْرَجُها بَيْنَ الأضراسِ وبَيْنَ أقْصَى إحْدَى حافَتَيْ اللِّسانِ ، وأكثرُ ما تَخْرُجُ مِنَ الجانِبِ الأيْمَنِ على ما يُؤْذِنُ بِهِ كَلامُ سِيبَوَيْه ، وصَرَّحَ بِهِ السِّيرافِيّ " (٣) .
٠٨	من أدنى حافّة اللّسان إلى منتهى	ل	=	=	قال الرّضيّ : " واللّامُ ابْتِداؤهُ - على ما قالَ سِيبَوَيْه - مِنَ الضّاحِكِ إلى الثّنيّة

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٧٨ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٢ .

	المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت ١٨٠هـ	عند ابن جني ت ٣٩٢هـ	عند الرضي ت ٦٨٨هـ	الملاحظات
	طرف ٱللّسان بينها وبين ما يليها من ٱلحنك ٱلأعلى، وما فويق ٱلضّاحك وٱلنّاب وٱلرّباعيّة وٱلثّنية (٤) ٠				لِأَنَّ ٱلضَّادَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَضْرَاسِ وَحَافَةِ ٱللِّسَانِ، وَٱللَّامُ يَخْرُجُ مِنْ فُوَيْقِ ٱلضَّاحِكِ وَٱلنَّابِ وَٱلرَّبَاعِيَّةِ وَٱلثَّنِيَّةِ ، لَا مِنْ نَفْسِ ٱلْأَسْنَانِ وَحَافَةِ ٱللِّسَانِ " (١)
٠٩	مِن طرف ٱللسان بينه، وما فويق ٱلثّنايا	ن	=	=	قال الرّضيّ : " ٱلنُّونُ أَقْرَبُ إِلَى رَأْسِ ٱللِّسَانِ مِنَ ٱلرَّاءِ " (٢) وقالَ : " وَٱلْحَقُّ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لِلنُّونِ مَخْرَجَيْنِ : أَحَدُهُمَا فِي ٱلْفَمِ ، وَٱلْآخَرُ فِي ٱلْخَيْشُومِ " (٣)
١٠	من مخرج ٱلنّون غير أنّه أدخل في ظهر ٱللّسان ٠	ر	=	=	قال ٱلرّضيّ : " وَمَخْرَجُ ٱلرَّاءِ هُوَ مَخْرَجُ ٱلنُّونِ غَيْرَ أَنَّهُ أَدْخَلُ فِي ظَهْرِ ٱللِّسَانِ قَلِيلاً ، وَلِٱنْحِرَافِهِ إِلَى ٱللَّامِ ، أَي ٱلرَّاءُ مَائِلٌ إِلَى ٱللَّامِ " (٤)
١١	ممّا بين طرف ٱللّسان ، وأصول ٱلثّنايا ٠	ط، د، ت	=	=	قال ٱلرّضيّ : " ٠٠٠ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّصِلَ طَرَفُ ٱللِّسَانِ بِٱلثَّنَايَا كَمَا ٱتَّصَلَ بِأُصُولِهَا ، لِإِخْرَاجِ ٱلطَّاءِ وَٱلدَّالِ " (٤) ٠
١٢	ممّا بين طرف ٱللسان	ز، س، ص	ص، ز، س	ز، س، ص	قال فيها وفي سابقتها : " تَرَاخَيْنَ عَنِ ٱللَّامِ إِلَى ٱلثَّنَايَا ، وَلَيْسَ فِيهِنَّ ٱنْحِرَافٌ نَحْوَ ٱللَّامِ كَمَا كَانَ فِي ٱلرَّاءِ " (٥) وَيَقولُ فِي عبارة سيبويه : " فَعَلَى مَا قَالَ مَخْرَجُ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفِ هُوَ مَخْرَجُ ٱلنُّونِ " (٦)
١٣	ممّا بين طرف ٱللسان ، وأطراف ٱلثّنايا ٠	ظ، ذ، ث	=	=	ٱقتصر على قوله (في معنى طرف ٱلثّنايا) : " أَي ٱلثَّنَايَا ٱلْعُلْيَا " (٧) وقال في إدغام ٱللّام فيهن " لِأَنَّهُنَّ مِنْ أَطْرَافِ ٱلثَّنَايَا ، وَقَارَبْنَ مَخْرَجَ ٱلْفَاءِ " (٨) وقال : " إِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهَا رَأَيْتَ طَرَفَ ٱللِّسَانِ خَارِجاً عَنْ أَطْرَافِ ٱلثَّنَايَا " (٩)

(١) ش ش ٣ / ٢٥٣ ٠ وٱلكتاب : ٤ / ٤٣٣ وفيها سقط بعد كلمة (فويق) إلى ما قبل كلمة (ٱلثّنايا) في مخرج ٱلنّون، وٱلصّحيح في طبعة بولاق ٢ / ٤٠٥ (وقد ذكرها ٱلرّضيّ كاملة مع بعض ٱلتّصرف ٠ (٢) ش ش ٣ / ٢٥٣ ٠ (٣) ش ش ٣ / ٢٧١ ٠ (٤) ش ش ٣ / ٢٥٣ (٥) ش ش ٣ / ٢٧٩ ٠ (٦) ش ش ٣ / ٢٥٤ ونقل ٱلرّضيّ عبارة سيبويه لكنّه جعل مكان فويق ٱلثّنايا ، طرف ٱلثّنايا وذكره لطرف ٱلثّنايا يتنافى مع مقولة بعدها وهو كون مخرج هذه الحروف مخرج النون وعبارته في مخرج ٱلنّون ٱلّتي هي رأي سيبويه في الكتاب ٤ / ٤٣٣ فيمكن أنْ يكون تحريفاً ٠ (٧) ش ش ٣ / ٢٥٤ (٨) ش ش ٣ / ٢٧٩ (٩) ش ش ٣ / ٢٨٣

المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت ١٨٠هـ	عند ابن جني	عند الرضي ٦٨٨هـ	الملاحظات
من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى .	ف	=	=	لم يعرض له ، ولكنه ذكر مقاربة مخرج (ظ ذ ث) لمخرج الفاء [١] .
مابين الشفتين .	ب ، م ، و	=	=	لم يعرض له ، وفي مكان آخر قال عن الميم : "لأَنَّ فِيهِ ٱلْغُنَّةَ كَٱلنُّونِ ، وَهُوَ شَفَوِيٌّ كَٱلْبَاءِ" [٢] ، وقال: "آلَةُ ٱلضَّمَّةِ ٱلشِّفَةُ" [٣] وهي أيضاً "مَخْرَجُ ٱلْوَاوِ" [٤] .
الخياشيم	ن	ن (الخفية والخفيفة)	=	قال في إخفاء النون مع سوى حروف الحلق: "... فَيُقْتَصَرُ عَلَى مَخْرَجِ ٱلْخَيْشُومِ فَيَحْصَلُ ٱلنُّونُ ٱلْخَفِيَّةُ" [٥] . ونقل في المتفرعات عن السيرافي نحو ذلك [٦] .

(١) ش ش ٣/ ٢٨٤ .

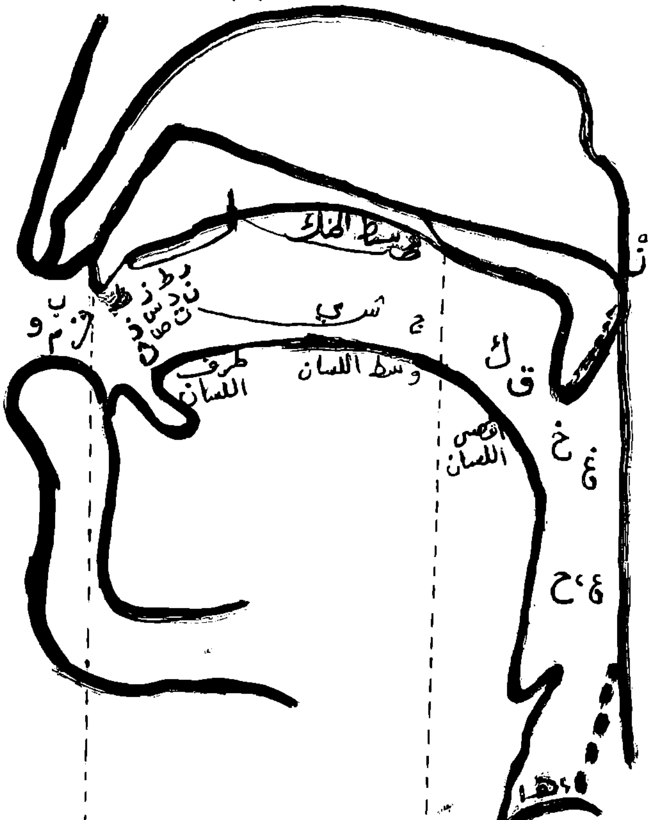
(٢) ش ش ٣ / ٢١٦ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٧٦ (ينظر مصطلح آلة الضمة)

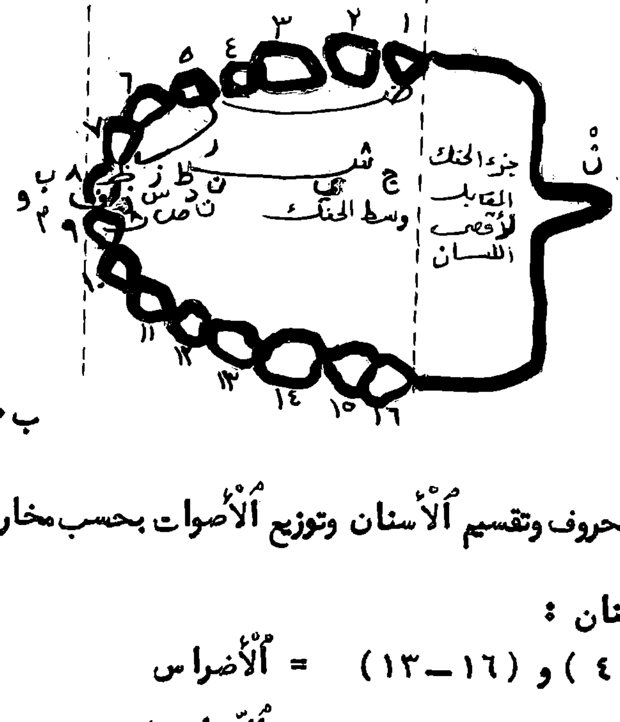
(٤) ش ش ٣ / ٢٦١ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٧٢ .

(٦) ينظر ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ وينظر : الكلام عنها في الأصوات المتفرعة من هذا الفصل .



أ• مقطع طوليّ لآلة الحروف •



ب• مقطع عرضي للأسنان والحنك الأعلى •

آلة الحروف وتقسيم ٱلْأسنان وتوزيع ٱلْأصوات بحسب مخارجها عند ٱلرَّضيّ (*)

- أرقـــام ٱلْأسنان :

(١ ــ ٤) و (١٦ ــ ١٣)	= ٱلْأضراس
٥ و ١٢	= ٱلضّواحك
٦ و ١١	= الأنيـــاب
٧ و ١٠	= ٱلرّباعيّـــات
٨ و ٩	= ٱلثّنايـــا

(*) مخطط الرسم عن : علم الاصوات العام : ٧٥

ـ وقفة مع المخارج الصوتية:

١ ـ أكد الرضيّ وبشكل صريح تبنيه لترتيب سيبويه، وتفضيله على ترتيب أستاذه الخليل او أيّة آراء مخرجية من نحو ما ذكر للأخفش والفراء، قال بعد أن ذكر ترتيب الخليل، ومخالفة الفراء لسيبويه في موضعين: "أَحَدُهُمَا أَنَّهُ جَعَلَ مَخْرَجَ ٱلْيَاءِ وَٱلْوَاوِ وَاحِداً، وَٱلآخَرُ أَنَّهُ جَعَلَ ٱلْفَاءَ وَٱلْمِيمَ بَيْنَ ٱلشَّفَتَيْنِ "(١) قال عقيب ذلك: "وَأَحْسَنُ ٱلْأَقْوَالِ مَاذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ، وَعَلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ بَعْدَهُ "(١).

أمّا بشأن الأخفش فقد قال: "وَمَذْهَبُ ٱلأَخْفَشِ أَنَّ ٱلْأَلِفَ مَعَ ٱلْهَاءِ، لَاقُدَّامَهَا وَلَا خَلْفَهَا "(٢)؛ فقد دحضها بقول ابن جنّي (الذي يرى-مثل سيبويه-كونهما متعاقبين مع اختلافه عنه بتقديم الألف): "لو كَانَا مِنْ مَخْرَجٍ لَكَانَ يَنْقَلِبُ ٱلْأَلِفُ هَاءً لَاهَمْزَةً إذَا حَرَّكْتَهَا، ولِمَانِعٍ أَنْ يَمْنَعَ مِنْ ٱنْقِلَابِ ٱلْأَلِفِ هَمْزَةً بِٱلتَّحْرِيكِ "(٢).

وفي مخالفة المصنف سيبويه في مخرج اللام وأنّه: "مَادُونَ طَرَفِ ٱللِّسَانِ إِلَى مُنْتَهَاهُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ"(٣) أي: يجعله من نفس الأسنان، وحافة اللسان بحسب الرضي؛ فقد أعقبه بـ: "وَجَمِيعُ عُلَمَاءِ هٰذَا ٱلْفَنِّ عَلَى مَاذَكَرَ سِيبَوَيْهِ، وَٱلْمُصَنِّفُ خَالَفَهُمْ كَمَا تَرَى، وَلَيْسَ بِصَوَابٍ "(٤).

وتبني الرضيّ لآراء سيبويه سواء أكانت هنا أم في غيره تبيّن حصافة تفكيره السليم في اتّباع الرّأي الأسلم علميّاً، فالرّضيّ ـ كما أعتقد ـ ليس بشخصيّة مقلّدة، ليس همّها إلّا تبنّي الآراء التي يعتزّ بها العلماء، وهي آراء سيبويه، بل هو رجل تثبت كتاباته تمكّنه في جوانب الدّراسات اللغوية المختلفة؛ ويكفي في ذلك أنّه لم يتبنّ رأي أستاذ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيديّ وهو هو في مكانته لدى العلماء، وقد تبنّت آراءه جماعة غير قليلة من العلماء.

ويتبيّن من الجدول متابعته تلك، وهو يخالف ابن جنّي عند مخالفته في ترتيب بعض الأصوات عمّا عند سيبويه.

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٤.

(٢) ش ش ٣ / ٢٥١.

(٣) الشافية: ٢٥١.

(٤) ش ش ٣ / ٢٥٣.

٢ ـ لَقَدْ وقفتُ في موضوع ٱلْإدغام على نصّ للرّضيّ يتّخذ فيه ترتيباً للحروف الحلقيّة مغايراً ماهو متعارف عليه في ترتيبها عند ٱلْخليل أو سيبويه أو ٱبن جنّيّ ، إذْ قال في هـذا النص : " ... لِأَنَّ أَنزلَهَا فِي ٱلْحَلْقِ أَثْقَلُهَا ، فَأَثْقَلُهَا ٱلْهَمْزَةُ ثُمَّ ٱلْهَاءُ ، ثُمَّ ٱلْعَيْـنُ ثُمَّ ٱلْغَيْنُ ، ثُمَّ ٱلْحَاءُ ، ثُمَّ ٱلْخَاءُ ، فَٱلْحَاءُ أَخَفُّ مِنَ ٱلْغَيْنِ وَٱلْخَاءِ "(١) .

فهو يقدّم ٱلْحاء ويؤخّر ٱلْغين ، وٱلْحال أنّ ٱلْحاء مع ٱلْعين من وسط ٱلْحلق وٱلْغين من رأس الحلق (أدنى ٱلْحلق) مع ٱلْخاء ، ولكن مايُمكن أن يكونَ ترتيباً جديداً أوّل وهلة يتهاوى ساقطاً للأسباب الآتيـة :

آ . آخر ٱلنّص يناقض ماقبله ، وهو قوله : " فَٱلْحَاءُ أَخَفُّ مِنَ ٱلْغَيْنِ وَٱلْخَاءِ " ومقتضـى ما تقدّمه يقول إنّ ٱلْحاءَ أثقل من ٱلْخاء لكونها أنزل منها ؛ ولكنّ هذا ٱلْجزء من ٱلنّـص لايتطابق أيضاً مع موقفـه السّابق ٱلّذي عرضته في الجدول .

ب ـ تصريحه ٱلْواضح باعتماده ترتيب سيبويه بحسب الفقرة (١) ، ولمْ أجد أيّة إشارة غيـر هذه قد يتّخذ فيها ترتيباً جديداً أو أيّ تعديل يراه .

جـ ـ يقولُ ٱلرّضيّ في ٱلْحاء : " وَأَمَّا مُنَاسَبَتُهُ لِلْعَيْنِ ، فَلِأَنَّهُمَـا مِنْ وَسَطِ ٱلْحَلْقِ "(٢) وهذا يناقض ٱلنّص المتقدّم ، لِأَنَّ ذلك يضعُ ٱلْحاء مع الخاء في رأس ٱلْحلق أو أدنى ٱلْحلق على ماهو الظّاهر .

وٱلّذي أخرج به ممّا سبق أنّ في ٱلنّص ٱلسّابق شيئيْنِ : ٱلْأوّلَ تحريف بين ٱلْغين وٱلْحاء ، ربّما يكون من عمل ٱلنّاسخ ، وربّما يكون سهواً من الرّضيّ تأثُراً لاشعوريّاً بالترتيـب الهجائـي .

والثّاني : تصحيف في ٱلْجزء ٱلأخير من ٱلنّص وهو أنّ ٱلْحاءَ خاءٌ والخاءَ حـاءٌ .

وعلى هذا أرى أنّ ٱلنّصّ مدار ٱلْحديث يجب أنْ يكون هكذا : (لأنّ أنزلها في ٱلْحلـق أثقلها ، فَأثقلها ٱلْهمزةُ ثمّ ٱلْهاءُ ، ثمّ ٱلْعين ، ثمّ ٱلْحاء ، ثُمّ ٱلْغين ، ثمّ ٱلْخاء ، فَٱلْخـاء أخف من ٱلْغين وٱلْحاء) .

٣ ـ إنْ كان الرّضيّ لم يشرْ صراحة إلى حاجة علم ٱلأصوات في إنتاج ٱلْأصوات ٱللّغويـّة إلى علم ٱلتّشريح ، فإنّـه قد أقرّ ضمناً بذلك بحرصه على ٱلتّقسيم ٱلدّقيق لِلْأسنان ووصـفِ حافّة ٱللّسان عند وقفتـه على مخرج ٱلضّادِ . (على ما سبق من أجزاء آلة ٱلصّوتِ) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٥ ، وللتأكّـد من صحة الطبع وقفت على الموضوع في طبعة أخرى من شرح الشافية بتحقيق عبد الرحمن خليفة وقد وجدتها تطابق الطبعة المعتمـدة ينظر منها : ٣٣٨ ، ولتبنّيـه آراء سيبويـه ينظر منها : ٣٣٢ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٦٦ .

وقد أشار إلى أهمية ذلك بعضُ ٱلعلماء ٱلسّابقين كأبن سينا في رسالته (السّابقة)(١)، والدّرس الحديث يرى أنّ على ٱلباحث الصّوتيّ أنْ يتمتّع بقدر من ٱلمعلومات ٱلّتي يقدّمها علم ٱلتّشريح؛ لأنّها تمثّل ٱلحجر ٱلأساسيّ في وصف ٱلأصوات وتصنيفها . (٢)

ـ ٱلأصْوَاتُ ٱلْمتفرِّعة :

(سبقَ مصطلح المُتفرِّع) . يقدّم لنا الرّضيّ هنا (وهي ٱلْخطوة ٱلْمتعارف عليها في ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ٱلْعربيّ مبحثاً جديراً بأنْ يذكّرنا بأحدث نظريات علم ٱلأصوات الوظيفيّ أو ٱلتّشكيليّ (Phonology) وهي ٱلنّظريّة ٱلفونيميّة الّتي تعدّ معلماً مميّزاً لمدرسة براغ ٱللغويّة (٣) ، حيثُ يقدّم لنا مجموعة من ٱلأصوات أُصطلح عليها بٱلْمتفرّعة و " هي في ٱلْحقيقة أشكال صوتيّة لِلْحروف ٱلأصليّة تختلف عنها ٱختلافاً صوتيّاً محدّدًا ، بسبب وقوع هذه ٱلْحروف في بيئة صوتيّة تجعلها تُلْفَظ بشكل مغاير جزئيّاً لِلشّكل ٱلأصليّ لها . . . وعلم اللغة الحديث يسمّي هذا ٱلصّوت (ٱلفوناً ـ Allophone)(٤) ".

فما هذه ٱلأصوات إلاّ هيئات صوتيّة لِلأصوات ٱلأصول الّتي تمثّل ٱلْفصحى ، ويبدو أنّ ٱنْعدام أثرها الدّلاليّ وٱختلافها بنحوٍ ما عن ٱلْحروف ٱلأُصول ٱلْمقاربة هو ٱلّذي دعا سيبويه (وهو أوّل من أشار إليها) الى محاولة تمييزها بوضع تسميات خاصة بها ، غير أنّ علمه لم يكن شاملا لجميع أو لأكثر هذه ٱلأصوات الّتي " لاتَبِينُ إلاَّ بِٱلْمُشَافَهَةِ " (٥) ممّا حدا ببعض علماء ٱلْعربية إلى زيادتها ، ومحاولة ٱلْوقوف على حقيقة ما ٱستحسن منها وما ٱستهجن ، (وهو تقسيم سيبويه لها ، فقد وصف ٱلْقسم ٱلأوّل بقوله : " وَهِيَ كَثِيرَةٌ يُؤْخَذُ بِهَا ، وَتُسْتَحْسَنُ فِي قِرَاءَةِ ٱلْقُرآنِ وَٱلأَشْعَارِ . . . ")(٦) .

---

(١) وأيضاً : ٱلرّازيّ في تفسيره الكبير ٦/١ ، وعلماء ٱلتّجويد بما حرصوا على وصف ٱلأعضاء ٱلصّوتيّة ، ينظر : ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة : ٩٦ ومابعدها .

(٢) ينظر علم اللغة : ١٤٠ ــ ١٤١ .

(٣) للوقوف على هذه المدرسة واتجاهاتها ومنجزاتها يُنظر : مدرسة براغ ٱللغويّة ، د . أحمد مختار عمر ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، ع ١١ ، ١٩٧٧ .

(٤) الفونيم : ٨٢ .

(٥) الكتاب : ٤ / ٤٣٢ .

(٦) الكتاب : ٤ / ٤٣٢ ، يقصد بالكثرة دورانها على الألسن لا الكثرة العدديّة .

ووصف ٱلْقسم ٱلثّاني بقوله : " ... بِحُرُوفٍ غَيْرِ مُسْتَحْسَنَةٍ وَلَا كَثِيرَةٍ فِي لُغَةِ مَنْ تُرْتَضَى عَرَبِيَّتُهُ ، ولَا تُسْتَحْسَنُ فِي قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ وَلَا فِي ٱلشِّعْرِ ... "(١)، وقد تصدّى ٱلرّضيّ لها في درسه،حيثُ تتجلّى مقدرته في محاولة ٱلْكشف عن معيار ٱلْاستحسان والاستهجان في بعض ٱلْأصوات ٱلّتي يرى أنّها صوتٌ واحدٌ في ٱلْحقيقة،فقد قال (في ٱلشّين كٱلْجيم ، وٱلْجيم كٱلشّين حيثُ الاول مستحسن ، والثاني مستهجن عند سيبويه) :

" وَكِلْتَاهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، لٰكِنَّهُ إِنَّمَا ٱسْتُحْسِنَ ٱلشِّينُ ٱلْمُشْرَبَةُ صَوْتَ ٱلْجِيمِ،لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ بِهَا إِذَا كَانَتْ ٱلشِّينُ سَاكِنَةً قَبْلَ ٱلدَّالِ ، وَٱلدَّالُ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ،وَٱلشِّينُ مَهْمُوسَةٌ رَخْوَةٌ تُنَافِي جَوْهَرَ ٱلدَّالِ ،وَلَاسِيَّمَا إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً ،لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ تُخْرِجُ ٱلْحَرْفَ عَنْ جَوْهَرِهِ، فَتُشْرَبُ ٱلشِّينُ صَوْتَ ٱلْجِيمِ ٱلَّتِي هِيَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ كَٱلدَّالِ لِتَنَاسُبِ ٱلصَّوْتِ ،فَلَا جَرَمَ ٱسْتُحْسِنَ ،وَإِنَّمَا ٱسْتُهْجِنَ ٱلْجِيمُ ٱلَّتِي كَٱلشِّينِ،لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ بِهَا إِذَا سُكِّنَتْ وَبَعْدَهَا دَالٌ أَوْ تَاءٌ ، نَحْوَ أَجْتَمَعُوا وأَجْدَر . وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْجِيمِ وَٱلدَّالِ ، وَلَابَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلتَّاءِ تَبَايُنٌ ،بَلْ هُمَا شَدِيدَتَانِ ،لٰكِنَّ ٱلطَّبْعَ رُبَّمَا يَمِيلُ لِاجْتِمَاعِ ٱلشَّدِيدَيْنِ إِلَى ٱلسَّلَاسَةِ وَٱللِّينِ،فَيُشْرِبُ ٱلْجِيمَ مَا يُقَارِبُهُ فِي ٱلْمَخْرَجِ ، وَهُوَ ٱلشِّينُ ، فَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلْمُتَنَافِيَيْنِ مُسْتَحْسَنٌ ،وَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلْمِثْلَيْنِ مُسْتَهْجَنٌ ، فَصَارَ ٱلْحَرْفُ ٱلْوَاحِدُ مُسْتَحْسَنًا فِي مَوْضِعٍ ، وَمُسْتَهْجَنًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، بِحَسَبِ مَوْقِعِهِ "(٢).

فٱلرّضيّ يرى أنّ ٱلْاستحسان وٱلْاستهجان معيار موقعيّ ، وليس معياراً خارجياً يُفرض فرضاً بل يُرعى فيه أمر ٱلنّطق فعدَّ ٱلْفرار من ٱلْمثلين،ويعني بهما ٱلْجيم مع ٱلدّال وٱلتّاء، (وأطلق ٱلْمثلين لِلتّشابه في صفتيهما خاصة مع ٱلدّال)،فكان ٱلطّبع ٱلْعربيّ ٱلْفصيح يميل إلى ٱلْحفاظ على مثل هذا ٱلتّتابع ٱلنّطقيّ ٱلْيسير كما يراه،فلمّا فرّ منه كان لأجل هذا مستهجناً ،وما حصل في ٱلشّين كٱلْجيم عكس ذلك ،إذا تنافت ٱلشّين مع ٱلدّال فُرّ من هذا ٱلتّنافي،فكان مُستحسناً .

ويرى ٱلرّضيّ أنّ ماقاله هنا يضمّ أصوات ٱلْكاف كٱلْجيم وٱلْجيم ٱلّتي كٱلْكاف "إِلَّا أَنَّ أَصْلَ أَحَدِهِمَا ٱلْجِيمُ،وَأَصْلَ ٱلْآخَرِ ٱلْكَافُ "(٣) فٱلْأوّل في نحو جافر في كافر، وٱلثّاني في نحو كمل (أي : جمل) ،وفي رجل : ركل ،إلّا أنّهما جميعاً مستهجنان وكذا مثلهما من ٱلْمتفرّعة ٱلْقاف بين ٱلْقاف وٱلْكاف ،فقد نقل عن ٱلسّيرافي قوله :

---

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٥ ــ ٢٥٦ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٧ .

(١) الكتاب : ٤ / ٤٣٢ .

" هُوَ مِثْلُ ٱلْكَافِ ٱلَّتِي كَٱلْجِيمِ وَٱلْجِيمَ ٱلَّتِي كَٱلْكَافِ " (*)

وٱلرّضيّ في هذا ٱلْموضوع يعتمد في مواضع على ٱلسّيرافيّ الّذي فيما يبدو كـان يتمتـع بموهبة جيّدة في تمييز ٱلْأصوات ٱلْمتقاربـة في أجراسها •

وٱلْأصوات ٱلْمتفرّعة ٱلْمستحسنة عنده هـي :

١ ـ ٱلْهَمْزة بينَ بينَ : وهو تعبير يجمع ثلاثة أصوات مابين الهمزة وأحد أصوات ٱلْمـد وظاهر كلام سيبويه أنّها واحدة (١) ،ويرى د• تمّام حسّان أنّها " مُجَرَّدُ خَفْقَـةٍ صَدْرِيّةٍ لَا يَصْحَبُهَا إِقْفَالُ ٱلْأَوْتَارِ " (٢) •

٢ ـ ٱلنُّون ٱلْخفيّة : يذكر ٱلرّضيّ : " قِيلَ : إِنَّ ٱلرِّوايَةَ عَنْ سيبويه:ٱلْخَفِيفَةُ ،قَالَ ٱلسِّيرافيُّ: يَجِبُ أَنْ يُقَالَ : ٱلْخَفِيّةُ ،لِأَنَّ ٱلتَّفْسِيرَ يَدُلُّ عَلَيْهِ ،وإِذْ هِيَ نُونٌ سَاكِنَةٌ ظَاهِرَةٌ مَخْرَجُهَا مِنَ ٱلْخَيْشُـومِ فَقَـطْ " (٣) وتحدّد مجيئها موقعيًّا قبل ٱلْحروف الخمسةَ عشـر (حروف ٱلْفـم وٱلْشّفـة) •

٣ ـ ألف الإمالة : يُسـمّيها سيبويـه ألف ٱلتّرخيـم ، وتبدو بحسب بعض ٱلْمحدثيـن ، " صوت لين نصف ضيـق " (٤) •

٤ ـ لام ٱلتّفخيـم : (٥) (بحسب مصطلح ٱلتّفخيـم) •

٥ ـ ألف ٱلتّفخيـم (٥) (بحسب مصطلح ٱلتّفخيم)،ولم يذكرها ٱبنُ ٱلْحاجـب وٱستدركها عليـه ٱلرّضـيّ •

٦ ـ ٱلصّـاد كَٱلزّاي (٥) : في نحو يَصْدُقُ ،وصَدَقَ (سبق في مصطلحي ٱلتّناسب وٱلْمضارعة)•

٧ ـ ٱلشّين كَٱلْجيم : (كما في مصطلح ٱلْمضارعة)،وقد سبق ٱلْكلام عنها •

هذه هي ٱلْمستحسنـة،ويبلغ عددها عنده تسعـة أصـوات •

---

(١) ينظر : الكتاب:٤/٤٣٢ ، ش ش ٣/ ٢٥٤،وفي تخفيف ٱلْهمزة ش ش ٣ /٣٠ •

(٢) اللغة العربية : معناها ومبناها : ٥٣ •

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ •

(٤) في ٱلْبحث ٱلصّوتيّ : ٦٧٨،وينظر : ش ش ٣/ ٢٥٥،والكتاب:٤/ ٤٣٢ •

(٥) ش ش ٣ / ٢٥٥ •

(*) ش ش ٣/٢٥٧ ••

أمّا ٱلأصواتُ ٱلمتفرّعة ٱلْمستهجنة فهي :

١ ــ ٱلصّاد كَٱلسّين : قالَ ٱلرّضيّ : " قَرّبَهُمَا بَعْضُهُمْ مِنَ ٱلسّينِ لِكَوْنِهِمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ " (١)

٢ ــ ٱلطّاء كَٱلتّاء : قال عنها : " تكُونُ فِي كَلَامِ عَجَمِ أَهْلِ ٱلْمَشْرِقِ كَثِيراً ، لِأَنَّ ٱلطّاءَ فِي أَصْلِ لُغَتِهِمْ مَعْدُومَةٌ ... " (١)

٣ ــ ٱلفاء كَٱلباء : نقل عن السّيرافيّ : " هِيَ كَثِيرَةٌ فِي لُغَةِ ٱلْعَجَمِ ، وَهِيَ عَلَى ضَرْبَيْنِ : أَحَدُهُمَا لَفْظُ ٱلْبَاءِ أَغْلَبُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْفَاءِ ، وَٱلآخَرُ لَفْظُ ٱلْفَاءِ أَغْلَبُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْبَاءِ ، وَقَدْ جُعِلَا حَرْفَيْنِ مِنْ حُرُوفِهِم سِوى ٱلْبَاءِ وَٱلْفَاءِ ٱلْمُخْلَصَيْنِ ، قَالَ : وَأَظُنُّ أَنَّ ٱلْعَرَبَ إِنَّمَا أَخَذُوا ذٰلِكَ مِنَ ٱلْعَجَمِ لِمُخَالَطَتِهِم إِيَّاهُم " (١) فهٰذا ٱلمتفرّع يَضُمّ صوتيْ : (V و P) في ٱلإنكليزيّة فالأوّل صوت ٱلْفاء مع ٱلْجَهْر ، والآخر صوت ٱلْباء مع ٱلْهمس ، ويُمكن أنْ يكون صوت (P) من بقايا السّاميّة ٱلأمّ في ٱلْعربيّة ، فقد عدّ برجشتراسر هذا الصّوت أحد أصواتها وهي أصل ٱلْفاء ٱلْفصيحة . (٢)

٤ ــ ٱلضّاد ٱلضّعيفة : ينقل عن السّيرافيّ أنّها عند من لم تكن ٱلضّاد ٱلْفصيحة من أصواتهم " فَرُبَّمَا أَخْرَجُوهَا ظَاءً لِإِخْرَاجِهِمْ إِيَّاهَا مِنْ طَرَفِ ٱللِّسَانِ وَأَطْرَافِ ٱلثَّنَايَا ، وَرُبَّمَا تَكَلَّفُوا إِخْرَاجَهَا مِنْ مَخْرَجِ ٱلضَّادِ فَلَمْ يَتَأَتَّ لَهُمْ فَخَرَجَتْ بَيْنَ ٱلضَّادِ وَٱلظَّاءِ " (١) ويذكر عن حاشية كتاب ٱبن مبرمان ما يفيد أنّها الصّوت المفخّم للثّاء كما يقال في أثْرُدْ لَهُ : أضْرُدْ لَهُ ، ويعتقد سيبويه أنّ خروجها من ٱلْجانب ٱلأيسر أخفّ من ٱلأيمن لاعتياد ٱلأيمن على ٱلصّحيحة . (٣)

وأرى أنّ هذا ٱلصّوت أحد أمثلة ٱلتّطور ٱلصّوتيّ ٱلّذي حدث لصوت ٱلضّاد الّذي رآه بعض ٱلمحدثين صوتاً غريباً جدّاً ، ليس له نظير في أيّة لغة إنسانيّة أخرى ، ورآه آخر صوتاً مجهولاً من ٱلصّعب تصوّره ، وينظر بعض ٱلباحثين إلى أنّ هذا ٱلصّوت هو ٱلمقابل ٱلْمهموس لِلضّاد . (٤)

٥ ــ ٱلْكاف كَٱلْجيم (سبق ٱلْكلامُ عنها وعن أختها .) ويُصطلَح عليها أيضاً بٱلْكاف بين ٱلْكاف وٱلْجيم ، يقول د . تمّام حسّان فيه : " مِنْ أصواتِ ٱلْكاف لَمْ يفقدْ همسَه

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٦ .

(٢) التّطور النحويّ : ١٣ ، ٢٣٦ ، دروس في علم أصوات العربيّة : ٤٢ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٦ ــ ٢٥٧ .

(٤) ٱلضّاد العربيّة مثال لِلتّطوّر ٱلصّوتيّ : ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٤٤ ، وجودها في بعض ٱللغات ٱلأجنبيّة .

وإنْ أصبح معطشاً لِتعطيشِ ٱلْجيم،وهذا ٱلصّوتُ هُو ٱلّذي يصفُهُ ٱلنّحاةُ بٱصطلاح ٱلْكَشْكَشَةِ ، وهو شَبيهٌ لِمَا في نطق ٱلْعراقيّينَ لكلمةِ (كَيْفَ) "(*)

٦ ـ ٱلْجيم كٱلْكاف : " وَهِيَ فَاشِيَـةٌ فِي أَهْلِ ٱلْبَحْرَيْنِ " (١).

٧ ـ ٱلْجيم كٱلشّين : (سبق ٱلْكلام عنها) .

٨ ـ ٱلْكاف بين ٱلْقاف وٱلْكاف : (سبق الكلام عنها) .

٩ ـ ٱلْجيم ٱلّتي كٱلْزاي (١) : كما في (أَجْدَر) (وعلى ما في مصطلحي ٱلْمضارعة وٱلإشراب)

١٠ ـ ٱلشّين ٱلّتي كٱلزّاي (٢) : كما في (أَشْدَق) (وعلى ما في مصطلحي ٱلْمضارعة وٱلإشراب)

١١ ـ ٱلْياء كٱلْواو : قال ٱلرّضيّ : " وَمِنْهَا أَيْضَاً ٱلْيَاءُ كٱلْوَاوِ فِي قيل وبيع ـ بِٱلإشمام "(١)
(ينظر مصطلح الإشمام) ،وهو أحد ٱلصّوائت ٱلطّويلة ٱلْمتفرعة .

١٢ ـ ٱلْواو كٱلْياء : قالَ : " وٱلْوَاوُ كالياء في مذعور وَٱبْنِ نُور ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي بَـابِ ٱلْإِمَالَـةِ "(٢)

وبعدُ : فإنّ ٱلرّضيّ يرمي ٱبنَ ٱلْحاجب بٱلْوهم عندما يرى عدم تحقّق بعض ٱلْأصوات وهي ٱلجيم كالكاف والجيم كالشين . وقد زاد عليه ٱلْأصوات في :(٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢)، زيادةً على ماذكرهُ من عدم ذكره لـ (ألف ٱلتّفخيـم) .

وعلى ماذكر ٱلرّضيّ فعدد ٱلْمتفرعة المستهجنة يبلغ ٱثني عشرَ متفرعاً،فيكون مجمـوع المتفرعات بقسميها واحداً وعشرينَ صوتاً أو يكون تسعةَ عشرَ صوتاً،لموقفه في متفرع الجيم ومتفرع الكاف بينما لم يذكر سيبويه منهما الا أربعةَ عشرَ فرعاً . (٣)

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٧.

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٧،وينظر ٣ / ٢٩ .

(٣) ينظر الكتاب:٤ / ٤٣٢ .

(*) اللغة العربية معناها ومبناها : ٥٤ .

٢ـ آليةُ الصّفاتِ الصّوتيّةِ : لقدْ قُمْتُ في مَبحثِ المُصطلحاتِ الصّوتيّةِ في الفَصْلِ الأوّلِ بتقديمِ مفهوماتِ الرّضيّ في طبيعةِ هذهِ الصّفاتِ الّتي هيَ إحدى مرتبتي التّمايزِ بينَ الأصواتِ الّتي تَنبّه لهَا الدّرسُ الصّوتيُّ العربيُّ مُنذُ أيامِ سيبويهِ (وقد حَرَصْتُ كثيراً في أنْ أكونَ دقيقاً في فَهْمِ مقاصدِهِ وَأُجنِّبَ نفسي وغيري تكلّف سحبِ تلكَ المفهوماتِ إلى مَاتوصّلَ اليه الدّرسُ الحديثُ .

ولابُدّ لي من وقفةٍ هنا ، استكمالاً لِمَاتقدّمَ في المُصطلحاتِ ، واستكمالاً للبحثِ الّذي أنا بصددِه وحرصاً على تكاملِ النّظرة .

تقومُ فكرةُ الصّفاتِ الصّوتيّةِ على مُلاحظةِ الآليّةِ المَخرجيّةِ الّتي يَعملُها العضوُ المُتحركِ مَعَ العضوِ الثّابتِ وهي تتفاوتُ بينَ الاتّصالِ التّامّ (بالاعتمادِ التّامِ على نقطةِ المَخرجِ فَيُقْفَلُ بذلكَ المجرى الهوائيُّ كما هُوَ الحالُ عندَ الأصواتِ الشّديدةِ (أو الانفجاريّة) والانفراجِ التّامِّ بَيْنَ العضوينِ على مَاهُوَ الحالُ عندَ إصدارِ صوتِ الالفِ وبَيْنَ هَاتيْنِ الآليتَينِ درجاتٌ متفاوتةٌ مِنَ التّضييقِ والتّوسّعِ عَلَى مَاهُوَ الحَالُ في بقيّةِ الأصواتِ (وهي الرّخوةُ والواوُ والياءُ) أو أنْ تُوجَد الآليتانِ الغلقُ والانفتاحُ وهُوَ مَايُسمّى عند الرّضيّ بالصّفةِ مابينَ الشّدةِ والرّخاوةِ وقد يَقْتَصِرُ الاتّصالُ أو التّضييقُ على نُقطةِ المَخرجِ كما في السّابقة أو قَدْ يشملُ منطقةً تَحْتَوي نُقاطاً مُتعدّدةً كما في نُطقِ الأصواتِ المُطبقةِ وعندَ التّفشي ، وهناكَ صفةٌ أُخرى لاحظَها الرّضيّ ترتبطُ بالمدّةِ الزّمنيّةِ الّتي يَمكُث فيها العُضوانِ متقاربيْنِ وقد سمّاها الإشباع فإذا كانَ هذا الإشباعُ مع الحَبْسِ التّامِ أو التّضييقِ فهو صفةُ الجَهرِ وعدمُه الهَمسُ ؛ أمّا إذا كانَ الإشباعُ مَعَ الانفتاحِ الكاملِ للمَجرى فهو المدُّ .

ولَحِظَ الرّضيُّ أيضاً أنَّ لِلشَفتيْنِ دوراً مُهمّاً في الصّفاتِ الصّوتيّةِ فعمليةُ تدويرِ الشّفتيْنِ تَنْتُجُ الضّيقَ المميّزَ لكلٍّ من الواوِ والضّمةِ عَنِ الفَتحةِ والألفِ اللّتينِ يُفرّجُ بينَ الشفتينِ فيهما . أمّا الكسرةُ والياءُ فلاتمّيزانِ هنا بل بارتفاعِ وَسطِ اللِسانِ إلى مافوقَه من الحَنَكِ عَلى مَايرى الرّضيّ (١) . وفيمَا يأتي الوقوفُ عِنْدَ بعضِها .

---

(١) الحقيقةُ العلميّةُ لتمايزِ الضّمة : أنّ للضّمةِ حجرتيْ رنينٍ الأُولى حلقيةٌ ضيّقةٌ والأخرى فمويةٌ أماميّةٌ واسعةٌ ؛ أمّا عند الكسرة فحجرتا الرنينِ حلقيةٌ خلفيّةٌ ، أمّا الفتحة فهي تمتلكُ أوسعَ حجرة رنين تمتدّ من الحلقِ إلى الشّفتينِ (ينظر تحليل الظّواهر الصّوتيّة في قراءة يعقوب الحضرمي ٩٩) والكلام يشمل أصوات المدّ المجانسة للحركات مع بعضِ الاختلافِ القليلِ .

أ ـ فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ : لَقد ورثَ الرَّضِيُّ عن ٱلعلماءِ ٱلْمتقدمِينَ إدراكًا متقدِّمًا جداً فِي ٱلنِّظامِ ٱلوظيفِيِّ لِلُّغةِ ٱلْعربيّةِ ٱلفُصحى بتركيزِهَا ٱلْخاصِ على مجموعةٍ من ٱلصِّفاتِ دونَ غيْرِها مع رَفْضِها لمظاهرِ التَّنازُل عن هذه الصِّفاتِ عند عملياتِ الإدغامِ أوْ التَّقاربِ الصَّوتيِّ الَّذي يحدثُ بينَ الأصواتِ،وقَدْ جمعوا هذِهِ الصِّفات بحروفها في (ضَوِيَ مِشْفَرٌ)،وقد عَمِلَ الرَّضِيُّ على وضعِ الاصطلاحِ المُناسِبِ لها ألا وهو مُصطلحُ (فَضِيلَةُ ٱلْحَرفِ)،وعمِلَ على جمعِ حروفٍ أُخرى يُمكنُ أَنْ تَشملَها هذه النَّظرة.والصِّفاتُ هنا هيَ:اللِّينُ،والاستطالةُ،و(التَّفشي والرَّخاوة)،والغُنَّةُ،والتّكريرُ،والتَّأفيفُ ؛ وزادَ عليْها:الإطباقَ،والصَّفيرَ .

وأمامَ هذه النَّظرة فإنَّنا نَقفُ على الصِّفاتِ ٱلْمُهيمنة في ٱلْعربيّة ٱلفُصحى،ونَجِدُ أَنَّ صفاتِ ٱلْجَهرِ وٱلْهمسِ والشِّدَّة والرَّخاوة ليست بذلك الاعْتبارِ في تمايزِ الأصواتِ فَبالإمكانِ التَّنازل عنها في ٱلتَّحولات ٱلصّوتيّة دُونَ أَنْ تختلَّ الدَّلالةُ .

وقد تمَّ (على وفقِ هذا) النَّظَرُ إلى مجملِ عملياتِ الإدغامِ وَوَصْفِها بٱلْقَبُولِ أوِ الرَّفْضِ اعتماداً على مدى اعتبارِها لوجودِ هذه الصِّفاتِ في الأصواتِ المُدغمةِ .

ب ـ ٱلْجَهْرُ وٱلْهَمْسُ : في ٱلْوَقتِ الَّذي أدركَ فيه ٱلْمُحدثُونَ آليَّةَ هاتيْنِ ٱلصِّفتيْنِ بِعملِ الْأَوْتارِ ٱلصَّوتيَّةِ في ٱلْحَنجرةِ،فهي تَتذبذبُ عند الجهرِ،ولا تتذبذبُ عِنْدَ الهَمْسِ (١) بوساطة ما امتلكوه من أجهزةٍ،نجدُ أَنَّ الرَّضيّ قَدْ أدركَ من قبلُ هاتيْنِ الصِّفتينِ عبْرَ ماتَتمتع بهِ مجموعةُ الأصواتِ المنتميةِ لكلٍّ مِنهما بوضوحٍ سمعيٍّ موازنةً مع مقابلتِها الأخرى ؛ وَهُوَ ماقَرَّرَهُ (يسپرسن) بأبحاثِهِ حينَ وضعَ مدرجًا لستِّ درجاتٍ لمستوياتِ ٱلْجَهرِ،وتَنْتهي بٱلْمرتبةِ السَّادسةِ بالأصواتِ ٱلْمَهْمُوسةِ مثل الكافِ والتَّاءِ والسِّينِ (٢) . ويبدُو لي أَنَّ الرَّضِيَّ قد اعتمدَ في ذلك علَى ملاحظتِهِ الذَّاتيّة من جانبٍ،ومِن جانبٍ آخرَ على الأثرِ عَن سيبويه . وقَدْ جَهَدَ الرَّضِيُّ في محاولةِ الوقوفِ على ٱلْمِعيارِ المميِّزِ لهاتينِ الصِّفتيْنِ ؛ فرأى أَنَّ ذلكَ يَكْمُنُ في جريانِ النَّفسِ،وعدمِهِ،ورُبَّما أدخلَ فيها مِعياراً آخرَ،هو الصَّوْتُ الخارجُ مِنَ الصَّدْرِ الَّذي نقلَهُ عن بعضِهم (٣) .

وإذا كانَ بامكانِ المُحدثينَ أَنْ يجدُوا في صوتِ الصَّدرِ إشارةً إلى صوتِ التَّذبذبِ ٱلْحُنجريِّ،فلا أعتقدُ أَنَّ مفهومَ الرَّضِيِّ هنا يُساعد على ذلكَ . فقد توصلتُ مِن

---

(١) ينظر : دراسة الصوت: ١٠٦ ، ميكانيكية النطق: ٥٠٣ .

(٢) اللُّغة وعلم النَّفس: ٨٢ ، ظاهرة الوضوح السّمعيّ في الأصوات ٦٧ ـ ٦٨ .

(٣) ينظر : ش ش ٣ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

من خلال كلامه أنّ الإشباعَ في الاعتماد هو اشارةٌ إلى مدّةِ الإعاقة المَخْرجيّة، وهي تمنعُ النَّفسَ لأجْلِ هذا من المُرورِ، أمّا ضَعْفُ أو قلّةُ الاعتماد فيسمحُ بمرورِ النَّفسِ، وفي الحالتين يُمكنُ أنْ يمرَّ الصَّوتُ معهما، ويسمعُ، فكانَ الهواءُ الخارجُ بحسبِ اعتقادِ الرّضيِّ (على ما أرى) مركّباً من شيئيْنِ هُما (النَّفَسُ + الصَّوتُ)، والصَّوتُ: هو جزءٌ من النّفس مكيّفٌ بكيفيةٍ خاصةٍ، وعلى وفقِ هذا تتمُّ صفتا الجَهرِ والهَمس، ويدخلُ على التّصور السّابق اعتباراتٌ أخرى تؤدّي إلى القَوْلِ بالجَهرِ في حروفٍ ليْستْ مَجهورةً عند المُحدثين، وذلك لارتباطِها بمسألةِ ارتفاعِ الصَّوتِ وخَفْضِهِ مَعَ دخولِ عمليّاتِ التّقابلِ في الصّفاتِ في المخرجِ الواحدِ عندَ الرّضيِّ عاملاً مهماً، ومؤثِّراً نتيجةً لما قدَّمهُ الخليلُ وسيبويهِ من أفكارٍ من نحو: " فَلَوْلا بَحَّةٌ في الحاءِ لأشْبَهَتْ العَيْنَ، وَلَوْلا هَتَّةٌ في الهاءِ ... لأشْبَهَتْ الحاءَ " (١)، لتقاربِ مَخارجها، والهمزة " مَهْتُوتَةٌ مَضْغُوطَةٌ، فإذا رُفِّهَ عَنْهَا لانَتْ، فصارتْ الياءَ والواوَ والألفَ .. " (٢)، وقولُ سيبويه "ولَوْلا الإطْبَاقُ، لصارَتْ الطّاءُ دالاً، والصّادُ سيناً، والظّاءُ ذالاً، ولَخرجتْ الضّادُ من الكَلامِ، لأنّهُ ليْسَ شيءٌ منْ مَوْضِعِهَا غَيْرُهَا " (٣).

وأستطيعُ القَولَ أنَّ هذا الكلامَ لا يَقْتصرُ على الرّضيِّ فقط، بَل يعمُّ معظمَ ماقدّم لنا التّراثُ الصّوتيُّ مُنْذُ الخليلِ، وحتّى ماقبلَ العصرِ الحديثِ، وبروزِ الاتّجاهاتِ الحديثةِ في علمِ اللّغةِ الحديثِ.

وَمِمّا تقدّم يُمكنُني أنْ أفسّرَ وجودَ أصواتِ الهمزةِ والقافِ والطّاءِ في مجموعةِ المَجهوراتِ، مع أنّ الدّرسَ الحديثَ قدْ بيّنَ عكسَ ذلك بوساطةِ الأجْهزةِ المُختبريّة فالهمزةُ على ما يرى الرّضيُّ تمتلكُ نَبْرةً تجْري مَجْرى التّهوّع (والنَّبْرةُ على ما هو استعمالِ الرّضيِّ هي ارتفاعةٌ في الصّوت (وقدْ مَرّ في مصطلح النبر)، فهي والهمزة المهموسةُ عندَ بعضِ المُحدثينَ (٤)، أو لا مهموسةٌ ولا مجهورةٌ عِنْدَ بعضِهِم الآخر (٥)، أو حتّى المَجهورة، كما سمعتُ ذلكَ من أحدِ الأساتذةِ الأفاضِلِ (٦). هي مَجْهورةٌ

---

(١) العين: ١/ ٥٧.
(٢) نفسه: ١/ ٥٢.
(٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٦.
(٤) ينظر: العربية ولهجاتها: ١٢٠، مناهج البحث: ٩٧، دروس في علم أصوات العربية: ١٢٣، العربية الفصحى: ٣٨.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٩٠، علم اللغة العام (الأصوات): ١١٢.
(٦) د. هود طالب عبد الرّحمن في مناقشة إحدى رسائل الماجستير.

أيضاً عندَ الرّضيّ بمقابلتِها مَعَ الصّوتِ الضّعيفِ (الْخَفيّ) رفيقِها في الْمَخْرَج صَوتِ الْهَاءِ ، فهي أكثرُ قوةً بمافيها من حَفزٍ وشدةٍ أمامَ مُجرّد خروج النّفس ليس اكثرُ عند الْهاءِ الّذي رأى بَعضُهم (١) ، أنْ يُطْلِقَ عليْهِ (صائتٌ مهْموسٌ) مراعاةً لهذه الآليّة .

ويعضِّدُ تفسيري هُنا : مايقرِّرهُ الرّضيُّ نفسُه حينَ يَقولُ : " قَدْ يَحْصُلُ (يعني : اختلافَ الْحروفِ) مَعَ اتّحادِ الْمَخرَجِ بِسبَبِ وَضْعِ الآلَةِ مِنْ شِدّةِ الاْعتمادِ، وسُهُولَتِهِ " (٢) ؛ وقَالَ أيْضاً " بَلْ إنّمَا يَخْتَلِفُ بِالْجَهارَةِ، والّلينِ، والْغِلَظِ، والرِّقّةِ " (٣) .

ويُمكن أيْضا أنْ يكونَ اقترانُها (شبهُ الدّائمِ) بأصواتِ المَدّ قد أوْحىٰ إليْهِ ، ومَنْ سَبَقَهُ أنْ يَقولَ بِجَهرِها .

أمّا الطّاءُ والقافُ فكلاهُما مِن الْمُستعليةِ الّتي يَرْتفعُ اللِسان عندَ النُّطقِ بِهما (مع اختلافِ سَطْح الإحتكاكِ عنْدَ التّصويتِ بِهما) ؛ فكلاهُما يمتلكُ صفةَ قُوّةٍ ، فالإطباقُ صفةُ فضيلةٍ لا يُمكِنُ التّنازلُ عَنها ، ولَها مكانُ الصّدارةِ في الإعتباراتِ الصّوتيّة ، ولها أيْضاً قوّةُ التّأثيرِ الّتي رَصدَ الرّضيُّ بعضَها كمافي (اصْطَبَرَ واطّرَبَ) ، والاْستعلاءُ قريبٌ مِنها ؛ كما أنّ عمقَ مَخرَجِ الْقافِ قَدْ أدّىٰ وظيفةً هُنا بِقُربِه من الأصْواتِ الّتي تَحتاجُ " إلىٰ اعْتمادٍ قَويٍّ ، وَهيَ حُروفُ الْحَلْقِ " (٤) .

ولِهذا على وفقِ مَاسَبقَ تَمَّ وصفُ هذِهِ الأصواتِ بالْجَهرِ ، والّتي يُعزّزُها أيضًا كونُ هذه الأصواتُ شديدةً (إنفجاريّة) ، وهي صفةُ قوةٍ أمامَ الرّخاوة .. ، وعلى هذا لحظْنا أنَّ مفهومي الْمَجهورِ والْمَهموسِ تَتداخلُ عَليْهِما اعتباراتٌ صوتيّةٌ (بعيدةٌ عَن عَمَلِ الأَوْتارِ الصّوتيّة أو قريبةٌ مِنها) ، مع اعتباراتٍ غيرِ صوتيّةٍ ، كأنْ تعبّر عَن نظرةٍ إجتماعيّةٍ أوْ نِتاجِ تَداخلِ عواملَ صوتيّةٍ مُتعدّدةٍ تُبْرزُ لنا الْمُصطلحَ مُحملاً بكلّ ذلك .

---

(١) ينظر : علم اللغة : ١٧٨ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٥١ .
(٣) ش ش ٣ / ٢٥٠ .
(٤) ش ش ٣ / ٢٧٢ .

وَنتقد مي السَّابِقِ في تعليلِ وجودِ أصواتِ الْهَمزة والقافِ والطَّاءِ في خانةِ الْمَجهـورات - أكونَ قدْ زِدْتُ على التّعليلاتِ الَّتي تتوارَدُ .. في كتبِ الْمُحدثينَ (١) - مكرَّرةً لاحقاً عـن سابقٍ تعليلاً رُبَّما يكونُ أكثرَ وجاهةً ومَساساً بحقيقةِ وجودِها هنا ، وأُشيرُ إلى أنَّني لَم أقفْ عند واحدٍ مِن الْباحثينَ على مثلِ هذا التَّفسيرِ الْخاص بهذه الأصواتِ ومفهومي الجهرِ والهمسِ في التُّراثِ الْعربيّ الإسلاميّ .

(٢)
ـ جدول رقم (٢) الأصواتُ الْمَجهورةُ والْمَهموسةُ بَيْنَ الرَّضِيِّ والمُحْدَثِينَ

	الأصواتُ الْمَجهورةُ	الأصواتُ الْمَهموسةُ
المحدثون ٩٦ ـ ١٩٩	، يْ ، وْ ، ج ، ع ، غ ، ض ، ل ، ن ، ر ، ز ، ظ ، ذ ، م ، د ، ب	، ء ، هـ ، ح ، خ ، ك ، ش ، ص ، ت ، س ، ث ، ف ، ق ، ط
الرضي ٢ ـ ١٣ ـ ٩٣	، ء ، وْ ، يْ ، د ، ق ، ط ، ظ ، ل ، ز ، ب ، ض ، ذ ، غ ، ر ، ج ، ن ، م ، ع .	س ، ت ، ش ، ح ، ث ، ك ، خ ، ص ، ف ، هـ .

إذَنْ لِلرَّضِيِّ مَفْهُومَانِ لكلٍّ من الْجَهرِ والْهَمْسِ يُمْكِنُ أَنْ أُعبِّرَ عنهما بالشَّكْـل الآتـي :ـ

---

(١) يُنظر : علم اللغة العام (الأصوات) : ١١٠ و ١١٥ و ١٢١ ، ودروس في علم أصـوات الْعَربيّة : ٣٥ ، ٦٦ ، ١٥٦ ، وأصوات الْعَربيّة بينَ التَّحوّل والثّبات : ٢٥ ـ ٣٨ ، وينظر التّطورُ النّحويّ : ١٦ ـ ١٧ .

(٢) فكرة الْجَدولِ عن الدّراساتِ الصَّوتيَّةِ عِنْد علماء الْعَربيّة : ٦٧ .

١ــ ٱلْمَفْهومُ ٱلآلِيّ(١) : وهو : ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + جرى ٱلصّوت ـــــــ (١)
او : ٱلْجهر = حبسُ ٱلنّفس + حبسُ ٱلصّوت ـــــــ (٢)

ٱلْهمس = جرى ٱلنّفس + جرى ٱلصّوت ـــــــ (٣)

أو ٱلْهمس = جرى ٱلنّفس + حبسُ ٱلصّوت ـــــــ (٤)

ولا يعني حبسُ النّفس أوْ حبسُ الصّوت أنّهما لا يمكنُ أن يَنْفذا من نقطةِ ٱلْمخرجِ، بل يعني قصر المدّة الزّمنيّة لعدمِ جريانِها (بحسبِ مصطلحات : جرى النّفـــس وجرى الصّوتِ وحبس النّفس) .

ولمّا كانَ كلٌّ من جرى الصّوتِ يعني الرّخاوةَ وعدمِ جَرْيهِ يعني الشّدّة .

ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + ٱلرّخاوة .... (١)

ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + ٱلشّدّة .... (٢)

ٱلْهَمس = جرى ٱلنّفس + ٱلرّخاوة .... (٣)

ٱلْهَمس = جرى ٱلنَّفَس + ٱلشّدّة .... (٤)

٢ــ ٱلْمفهومُ الوَظيفيّ(٢) :

ٱلْجهر = ٱلْهمس + صفة قوّة .... (٥)

ٱلْهمس = ٱلْجهــر ــ صفة قوّة .... (٦)

وصفةُ القُوّةِ كما سبقَ تتدخُل فيها اعتباراتٌ صوتيّة واجتماعيّة، ويقولُ الرّضيّ فـــي ٱلْمَجهورة : " لَابُدَّ فِي بَيَانِها، وإِخراجِها مِن جَهْرِها ، وَلَا يَتَهَيَّأُ ٱلنّطْقُ بِهَـا إِلَّا كَذٰلِكَ ، كَٱلْقَافِ وَٱلْعَيْنِ ، بخلافِ ٱلْمَهموسِ، فإِنَّهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ أَنْ تَنْطِقَ بِــــهِ، وَيسْمَعُ مِنْكَ كَمَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَجْهَرَ بِهِ " (٣)، وَهذا يُؤكِّدُ بِشَكْلٍ واضِحٍ المُعَادِلتين (٥) و (٦) و خاصةً رقم (٦) .

ــ (يجبُ الرّجوعُ إلى مُصطلحَيّ ٱلْجَهر وٱلْهَمس)

---

(١) أعني به مفهومه للتّهيئة ٱلْمخرجيّة عند ٱلنّطق .

(٢) أعني به مفهومه في التّمايز ٱلصّوتيّ .

(٣) ش ش ٣/٢٥٨ .

جـ - الشِّدَّةُ والرَّخاوةُ وما بينهما : تنقسمُ الأصواتُ اللُّغويّةُ بحَسَبِ هذهِ قسمةً مستأنفةً ثلاثةَ أقسامٍ : شديدة ورخوة وما بينهما (١) ، وعند المُحدَثِينَ هي : الانفجاريّة ، والاحتكاكيّة والمتوسِّطة أو المائعة وغيرها من التَّسميات ، وسبقَ أنْ أشرتُ في المصطلح الى وضوحِ آليتِها الميكانيكيّة عند الرَّضيّ وكذلكَ وضوحِ أثرِها السَّمعيّ القائمِ على الخطِّ الزَّمنيِّ الفيزيائيِّ الَّذي تمثَّل بما لاحظَه مِن آنيّتِها عند الشّدّة ، الّذي يستلزمُ إدراكَه لاستمراريّة الرّخوة ، وقد ماثَلَ المُحدَثون (٢) هذا القولَ عندَ وصفِهم لهذهِ الأصواتِ غيرَ إنَّنا نَجِدُ أصواتاً وردتْ عند الرَّضيّ على غيرِ الصِّفةِ الَّتي وردت بها عند المحدَثِينَ ، وهي أصواتُ الجيم ، والضّادِ والعَين (ينظر الجدول رقم ٣) ؛ لكنّ الوقفةَ المتأنّيةَ مع هذهِ الأصواتِ تبيّنُ أنّ الرّضيّ ، وقبلَه سيبويهِ لَم يكونا واهمَيْنِ مع هذهِ الأصوات ، وأنّ احتمالَ تطوّرِ هذهِ الأصواتِ كبيرٌ جداً .

(٣)
(جدول رقم (٣) الأصوات الشّديدة والرّخوة وما بينهما بين الرّضيّ والمحدثين)

	الأصوات الشّديدة	الأصوات الرّخوة	ما بينهما
الرّضيّ	ء ، ج ، د ، ك ، ق ، ط ، ب ، ت ،	هـ ، ح ، غ ، خ ، ش ، ص ، ض ، ز ، ظ ، س ، ث ، ذ ، ف ،	ل ، م ، ي ، ع ، ن ، ا ، و
المحدثون	ء ، ت ، ك ، ض ، ط ، د ، ب ، ج ، ق ،	هـ ، ح ، غ ، خ ، ش ، ص ، ز ، س ، ظ ، ث ، ذ ، ف ، ع ،	ل ، م ، ر ، ن

فالجيمُ مجهورةٌ شديدةٌ مثلُ الجيم المصريّة الحاليّة ، لكنَّ مخرجَ الجيم العتيقةِ مخرجُ الشّينِ والياءِ ، أمّا المصريّة فمخرجُها مخرجُ الكافِ ، وما قالَهُ بعضُ المحدَثِينَ في الجيم

---

(١) ينظر ش ش ٣ / ٢٦٠ .
(٢) الأصوات والحروف : ٢٤٦ .
(٣) فكرة الجدول عن : الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العربيّة : ٧٦ .

:إنّها (انفجاريّة ـ احتكاكيّة)، فإنّما تأثّر بالجيم الشاميّة، وهي غير الجيم العتيقة التي يُمكنُ أنْ يكونَ نطقُ العاميّة العراقيّة في نحوِ (جمل)، و (جيكاره) أوضحَ ممثّلٍ لها .(١)

أمّا الضّاد، فهي مثالٌ جيد للتّطوُّر الصّوتيّ وأهمُّ ما يميّزها قديماً أنّها كانتْ صوتاً جانبيّاً احتكاكيّاً، وهي الآن صوتٌ شديدٌ بحيثُ يبدو أنّ صورتَها الأولى قد اضمحلتْ حتى كادتْ تختفي (٢) وقد اختلطتْ مرةً بالظّاء، ومرةً بالدّال المفخّمة واخرى باللّام المفخّمة (٣) .

أمّا ما يخصّ صوتَ العين، فقد يتأكّدُ صحةَ ماقالهُ الرّضيُّ في صفته متابعاً لسيبويه، إذا تمَّ النّظر إليْها على وفق الضّابط الذي اعتمدَهُ، فالصّوتُ لايجري معها مثلَ مايجري مع الرّخوة، ولاينقطعُ انقطاعَه مع الشّديدة " وذلِكَ أنّها يُمكنُ أنْ يجري الصّوتُ معَها عِنْدَ الوَقْفِ عَلَيْها إلاّ أنَّ في ذلِكَ مَشَقَّةً وكُلْفَةً، ويُمْكِنُ معرفةُ ذلك بِنُطْقِها في كلمةِ (إرْجِعْ) مثلاً، ومُقارنتِها بصوتي الهمزةِ والحاء في كلمتيْ (إرْجِيْ)و (أرْجِحْ)"(٤)

و يبدُو أنَّ عدمَ الاستقرارِ المخرجيّ لهذا الصّوت، كانَ السّببُ في إحداث هذه الصّفة، كما لاحظَهُ الرّضيّ مِن ميلِهِ إلى مخرجِ الحاء ، إذْ قالَ : " أمَّا العَيْنُ فَيَنْحَصِرُ الصَّوْتُ عِنْدَ مَخْرَجِهِ، لَكِنْ لِقُرْبِهِ مِنَ الحاءِ الَّتي هِيَ مَهْمُوسَةٌ يَنْسَلُّ صَوْتُهُ شَيْئاً قَلِيلاً ، فَكأنَّكَ وَقَفْتَ عَلى الحاءِ "(٥) .

وَقَدْ أحْسَنَ سيبويهِ عندما قصرَ صفةَ مابينَ الشّدّة والرّخاوة على صوتِ العَين فقطْ(٦) ، وما علّه الرّضيّ في متابعتِه المُبَرِّدَ(٧) (على مايَبْدُو) مِن تعميمِ هذه

---

(١) ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) : ١١٥ ، علم اللغة : ١٥٦ ، مناهج البحث : ١٩٠ ـ ٢٠٤ ، الدّراسات اللهجية والصّوتيّة : ٣١٦ ـ ٣١٧ ، الأصواتُ والحروف : ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، ويقرر د . حسام النّعيميّ بقائها على ألسنة القُرّاء ينظر : أصوات العربيّة : ٦٢ ـ ٧٠

(٢) يرى بعضُ الباحثينَ وجودَها الآنَ في بعضِ العربيّة الجنوبيّة، وبعض الأوربيّة ينظر : الضّاد مثال للتّطور الصّوتيّ : ١١٣ ـ ١١٤ ، اللغات الساميّة : ٣٠ .

(٣) في نطق الضّاد ينظر : كلامُ العرب : ٢٥ ـ ٣٢ ، أصوات العربيّة : ٥٠ ـ ٥٢ ، الحروف والأصوات : ٢٤٧ .

(٤) أصوات العَربيّة : ٣١٧ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٦) الكتاب ٤/ ٤٣٥ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٦٠ ، وينظر المقتضب : ١/ ١٩٦ .

الصّفة لتشملَ حروفَ (لِمَ يَرُوعُنا) ففيه مافيه مِن التكلّف.فمن هذه الأصوات تتميّز حروفُ: (ألْالفِ،والواوِ،والياءِ) المدّيّة،أوغير المدّيّة بجريان واضحٍ للصّوت نتيجةً لسعة مخارجِها (ولي وقفةٌ معها في صفة المدّ) . أمّا بقيّة الأصوات (أيْ: ألْلام،وألْميم، والرّاء،والنّون) بجعلى مافيها من إمكانيّة جريان الصّوت بما يقرّبها من أصواتِ العلّة إلاّ أنّ الرّضيَّ (على ما يبدو)قد اُعتمدَ على خاصيّتها النُّطقيّة لا السّمعيّة حيثُ هيئتُها تضمُّ شيئين:الاعتراضَ التّام،وعدم الاعتراض،أوْ تكرار ذلك مُتعاقباً،كما في الرّاء،ولذا أرى أنَّ التّسمية الدّقيقة لها هي(الشّديدة ـ الرّخوة) على ما بيّنْتُ في المصطلح .

د ـ ألْإطباقُ وألْانفتاحُ :

نقلَ الرّضيُّ عن سيبويه (مع اختلافِ الألفاظ عمّا في الْكتابِ)

" لَوْلَا ألْإطْبَاقُ فِي ألصَّادِ لَكانَ سِيناً ،وفي ألظّاءِ كَانَ ذَالاً ، وَفِي ألطَّاءِ كَانَ دَالاً، وَلَخَرَجَتْ الضَّادُ مِنَ ألْكَلَامِ ؛ لِأنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ ألْحُرُوفِ مِنْ مَوْضِعِهَا غَيْرُهَا "،(١)

ولاستيعابه كلامَ سيبويه،فقد جعلَها إحدى الصّفات الفضيلةِ الّتي لا يُتَنَازَلُ عنها لعملِها الواضحِ في تَمييزِ أصواتِها عن مقابلاتِها المُنْفتحة . لكنّ ماقرّره سيبويه وتبعه فيه الرّضيّ لا ينسجمُ مع ما يراهُ ألْمُحدثونَ في مقابلاتِها ؛ حيثُ تبدو مقولتَنا الطّرفين على وفقِ الجدول الآتي :

(ـ جدولا ألْإطباق بين ألرّضيّ وألْمحدثين).(٢)

الجدول الرقم (٤أ) (الرّضيّ)

المطبق	الصفات	المنفتح	الصفات
ط	مجهور، شديد	د	مجهور، شديد
ص	مهموس، رخو	س	مهموس، رخو
ظ	مجهور، رخو	ذ	مجهور، رخو
ض	مجهور، رخو	ـ	ـ

الجدول الرقم (٤ب) (المحدثون) .

المطبق	الصفات	المنفتح	الصفات
ط	مهموس، شديد	ت	مهموس، شديد
ص	مهموس، رخو	س	مهموس، رخو
ظ	مجهور، رخو	ذ	مجهور، رخو
ض	مجهور، شديد	د	مجهور، شديد

---

(١) ش ش ٣/٢٦٢،وينظر:الكتاب : ٤٣٦/٤.

(٢) استفدت فكرة الجدولين من : الدراسات الصوتية عند علماء العربية: ٦٨و ٦٩ .

(٣) ترى أود يت بتي:أنّ مقابل الظاء هو الزاي ،ينظر بحث في فينولوجيا اللغة العربية ١٧٢.

فالطّاءُ يقابلُ الدّال والضّاد لامقابلَ له ، أمّا عند المحدثينَ فإنّ مقابلَ الطّاءِ هو التّاء ، ومقابلَ الضّاد هو الدّال. وأرى أنّ هذا التّقابلَ نتيجةً لِمَا وصفَ الرّضيُّ به الطّاء من الجهر الّذي وقفْنا عليْه فيما سَبَقَ ، وشرطُ التّقابلِ أنْ يكونَ الصّوت مشابهاً لمقابلِهِ بكلّ صفاتِهِ إلّا الصّفةَ المُقابلةَ ، ولهذا فمِنَ الطّبيعي أنْ يكونَ المقابلُ صوتَ الدّال ، لأنّه مجهورٌ وشديدٌ ومن مخرجِ الطّاءِ .

أمّاكونُ الدّال مقابلاً للضّادِ عند المُحدثينَ ، فلا يَتعارضُ مَعَ ما قدّمه سيبويه والرّضيُّ ، لأنَّ الضّاد عندَ المحدثينَ انفجاريٌّ (شديدٌ) ، أمّا الضّاد العَتيقةُ ، فهي رَخوةٌ مستطيلةٌ جَانبيّةٌ لايُشاركُها في مخرجِها غيرُها .

هـ- المَـدُّ : يميّز الرّضيّ طائفةً من الأصواتِ بما تمتلكُه من امتدادٍ صَوتيٍّ ، وهي أصواتُ : (الألفُ ، والواوُ ، والياءُ) ، ولأجلِ هذه الصّفة ، فإنّها تعدُّ قسماً واضحاً متميّزاً عن بقيّة الأصوات ، ولأجل هذه الصّفة ، نرى الرّضيَّ يطلقُ عَليْها في بعضِ المَواقع بـ (حُرُوفِ الإِطْلَاقِ) ، لِما تَسْمَحُ صِفَتُها من التّردیدِ والتّرجيعِ ، قالَ الرّضيّ : " وَحُرُوفُ الإِطْلَاقِ : أي الألِفُ والوَاوُ والياءُ ، هِيَ المُتَعَيِّنَةُ مِنْ بَيْنِ الحُرُوفِ لِلتَّرْدِيدِ ، والتَّرْجِيعِ الصَّالِحَةُ لَها ، فَمِنْ ثَمَّ تَلْحَقُ فِي الشِّعْرِ (لِقَصْدِ الإِطْلَاقِ) كَلِمَاتٍ لَاتَلْحَقُهَا فِي غَيْرِ الشِّعْرِ " (١) .

ومعَ تميّزِ أصواتِها عَن غيرِها ، فإنّها لَمْ تخرجْ عند الرّضيِّ عن التّوزيعِ المُتعارَف عَليه فِي الأصْواتِ الصّحيحةِ (الصّامتةِ) ، فهُوَ يَنْسِبُ الألِفَ إلى مخرجِ أقصى الحلقِ معَ الهمزةِ والهاءِ ، والياءَ إلى مخرجِ الجيمِ والشّينِ ، وهو مخرجُ وسطِ اللِّسان ومافوقه ، أمّا الواوُ فيَنسبُه إلى الشّفةِ مع الباءِ والميمِ ، (ينظرالجدول الرقم (١))

وهي عند الرّضيّ أخفى الحُروفِ لِسعَة مخارجِها ، والالف اوسعها ولا يتضيّق المجرى الهوائيّ على امتدادِه ، وهو يقف (على وفق النّظريّة الصّامتيّة) ليبيّنَ أنّ هذهِ الأصْواتَ متفاوتةٌ في هذا الاتّساعِ ، فيقولُ : " وَإِنَّمَا كَانَ الاتِّسَاعُ لِلأَلِفِ أكثرَ لِأَنَّكَ تَضُمُّ شَفَتَيْكَ لِلْوَاوِ ، فَيَتَضَيَّقُ المَخْرَجُ ، وَتَرْفَعُ لِسَانَكَ قِبَلَ الحَنَكِ لِلْيَاءِ . وأَمَّا الأَلِفُ فَلَا تَعْمَلُ لَهُ شَيْئاً مِنْ هَذَا ، بلْ تُفْرِجُ المَخْرَجَ ، فَأَوْسَعُهُنَّ مَخْرَجاً الأَلِفُ ، ثُمَّ اليَاءُ ، ثُمَّ الوَاوُ " (٢) .

---

(١) ش ش ٢/٣١٦ .

(٢) ش ش ٣/٢٦١ .

وَهٰذا ٱلْوصفُ باٱلاتّساعِ يَتوافَقُ مع نظرةِ المحدثِينَ لهذِهِ ٱلْأصواتِ ، قالَ(بلومفيلد) فيها " إنَّها تعد يلاتٌ لِلصَّوتِ ٱلْمنطوقِ لاتَتضمنُ غلقاً ولاٱحتكاكاً ولاٱتّصالاً لا مِنَ ٱلْلِسانِ ولَا الشَّفَتَيْنِ " (١) ، ولا ينقضُ هٰذا ٱلتّوافقُ قولَه بوجود بعضِ ٱلتّضييقِ فهذا التَّضييق معتبرٌ عند الرَّضيِّ من حيثُ هي مع بعضِها لا من حيثُ هي مع غيرِها كَما يَتّضحُ من بناءِ النّص .

وعلى العمومِ فَإِنَّ هذهِ ٱلْأصواتَ عند ٱلْمُحدثينَ (وتشاركها ٱلْحَركاتُ) لايَتمُّ ٱلنَّظرُ إِليْها على وفقِ ماعرفَ مع الصَّوامت ، بل الأمرفيها مختلفٌ ، وقدْ جَرَتْ محاولاتٌ كثيرةٌ لِلْوُقوفِ على ٱلْمِعيارِ ٱلصَّحيحِ لِتمايزها عَنِ الصَّوامتِ وَتمايزِها بينها ، وأبرزُ تلكَ المحاولاتِ ماقامَ به العَالِمُ الإنكليزيُّ (دانيال جونز) حيثُ يَرى هذا العالِمُ : أَنَّ المعيارَ الَّذي يجبُ أَنْ يُعتَمَدَ هُنا هُو وضعُ ٱلْلِسانِ حالَ ٱلتّصويتِ باحدِ تِلكَ ٱلْأصواتِ فَمعَ الألفِ يَستقرُّ ٱلْلِسانُ في قاعِ ٱلْفَمِ ، ولهذا فَقدْ عُرِف بـ(الوَاسِع) ، وَمعَ الواوِ يَرتفعُ ٱلْجزءُ ٱلْخلفيُّ مِن ٱلْلِسانِ نحوَ ٱلطَّبَقِ ٱلْلَيِّنِ أَو ٱلْلهاةِ ؛ وَلذا فَالواوُ صائتٌ خلفيٌّ ضيّقٌ ، وَمعَ ٱلْياءِ يترتفعُ ٱلْجزءُ الاماميُّ مِنَ ٱلْلِسانِ نحوَ ٱلْحنك ٱلصّلبِ؛ ولذا تُسمَّى ٱلْياءُ صائتاً اماميّاً ضيقاً ، وَٱرتفاعُ ٱلْلِسانِ مَعَهُما ينبغي أَنْ يكونَ إلى نقطةٍ لاتُحدِثُ أيَّ نوعٍ من ٱلْاحتكاكِ ٱلْمَسموعِ (٢) ، كذلكَ تدخلُ الشَّفتانِ فيها معياراً لِتمايزها " فَتَدويرُ الشَّفَتَيْنِ أَوْعَدَمهُ السِّمَةُ الَّتي تفرّقُ بَيْنَ ٱلضَّمةِ وَٱلْكَسْرَةِ " (٣) ، وكذلك بَيْنَ الواوِ وٱلْياءِ .

ومع فرق الدِّقة وَٱلْاختلافاتِ ٱلْمنهجيّة بينَ ٱلْقدماءِ وَٱلْمحدثين فَإِنَّ الرَّضيَّ قد ٱقتربَ مِنَ ٱلْإدراكِ الصَّحيحِ لِلطَّبيعةِ ٱلْمخرجيّةِ النَّاتجة عن حركةِ ٱلْلِسانِ والشَّفتيْنِ ، ففي الواوِ كانَ ٱلْمظهرُ الأكثرُ بروزاً هُوَ تدويرُ ٱلشَّفتينِ ، أَمَّا مع ٱلْياءِ فَلاحظَ أَنَّ ٱتّخاذَ الشَّفتينِ وَضْعَ ٱلْانفراجِ لايبدو متميِّزاً أَمامَ وضعِهما مَعَ الألفِ ، ولَمّا كانَ وضعُ ٱلْانفراجِ يسمحُ بملاحظةِ حركةِ ٱلْلِسانِ فقد مكّنَهُ ذلكَ أَنْ يَنْسبَ الياءَ إلى وسطِ ٱلْلِسانِ ، ولم

---

(١) دراسةُ الصَّوتِ : ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) يُنظر : علمُ ٱلْأصواتِ ٱلْعامِ : ١٢٩ ـ ١٣٧ ، ومع شُهرةِ ماقدّمه جونز فإنّ عليه عيبَ في شيئينِ : أ ـ إنّه لايصفُ شكلَ اللسانِ كلّهِ بل يقتصرُ على أعلى نقطةٍ منه (ب) موضع النّطقةِ يذكره مقرباً فلايقيس أماميّتها أوخلفيتها . ينظرُ : الكلامُ إنتاجُه وتَحليلُه : ٧٣ ـ ٧٤ .

(٣) علمُ الأصواتِ ٱلْعَامِ : ١٣٥ .

يمكنه أنْ يعرف وضع اللسان عند الواو؛ لصعوبة ذلك؛ لاحتجاجه عنه في بعض النصوص، التي يرد فيها كون الإشمام حال الرفع أو الضم فقط يوضح أنّ هناك ما يمكن أنْ يخفى عليه من حركة اللسان، إذْ يقول : "والشفتان بارزتان لعينيه، فيدرك نظره ضمّهما، وأمّا الكسرة فهي جزء الياء التي مخرجها وسط اللسان، والفتحة جزء الألف التي مخرجها الحلق وهما محجوبان بالشفتين والسّن ؛ فلا يمكن للمخاطب إدراك تهيئة المخرجين للحركتين " (١) ؛ فعمق الهيئة المخرجيّة التي يعملها اللسان في الواو، أدّى إلى التعويل على الأظهر من هيئتها المخرجيّة الاخرى، وهي تدوير الشفتين. وقوله بارتفاع وسط اللسان إلى ما فوقه من الحنك الأعلى يبدو قريباً من تصنيف "جونز" بارتفاع الجزء الأمامي من اللسان .

أمّا الألف فلمّا كان اللسان لا يرتفع معها بل يبقى مستقراً في قاع الفم، والشفتان تتخذان وضعاً محايداً غير مميّز ؛ فمن الأنسب له أنْ ينسبه إلى أقصى المخارج، وخاصة إنّه يدرك تسمية الخليل لها بالهوائيّة. (٢)

ولا يغيب عنّا ما يمكن أنْ أعانه مع الياء والألف خاصة بوجود نماذج جرى فيها التبادل بين الجيم والياء، والألف والهمزة، وهو شيء معتبر جداً في التفكير الصوتي التراثي في مثل هذه المواقع .

ووقف الرّضيّ أيضاً على مجموعة أخرى من الأصوات تمتاز بهذه الصّفة (أي : المدّ) هي الحركات، وتبرز هذه الصّفة من خلال مسألة التّبعيض بين الحركات وأصوات المدّ حيث يلحظ أنّ الصّفة المميّزة بين أيّة منها وصوت المدّ المجانس تقوم على فكرة الزّمن النطقي، وهو ما اصطلح عليه بالإشباع (*)

ومن النّصوص الواضحة لهذه العلاقة قوله : " ... لأنّ الحركة في الحقيقة بعض حروف المدّ بعد الحرف المتحرّك بلا فصل ؛ فمعنى فتح الحرف الإتيان ببعض الألف عقيبها، وضمّها الإتيان ببعض الواو عقيبها، وكسرها الإتيان ببعض الياء عقيبها " (٣) . وهي فكرة بديهيّة جداً في درس الرّضيّ، ومن المسلّمات، ولهذا فقد اقتضى أنْ تكون الحركات هي أصل المدّ، فقال الرّضيّ : " الفتحة سبب حصول الألف " (٤)؛ وقال أيضاً " لأنّك إذا أسكنت حرف العلّة بلا مدّ ولا اعتماد عليها وبعض ذلك الحرف، فيكون عين الحركة؛ إذ هي أيضاً بعض الحرف كما قلنا " (٥)؛ ولهذا أرى أنّ الأصوات المدّيّة يجب أنْ تسبق

---

(١) ش ش ٢ / ٢٧٦ .

(٢) ينظر : ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٣) ش ش ١ / ١١٨ .

(٤) ش ش ١ / ١٢٣

(٥) ش ش ١ / ١١٩ .

(*) ينظر : مصطلح الإشباع .

بحركةٍ مجانِسةٍ لتحققَ صفةَ ٱلْإِمتدادِ وإلّا قلّتْ عن ذلكَ .

أمّا إشاراتُهُ إلى مخارجِها فقدْ ذكرَ أنّ آلةَ ٱلضّمّةِ هيَ الشّفة (ينظر مصطلح آلة الضمة) ورأى أنّ وجودَ ٱلْفتحة قبل الحلقيّ معناهُ وجودُ حرفٍ قبلَها من حيّزها بجزئيّتِها من الألِفِ ٱلْحلْقيّ (١) . وبالاستدادِ الزمنيّ أو علاقةِ الجزئيّة بينَ ٱلْحركاتِ وأصواتِ المدّ ، يَبدا لي الرّضيّ متقدِّماً على أحدثِ محاولاتِ ٱلْمحدثينَ لِتمييزِ ٱلصّوائتِ المختلفةِ ، وهي محاولةُ اللّغويّ CATFORD الّذي قالَ: " فَٱلْمُلاحَظِ أنّ تَلَبُّسَ ٱلزّمَنِ بِٱلْحَرَكَةِ وَٱرْتِبَاطُهُ بِهَا ، أَكْثَرُ مِنْ ٱرْتِبَاطِهِ بِٱلصَّامِتِ ، ذَلِكَ أنّ ٱلْحَرَكَةَ يُمْكِنُ مَدُّهَا ، وَيَكُونُ هَذَا ٱلْمَدُّ جُزْءاً مِنْ إِنْتَاجِهَا أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ فِي إِنْتَاجِ ٱلصَّامِتِ ، فَٱلتَّفْرِيقُ بَيْنَ ٱلصَّوَامِتِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ لَا يَكُونُ عَلَى أَسَاسِ أَنَّهَا مَمْدُودَةٌ أَوْ غَيْرُ مَمْدُودَةٍ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَذَلِكَ فِي ٱلتَّفْرِيقِ بَيْنَ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ " (٢) .

وبعدُ ، فإنّ امتلاكَ أصواتِ المدّ لرموزٍ خطيّةٍ جعلهُم يعاملونَها معاملةَ بقيّةِ ٱلْحروفِ بخضوعِها لمبدإِ تصنيفِ ٱلْحروفِ إلى متحرّكٍ وساكنٍ ، وهي لا تتعدّى كونَها حركاتٍ طوالٍ ، وفي ذلك ينصُّ الرّضيُّ على حركيّتِها قائلاً : " ٱلْمَدُّ يَقُومُ مَقَامَ ٱلْحَرَكَةِ " (٣) ، وَيجوّزُ ٱلتقاءَ ٱلسّاكنينَ عِند ما يكونُ الأوّلُ مِنهما حرفاً ليّناً ، لأنّ ٱلْحركةَ بعضُ (التّفصيل في الاتجاه الثّالث من هذا الفصْل ، مع رصدٍ لاشتراكِهما في الوظيفةِ المقطعيّة التي تؤدّيانها في نظام الأداءِ العربيّ) .

وإذا كانَ تَقَدُّمُ ٱلْحركةِ قبلَ ٱلْمدّ ٱلْمُجانِسةِ علامةً على امتدادِيّتِهِ ، فإنّ وجودَ حركةٍ غيرِ مجانسةٍ قَبْلَ صوتِ ٱلْمَدّ (وَهُوَ : ٱلْواوُ أو ٱلْياءُ فقطْ) تحصلُ حالةٌ يعرّفها الرّضيُّ بقلّةِ المدّ ، ويعبّر عن هذينِ ٱلصّوتينِ : ٱلْواوُ أو الياءُ مَاقَبْلها مِن ٱلْحَرَكةِ من غيرِ جنسِها ، ويعبّر عن ٱلْحَالة المدّيّة هُنا أحسنَ تَعبيرٍ في ٱلتقاءِ ٱلسّاكنينِ ، حيثُ يقولُ في قَوْلٍ :

" فَإِنَّكَ إِذَنْ تَهَيَّأْتَ فِيهِ بَعْدَ ٱلْقَافِ لِلْمَدِّ ٱلْأَلِفِيِّ : أَيْ ٱلْفَتْحَةِ ، ثُمَّ ٱنْتَقَلْتَ فِي ٱلْحَالِ إِلَى ٱلْمَدِّ ٱلْوَاوِيِّ شَائِباً شَيْئاً مِنَ ٱلْمَدِّ ٱلْأَوَّلِ بِٱلْمَدِّ ٱلثَّانِي ، وَمَيْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْمَدَّيْنِ إِلَى جَانِبِ غَيْرِ جَانِبِ ٱلْآخَرِ ، فَلَا جَرَمَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ إِشْبَاعِ ٱلْمَدِّ ٱلْوَاوِيِّ تَمَامَ ٱلتَّمَكُّنِ " (٤) .

---

(١) ينظر : ش ش ٢ / ٢٧٦ .

(٢) عن : الحركات بين المعيارية والخصائص النطقية : ١٣١ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٤٨ ، ش ك ٢ / ٤٠٥ ، ويحدث العكس : " قيام الحركة مقام الحرف الرابع " عن ش ك ١ / ٥٠ ، وقوله : " صارت الحركة ... كحرف " عن ش ش ٢ / ٣٩ .

(٤) ش ش ٢ / ٢١٢ .

على غيرِ مايحدثُ في نحوِ قولِ الشموم قافه،وذلك لأنّك :
" تتهيّأ بعدَ النّطقِ بالقافِ للواوِ ، وذلك لأنّ الضّمّةَ بعضُ الواوِ فيَسهلُ عليكَ المجيءُ بعدَ الضّمّةِ بالواوِ كاملةً ، لأنّهُ لم يُخالطْها إذن نوعٌ آخرُ من المدّ كما خالطَها في نحو قَوْل "(١) وهو تصوّر خطيرٌ جداً في النّظامِ المقطعيّ الّذي سنقفُ عندَه فيما بعدُ، بعونِ اللّهِ.
فتتابعُ المدّينِ لا يمكنُ في المَقطعِ،فتحتالُ العربيّةُ بتحويلِ أحدِ الصّوتينِ،(وهو الثّاني) الى شُبهِ صامتٍ،الّذي عبّرَ عنه الدّرسُ الْحديثُ بالرّمزين (Y و W = ى و و)
وشبه الصامت (Semi - Consonant) يكونُ عادةً ضمنَ التّتابعِ الّذي ذكرَهُ الرّضيّ مسبوقاً بالفتحةِ فيعملُ مَعها مايُعْرَفُ عند المُحدثين بصوتِ المدّ المركّب (Diphthong) ويرمز له بـ (ay و aw) (٢) (أيْ :
وقدْ أدركَ الرّضيّ اقترابَ (ي ، و) من الصّوامت (أو الصّحاح) بما عبّرَ عنه بمصطلح القُوّةِ،وذلكَ عندَ ماتتْبعُها الحركةُ أويكونانِ مُضعّفين،فتخرجُ هذه الأصوات من حالةِ الاعتلال (التّغيير) إلى حالةِ القوّةِ (الثّبات) المتمثّلة بالصّحاح (بحسبِ مصطلح القوّة) .
وسأقفُ عندَ المسلكِ المقطعيّ لهذه الأصوات،ومعاملةِ العربيّة لها معاملةَ الأصواتِ المدّيّة في موضعِها من الاتجاه الثّالث لهذا الفصل .
كذلكَ من الأصوات الّتي تتمتّعُ بصفةِ الامتدادِ (ممّا وقف عليه الرّضيّ) : الأصوات المدّيّة المتفرّعة،وبيده وأنّ منها المستحسنَ وهي : الالفُ الممالة (أي : ألف التّرخيم) وألف التّفخيم،ومنها المستهجنُ وهي الياءُ كالواوِ والواو كالياء ، ولابُدّ أن تسبق كلاً من هذه الأصوات حركةٌ مجانسةٌ ،فهناك الفتحة الممالة نحو الكسرة والفتحة الممالة نحو الضّمّ والكسرة المشمّ ضمّاً والضّمّ المشمّ كسرة . (٣)

---

(١) ش ش ٢/ ٢١١ــ ٢١٢ .

(٢) ينظر دراسة الصوت : ٢٨٣ و ٣٠٣ .

(٣) ينظر : الاصوات المتفرعة ٦،و ش ش ٣/ ٤، ٢٩ .

ٱلإتّجاه ٱلثّاني : ٱلأصوات في حالة ٱلتّجاور وٱلتّركيب (ٱلتّعامليّة)

يقدّم لنا الرّضي في هذا ٱلاتّجاه مجموعة من ٱلظّواهر وُجدتْ نتيجة لحالة ٱلتّجاور بين ٱلأصوات وتركيبها بعضها مع بعض من نحو : ٱلإدغام وٱلإعلال وٱلإبدال وٱلحذف وٱلقلب ٱلمكانيّ ٱلّتي تُعدّ مظاهر ٱلتّطور ٱلصّوتيّ ٱلّذي يعتري ٱللغة ٱلإنسانيّة،وليس ٱلعربيّة فقط،وقد ٱستطاع بعضُ ٱللغويين ٱلمرموقين (*) ٱلوصولَ إلى أفكار تحدّد سير هذه ٱلتّطورات أو بعضها ، وٱصطلحوا عليها بٱلقوانين ٱلصّوتيّة. فٱلتّطورات ليستْ عشوائيّة ،قال دي سوسير : "إنّ ٱلظّواهر ٱلصّوتيّة ليستْ ٱلبتّة ظواهر مطلقة دائماً ، بلْ إنّها تخضعُ في أغلب ٱلأحيان لقيود مُعيّنةٍ ،وبعبارةٍ أُخرى فليس جنس ٱلصّوتم هو ٱلّذي يتحوّلُ،إنّما ٱلّذي يتحوّل هو ٱلصّوتم ،كما يرد في ظروف معيّنة من جوارٍ صوتيّ،وتنبيرٍ وغيرها " (١)

فالقوانين الصّوتيّة ليس كٱلقوانين ٱلطّبيعيّة ،فهي ترتبط بظروف متعددة ،وتبدو فكرة ٱلقانون ٱلصّوتيّ عند ٱلرّضيّ تدور ضمن ٱتّجاهين يُمثّلهما مصطلحا (ٱلتّخفيف، وٱلثّقل) يجمعهما ٱلميل نحو:ٱلسُّهولة وٱلتّيسير،أوٱلأيسر فونيميا ،أو ٱلحدّ ٱلأدنى من ٱلجهد (بحسب المحدثين)،أو ٱلسّلاسة عند ٱلرّضيّ على صياغ مصطلح ٱلسّلاسة). وفيما يأتي وقفات مع ٱلمظاهر ٱلّتي قدّمها ٱلرّضيّ ممثّلة هذا ٱلاتّجاه من ٱتّجاهات نظره إلى ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة .

أ ـ ٱلإدْغامُ : (ويرتبط منه ههنا إدغام ٱلمتقاربين)،إنّ حالة ٱلإدغام من أبرز مظاهر ٱلتّطورات ٱلصّوتيّة في ٱلعربيّة،وهي ٱلمماثلة ٱلكليّة ٱلرّجعيّة (٢) عند ٱلمُحدَثين ،إذ إنّ ٱلغالب في ٱلإدغام أنْ يُدغم ٱلأوّل في ٱلثّاني،وهو قياس ٱلعربيّة ٱلفصيحة ،ويحدث هنا أنّ أبناء ٱللغة يميلون إلى إخراج ٱلصّوتين ٱلمتتابعين صوتاً واحداً،وهو رأي ٱلرّضيّ وقد وافقه بعض ٱلمحدثين (٣) ،فرأوا فيه

(١) دروس في ٱلألسنيّة ٱلعامّة : ٢١٩ .

(٢) لِلوقوف على ٱلأنواع ٱلمختلفة لهذه ٱلظّاهرة،يُنظر : علم الأصوات : ١٤١ـ١٤٢

(٣) ينظر : اللغة : ٩٤،دراسة ٱلصّوت : ٣٣٣،المحيط : ١٢٣،المدخل إلى علم اللغة : ٩٧،وذهب آخرون إلى أنّ الإدغام حرفان،دراسات في علم أصوات العربيّة : ٢٥ ـ ٣٢،وينظر،في حقيقة الادغام ـ لجعفر عباينة،وعلم الأصوات: ١٨٠ .

(*) ينظر:تاريخ علم اللغة : ٢١٤.ومابعدها ،دروس في الألسنة: (٢٢٣ـ ٢٣١)

إخراجاً بالصامت الطويل (بحسب مصطلح الإدغام)، وقد عملت الجدول رقم (٥) للوقوف على بيان التنازلات المخرجيّة وعلى مستوى الصّفات لنتبيّنَ المسلك الفُنولوجي للعربيّة في هذه الظّاهرة (يقتصر الكلام على الإدغام في الفصحى المشتركة[١])

جدول رقم (٥) إدغامُ الحلقية وأقصى اللسان ووسطه والشّفويّة.

المخرج		الصّفات المتنازل عنها (ـ) /المكتسبة (+)					الملاحظات
ـ	+	الهمس	الجهر	الشدة	الرخاوة	فضيلة الحرف	
حنجريّ	حلقيّ						أَجْبَه حّاتماً.
حلقيّ	حلقيّ	+	ـ				أَرْفَع حّاتِماً
حلقيّ	حلقيّ	+	ـ				إذْبَحّتُوداً (إذْبَحْ عَتُوداً).
حنجريّ	حلقيّ						أَذْبَحّاذِهِ (إذْبَحْ هٰذِهِ).
طبقيّ	طبقيّ	ـ	+				أُسْلُخ غّنَمَكَ.
طبقيّ	طبقيّ	+	ـ				أدمَخ خّلَفاً.
لهويّ	طبقيّ						الْحَق كّلده.
طبقيّ	لهويّ						أنْهَك قّطَناً.
غاريّ	غاريّ	+	ـ				أَبْعَج شّبْثاً.
شفويّ	شفويّ			ـ	+	+ غنة	أضرِب مّالِكاً.
شفويّ	أسنانيّ			ـ	+	+ تافيف	أضرِب فّاجِراً.

›› > (يوضح سير الادغام)، ـ (للتنازل)، + (للاكتساب)

ي حالات الإدغام هذه ش ش ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٣.

١ـ الإدغام المتبادل داخل المجموعات : (١)

آ ـ إدغام مجموعة (ت / د / ذ / ظ / ط / ث) بعضها في بعض، وفي (ص / ز / س)، ومما ذكره الرضيّ فإنّ الإدغام هنا يتمّ على وفق القياس (أيْ : الأوّل في الثاني)، ويتمّ في هذا السّبيل التنازل عن المخرج والصّفات الصّوتيّة ومنها صفات فضيلة (أعني : الإطباق) في الظاء والطاء .

وبحسب البحث الحديث فإنّ الإدغام يتمّ بين مخرجين (الأسنانيّ والأسنانيّ اللّثويّ) ، ويذكر الرّضيّ إدغام هذه الأصوات أيضاً في صوتيّ الضّاد والشّين، لما فيهما من استطالة فيقربا من حروف طرف اللسان، وهو في الضّاد أقوى؛ لأنّ الضّاد قريبٌ من الثّنية، ويبدو من وجهة نظر حديثة أنّ الإدغام هنا مع الضاد لاتّحادها مخرجاً مع تلك الأصوات، أمّا مع الشّين الغاريّة أو (مخرج وسط اللسان)، فإنّ بينهما مخرجاً واحداً هو المخرج اللّثويّ ممّا يصعب معه القول بأنّ عامل الادغام هو التّقارب المخرجيّ .

ب ـ إدغامُ مجموعة الصّفير : (ص / ز / س) بعضها مع بعض :
يتمّ في هذا الإدغام التنازل عن صفات الإطباق والجهر والهمس مع الاحتفاظ بالرّخاوة المميّزة بما فيها من صفير ؛ أمّا المخرج، فيتمّ الحفاظ عليه، لأنّها من مخرج واحد هو(بين طرف اللسان وفويق الثنايا)عند الرّضيّ ، وعند المحدثين تشتركُ هذه الأصوات مع (د / ت / ض / ط) في المخرج الأسنانيّ اللّثويّ .

د ـ إدغام مجموعة (ظ / ث / ذ) بعضها في بعض :
وهي الأصوات الأسنانيّة أو (أطراف الثّنايا)عند الرّضيّ ، ويتمّ في هذا الإدغام التّنازل عن صفات: الاطباق، والجهر، والهمس، ويعتقد الرّضيّ أنّ الإدغام ههنا أقلّ من الإدغام في المجموعة الصّفيريّة، والسّبب في ذلك كما يرى أنّه " إذَا وَقَفْتَ عَلَيْهَا رَأَيْتَ طَرَفَ اللِّسَانِ خَارِجًا عَنْ أَطْرَافِ الثَّنَايَا ، بِخِلَافِ حُروفِ الصَّفِيرِ، وَالإِعْتِمَادُ بِالإِدْغَامِ عَلَى الحَرْفِ المُنْحَصِرِ بِالأَسْنَانِ أَسْهَلُ مِنْهُ عَلَى الحَرْفِ الرِّخْوِ الخَارِجِ عَنْ رُؤُوسِ الأَسْنَانِ ". (٢) .

---

(١) يُنظر لحالات الإدغام هنا: ش ش ٣ / ٢٨١ ـ ٢٨٣، والخارج، عند المحدثين عن دراسة الصّوت: ٢٦٩ ـ ٢٧٣ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٨٣ .

٢ـ إدغام حرف في مجموعة حروف (١):

آ • إدغام اللام : يرى الرضيّ (وهو مسبوق في ذلك) أنّ لام المعرفة تدغم في أصوات: (ن /ر/د /ت /ص/ز/س/ط/ظ/ث/ذ) وكذا في (ض /ش)؛ لمخالطتها حروف طرف اللسان، وعند المحدثين (على فرض وجود الإدغام) فإنّه يتمّ بين اللام اللثوي مع زميليه في المخرج (د /ن)، ومع الحروف (الأسنانيّة ـ اللثويّة) وهي (د /ت /ض / ط/ س/ ز/ص)، ومع الحروف (الأسنانيّة) وهي (ذ /ث / ظ)ومع حرف من المخرج الغاري هو الشين ، ويرى الرضيّ أنّ هذا الإدغام يحدث على سبيل الوجوب •

ب • إدغام النون : وهو واجب (كما يرى الرضيّ) " قُرْبَ مَخْرَجٍ كَاللَّامِ وَالرَّاءِ أوقُرْبَ صِفَةٍ كَالْمِيمِ ؛ لِأنّ فيه أيضاً الْغُنَّة ، وَكَالْوَاوِ وَالْيَاءِ ؛ لِأَنَّ النُّونَ مَعَهُمَا مِنَ الْمَجْهُورَةِ وَمَابَيْنَ الشَّدِيدَةِ وَالرَّخْوَةِ (٢) " وهذا من المحدثين مقبولٌ في اللام والراء؛ لأنّهما معه من مخرج واحد هو (اللثويّ)، وعلى نحو ما في الياء؛ لكونها من المخرج المجاور له فهي غاريّة ، أمّا مع الواو، فلايُمكن القبول بالتقارب الخرجيّ؛ لأنّها من الطّبق •

ـ ملاحظات حول حالات الادغام :

آ • إنّ الموقعيّة بما عبّر عنها الرضيّ في سير القياس (أي : قلب الأوّل إلى الثّاني) تتفاعل مع التّقارب المخرجيّ للعمل على إزالة التّمايز الّذي يتمتع به الصّوت السّابق عن اللاحق بتماثلهما في صوت واحد ، هو الصّامت الطّويل، أي : الصّوت الثّاني لكن " مَعَ اعْتِمَادٍ عَلَىٰ مَخْرَجِهِ قَوِيٍّ " (٣) •

ب • يبني الرضيّ تصوّره لضعف الصّوت المدغم من خلال سكونه ، إذ الاعتماد بالسّاكن أقلّ ممّا هو عليه الاعتماد والحرف متحرّك ؟ وهذا يوفّر ضعفاً في الحدود الصّوتيّة بين المتجاورين فيميل المتكلّم إلى دمجهما في حرفٍ واحدٍ •

د • تدخل مرونة أعضاء التّصويت عاملاً مهمّاً في إحداث الإدغام، إذ سجّل الرضيّ كثرة المظاهر الإدغام في حروف طرف اللسان ؟ بحيث تبدو الفواصل المخرجيّة متعدّمة مع قلّة ذلك في أصوات الحلق لصلابة جدار الحلق •

---

(١) ينظر لحالات الادغام ههنا ش ش ٣ /٢٧٩ ، ٢٧١ ـ ٢٧٤، ٢٨٠ •ومخارجها عند المحدثين عن : دراسة الصوت : ٢٦٣ـ ٢٧٣ •

(٢) ش ش ٣ /٢٧٢ •

(٣) ش ش ٣ / ٢٣٥ •

هـ ـ قياس ٱلْإدغام لِلفصحى مطرّد في ٱلْحلقيّة ، وفي غيرها ، لكنّ ٱلْحَلقيّة تعمل إلى ٱلْانحياز بنفسها لقياس خاص بها مع مراعاة ٱلْقانونِ ٱلْعام ٱلْمُسيّر ، وهو (ٱلتّخفيف) ، وقياسها هو أنْ يدغم (ٱلْأنزل في ٱلْأعلى) ، لأنّ الحلقيّة. (وهذا يعني في ٱلْمفهوم ٱلْحديث أصوات مخارج : ٱلطّبق ، وٱلْحلق ، وٱلْحنجرة) أثقلها أنزلها في ٱلْحلق ؛ فلا جَرمَ كان لها قياسُها ٱلْخاص .

و ـ لقد وقفْتُ مع ٱلرّضيّ على مظاهر إدغاميّة يُتنازَل فيها عن ٱلْجهر أمام الهمس تصل الى ٧٥٪ للجهر ، مقابل ٢٥٪ تنازل عن الهمس ؛ كذلك فإنّ في إدغام المجموعات والحروف سلوكاً واضحاً لهذا ٱلتّنازل ، ويشير هذا الى كون صفة ٱلْجهر لا تُشكّل صفةً أساسية لتمايز ٱلْأصوات عند التّعامليّة .

ز ـ ٱحتفاظ واضح بٱلرّخاوة ، فمن حالات ٱلْإدغام في ٱلْجدول وغيره نَرى أنّ كثيراً منها لا يتمّ إلّا مع مماثل في ٱلرّخاوة ، ويُؤكده بشكل فعّال مجموعةُ ٱلصّفير بٱلْإدغام فيها ، أو ٱلْإدغام مع بعضها .

ح ـ ٱلتّنازل عن ٱلصِّفة ٱلْفضيلة واضحٌ وخاصة فضيلة ٱلْإطباق ٱلّتي يُتنازَل عنها مع ٱلظّاء وٱلطّاء وٱلصّاد عند عمليات إدغامها في ٱلْمجموعات ، ٱلّتي يُحاول ٱلرّضيّ فيها تمايزها بوضع معيار ٱلْمحافظة على هذه ٱلصّفة بقوله : (في إدغام ٱلْمجموعة الأولى) : " فَٱلْأَفْصَحُ إبْقَاءُ ٱلْإِطْبَاقِ ؛ لِئَلّا تَذْهَبَ فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ "[1] ، وكذا يَفعلُ مع ٱلثّانية ، ويفعل ذلك أيضا مع ٱلصّفير .

ط ـ إنّ ما يتصوّره ٱلرّضيّ في إدغام ٱللام يبدو واضحَ ٱلتّكلف ، فٱلتّقارب ٱلّذي يعتقده ، متباعد ؛ لأنّه يشمل مخارج متعدّدة متقدّمة ومتأخّرة عن مخرج اللام ، فهذا ٱلصّوت ٱللثويّ يُدغم في حروف مخارج : (ٱلأسنانيّ ـ ٱللثويّ ، وٱلْأسنانيّ ، وٱلْغاريّ) ، ويبدو أنّه لهذا ٱلْاتّساع يضيفُ عاملاً آخر لِلْإدغام هو كثرة تردد لام ٱلْمعرفة. وكلاهما غير مسلّم به ؛ لذلك فإنّ ما يقدّمه بعضُ المحدثين من مقترح لفهم هذه ٱلظّاهرة ٱلْمتعلّقة بٱلْحروف ٱلشّمسيّة وٱلْقمريّة ، يبدو غايةً في ٱلْوجاهة ٱلْعلميّة تعززه نتائج الدّراسات المقارنة مع أخوات ٱلْعربيّة ؛ إذْ ذهب أستاذنا ٱلْفاضل ٱلدّكتور غالب ٱلْمطلبيّ (وهو صاحب هذا ٱلْمقترح) إلى ٱلْقول بـ :

" إنّ ٱلْإطار ٱلتّاريخيّ لظاهرة ٱلتّشديد ، وكذلك ٱلتّحليل ٱلصّوتيّ قد يقودان إلى تصوّر مخالف لِما ذهب إليه سيبويه ؛ إذْ إنّ من ٱلْممكن ٱلْاعتقاد بأنّ ٱلتّشديد ههنا هو ٱلْمسؤول عن ظهور ٱللام في أداة ٱلتّعريف ٱلْعربيّة ، وليس ٱلْعكس . ويُمكن تفسير ذلك بأنّ ٱلْعربيّة قد فعلت ههنا ما فعلته في مواضع أخرى

---

(١) ش ش ٣ / ٢٨١ ، وينظر ش ش ٣ / ٢٨٣ .

من نزعةٍ إلى إلغاء ٱلتّضعيف كراهيّةً له ،وذلك باستبدال أحد ٱلصّوتيْن ٱلْمتماثليْن بصوت مخالف في عمليّة معروفة بالمخالفة (Dissimilation) ،وعادةً مايكون هذا ٱلصّوت ٱلْجديد من أصوات ٱلْمدّ ٱلطّويلة (Long Vowel) أو أشباهها من ٱلْمائعة "(١)

ي ـ إنّ ٱعتماد ٱلرّضيّ على (طرف ٱللّسان) واضحٌ جداً في عملية ٱلتّقارب ٱلْمخرجيّ ٱلّتي يراها،وهومايوقعه في خلاف مع ٱلْمحدثين ؛إذ إنّه يجعل من ٱلتّقارب ٱلْمخرجيّ شاملاً لمنطقةٍ واسعةٍ تضمُّ (ستةَ مخارج)،زيادة على مخرج ٱلضّاد ٱلْمنتهي بطرف ٱللّسان لِٱستطالته ،ويشاركه في ذلك ٱلشّين .

ك ـ إنّ وجود حالات إدغام بين ٱلْأصوات ٱلْمتباعدة بنظر ٱلْمحدثين ينبغي أنْ تُنظر من خلال ٱعتبارات أُخرى غير ٱلتّقارب المخرجيّ أوفي ٱلصّفة ...

ب ـ مظاهر أخرى لِلْمماثلة ٱلْكليّة : لقد ٱحتوى درس ٱلرّضيّ وقفاتٍ متفرّقةٍ تعبّر عن أنماط أُخرى من ٱلْمماثلة ٱلْكليّة هي :

١ـ ٱلْإتْباعُ : وهومصطلح ٱلْمماثلة بين ٱلْحركات،وهو ٱصطلاح ٱلْانْسجام ٱلْمدّي (Vowel Assimilation) عند ٱلْمحدثين(٢) ،وقد وقفتُ عند بيان هذا المصطلح على معظم مظاهره فاكتفي هنا بٱلْإشارة إلى بعض ما حدث في الفصحي من هذه ٱلظّاهرة ففي قوله تعالى : ﴿ إن ٱمْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ قال الرّضيّ : " لِأنّ ضَمّةَ ٱلرّاءِ لِضَمّةِ ٱلْأعْرابِ "(٣) .

غير أنّي أشير إلى أنّ معظم ماأورده ٱلرّضيّ لهذه الظاهرة يقتصر على ٱللّهجات وٱلْقراءات ٱلْقرآنيّة،ويبدو أنّه ظاهرةٌ واضحةٌ جداً في ٱلسّلوك ٱلْلهجيّ وٱلْقرائيّ

٢ـ ٱلْمماثلة بين أشباه ٱلْمدّ وٱلْصّحاح : ففي (ٱفْتَعَلَ) ممّا فاؤُه واوٌ أو ياءٌ يجرى إدغام هذيْنِ ٱلصّوتيْن في ٱلتّاء كمافي (ٱتّعَدَ ، وٱتّسَرَ ، وٱتّصَلَ) وهي ٱلْمماثلة الرّجعيّة على ماعليه سلوك ٱلْإدغام ٱلْعامّ ؛ قال ٱلرّضيّ : " فَتَقَعُ ٱلتّاءُ بَدَلاً مِنْها كَثيراً،لكِنّهُ مَعَ ذلِكَ غَيْرُ مُطّرِدٍ ، إلّافِي بَابِ ٱفْتَعَلَ "(٤) ، يبدو أنّ ٱلرّضيّ

---

(١) اداة التعريف في العربية : ٩٨ .

(٢) ينظر :في اللهجات العربية : ٦٧ ،(الحاشية) .

(٣) ش ش ٢/ ٢٤٢ .

(٤) ش ش ٣/ ٨٠ .

يعتقد أنّ الإدغام ههنا يجري عبر مرحلتين هما: الإبدال، ثمّ الإدغام؛ وذلك يؤكّد نظرته أنّه " لَا يُمْكِنُ إِدْغَامُ ٱلْمُتَقَارِبَيْنِ إِلَّا بَعْدَ جَعْلِهِمَا مُتَمَاثِلَيْنِ " (١) كما أنّ هناك عوامل غير التّقارب تعمل هذا الادغام لتباعد مخرجي الصّوتيْن .

٣ـ المماثلة بين الحركات وأشباه المدّ : ومظاهرها كثيرة، وهي تساير مقتضيات الأبنية المقطعيّة للعربيّة فيما يُعرف بظاهرة الإعلال ، التي أرى من المناسب عرضها في الاتّجاه الثّالث من اتّجاهات الدّراسة الصّوتيّة عند الرّضيّ .

ج ـ المماثلة التّناسبيّة : وهو اصطلاح رأيتُه ممثّلاً لوجهة نظر الرّضيّ في الإدغام الّذي يعتقده في كلمة (ستّ) في الفصحى، وفي إدغام (مَحُّمْ) في لهجة تميم، وهي بحسب تصوّره : (أنْ يتماثل الصّوتان عبر انقلابهما معاً إلى حرف واحد ضعّف متناسب معهما صفةً ومخرجاً) ففي (سِتّ) الاصل فيها (سُدْس) فمع التّقارب المخرجيّ بين السّين والدّال لم يُمكن أنْ يقلب أحدهما إلى الآخر خوفاً من تتابع السّينات وحفاظاً على فضيلة الصّفير، وأيضا " بَيْنَهُمَا تَنَافُرٌ فِي ٱلصِّفَةِ ؛ لِأَنَّ ٱلدَّالَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَٱلسِّينَ مَهْمُوسَةٌ رخوةٌ ؛ فَتَقَارُبُهُمَا دَاعٍ إِلَىٰ تَرْكِ ٱجْتِمَاعِهِمَا مُظْهَرَيْنِ ، وَكَذَا تَنَافُرُهَا وَقَلْبُ أَحَدِهِمَا إِلَى ٱلْآخَرِ مُمْتَنِعٌ كَمَا مَرَّ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَلْبُهُمَا إِلَى حَرْفٍ يُنَاسِبُهُمَا وَهُوَ ٱلتَّاءُ، لِأَنَّهُ مِنْ مَخْرَجِ ٱلدَّالِ، وَمِثْلُ ٱلسِّينِ فِي ٱلْهَمْسِ " (٢)، اما المظهر الاخر لهذه الظّاهرة فسيتمّ الوقوفُ عليه في مكانه من المبحث الأخير لهذه الرّسالة بعون الله تعالى.

ولكنّ ما يعتقده الرّضيّ لأصل (سِتّ) فيه شيء من التّكلف والبعد؛ لأنّ هذا العدد في السّاميات يرِدُ وليس فيه شيء من الدّال بل فيه التّاء والسّين والشّين حيث ورد العدد على الصّيغ الآتية : (٣) ، شــشو (آشوري)، وشش (عبري)، وشتا (آرامي)، وسسو (حبشي)، ويرى كانتينو (٤) أنّ تاء (ستّ) هي تاء سينيّة، وعنده أنّها إحدى أصوات السّاميّة الأمّ .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٥ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٦٦ وما يتصوّره الرّضي هنا لا يتصوّر مثله سيبويه أو ابن جنّيّ (الكتاب: ٤/ ٤٨١-٤٨٢، التّصريف الملوكي: ١٠١ .

(٣) ينظر : تاريخ اللغات السّامية : ٢٨٨ .

(٤) ينظر : دروس في علم أصوات العربيّة : ٧٢ .

د ـ ٱلْمماثلة ٱلجزئيّة : وهي أنْ يقتصر ٱلتّماثل إلى مادون ٱلتّماثل ٱلكليّ، ويذكر ٱلرّضيّ لهذه ٱلمماثلة نوعين أو درجتين: ٱلْأولى تكون بإنْ يُقلَب أحدُ ٱلصّوتين الى قريب من ٱلثّاني قلباً كاملاً كما هو ٱلمفهوم من قوله عن ٱلْإمالة وٱلتّجانس في (يَزْدُلُ) : " وَهٰذَا ٱلْعَمَلُ شَبِيهٌ بِٱلْإمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ ٱلصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ إِذْ " أَبْدَلُوا مِنَ ٱلسِّينِ صَادَاً " ، على ماذكرت في مصطلح ٱلتّجانس.

أمّا ٱلدّرجة ٱلثّانية فهي أنْ يُشمّ أحدُ ٱلصّوتين شيئاً من صوتٍ يقاربه بفعل وجود ٱلصّوت ٱلثّاني، ولكن لا إلى حدّ ٱلْإبدال أو القلب ، بل فقط إلى ما يُسميه بِٱلْإشمام أو ٱلمضارعة أو ٱلْإشراب ، وهو ما يحدث في أشدر وأجدر، فبفعل ٱلدّال يتمّ إشراب ٱلشّين وٱلْجيم صوتَ ٱلزّاي، وكذلك في (صدر)، فبسبب وجود ٱلْفاصلة (أيْ : ٱلْحركة) تضعف ٱلْمماثلة مِن ٱلْإبدال إلى ٱلْإشمام فيُشمّ ٱلصّاد صوت الزاى . وقال في هذه : " جَعْلُ ٱلصَّادِ مُضَارِعًا لِلزَّايِ "(*)

ومن أمثلة ٱلدّرجة ٱلْأولى ما تتميز به صيغة (ٱفْتَعَلَ) من سلوك ممّا رصده ٱلرّضيّ، فإذا كانت ٱلفاء أحد ٱلْأصوات ٱلمستعلية ٱلْمطبقة ماعدا الطّاء، فتحدث ٱلْمماثلة بإنْ تكتسب التّاء صفة ٱلْإطباق (أي : رفع ٱللّسان نحو ٱلطّبق) ، قال ٱلرّضيّ : " بِأَنْ تَجْعَلَ ٱلتَّاءَ إِطْبَاقاً ، فَتَصِيرُ طَاءً ، لِأَنَّ ٱلطَّاءَ هُوَ ٱلتَّاءُ بِلَا إِطْبَاقٍ " (١) ، نحو : اصطبر واضطلع، فٱلصّيغة قبل هذا ٱلتّماثل ثقيلة كما يرى ٱلرّضيّ فـ " تَخْفِيفُهَا بِقَلْبِ ٱلتَّاءِ إلىٰ حَرْفٍ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى فَاءِ ٱلْكَلِمَةِ " (١) .
ومثل هذه ٱلنّظرة من قبل ٱلرّضيّ أكّدها ٱلْبحث ٱلْحديث عند دراسته لِلنّظام الفينولوجي للعربيّة فقد أثبت أنّه " عندما يُوجد صوتٌ مفخّم (ٱلْمُطبق) ساكن في مقطع ما، فإنّ جميع المقطع يصبح مفخّماً " (٢) .

---

(١) شرش ٢٨٧/٣ .
(٢) ٱلتّشكيل الصّوتيّ : ٥٠ .
(*) ينظر مصطلح المضارعة : ٥٣-٥٤ (من الدّراسة) .

وإذا كان ٱلْفاء زاياً أو دالاً وهما صوتان مجهوران "وَالتَّاءُ مَهْمُوسَةٌ فَتُقْلَبُ دَالاً ؛ لِأَنَّ ٱلدَّالَ مُنَاسِبٌ لِلذَّالِ وَٱلزَّايِ فِي ٱلْجَهْرِ وَلِلتَّاءِ فِي ٱلْمَخْرَجِ " (١) ، نحو: ازدان وإذْدكر ، وقد رصد ٱلرَّضيّ حدوث ٱلإدغام بعد ذلك في هذه ٱلصّيغة فيصبح ٱلفعلان على ٱلشّكل : آدَّان وأذَّكر وٱدَّكر. (٢) .

ومن ٱلألفاظ ٱلّتي حدثتْ فيها هذه الظّاهرة ما أورده ٱلرّضيّ في قلب ٱلسّين صاداً عند وقوعه قبل ٱلأصوات المستعلية سواء أكانت متصلة به كصقر ، أمْ منفصلة بحرف نحو صَلَخَ ، او بحرفين أو بثلاثة نحو صلق وصراط وصاليق ؛ لأنّه يثقل التصعد من منخفض فأبدلوها مايوافقها في صفتها ، وهي الصّاد على ما يرى الرضي (٣) والأصح أنّ هذه ٱلأصوات قد أثّرتْ بصفتها على ماقبلها فـاكتسبتْ ٱلسّين ٱستعلاءً جعلها ٱلْقابل المطبق لها وهي ٱلصّاد ؛ وهذه المماثلة من نوع ٱلرّجعيّة ، أمّا في صيغة ٱفتعل فالمماثلة تقدّميّة .

ومن ٱلْمظاهر ٱلأخرى لهذه ٱلظّاهرة مايحدث لِلنّون من إخفاء مع الحروف سوى حروف الحلق ، إذ لم يكنّ بين تلك ٱلأصوات وهذه ٱلنّون قُربٌ لا في ٱلْمخرج ، ولا في ٱلصّفة تبيح ٱلتّقارب ٱلتّام ليحدث ٱلإدغام فتخفىٰ ٱلنّون بقلّة ٱلاعتماد وذلك بأنْ يقتصر نطقها على مخرج ٱلْخيشوم ، أيْ : هي مجرد صوت ٱلْغنّة ، ويرى الرّضيّ أنّ النّون من ٱلأصوات ٱلّتي يحتاج فيها ٱلجهد أكثر من غيرها يُساوي ٱلْجهد مع ٱلأصوات ٱلحلقيّة ، لذا "فَٱلنُّونُ وَحُرُوفُ ٱلْحَلْقِ مُتَسَاوِيَانِ فِي ٱلاحْتِيَاجِ إِلىٰ فَضْلِ ٱعتمادٍ وإعْمَالٍ لِآلَةِ ٱلصَّوْتِ (٤) " فهي معها ظاهرة غير خفيّة : " لِيَجْرِيَ ٱلاعْتِمَادُ انِ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ " (٤) ، والنّون مع ٱلأصوات غير ٱلْحلقيّة يتمّ إخفاؤها فيعتمد ٱللسان فيها على ٱلنّقطة ٱلْمخرجيّة لِلصّوت بعدها مع مرور الهواء من ٱلْخيشوم بانخفاض ٱلطّبق ٱللين وفتح مجراه ، وإذا كان بعدها البّاء فإنّ تخالف هيئها المخرجيّة يؤدّي الى قلب ٱلنّون ميماً وهو من مخرج ٱلْباء وفيه ٱلْغُنَّةُ كما في عنبر ، وكذلك في (سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (٥) عبر ٱلمماثلة ٱلجزئيّة إذ ٱلتّماثل بوساطة ٱلمخرج ، وكل حالات

---

(١) ش ش ٣/٢٢٧ .

(٢) ينظر : ش ش ٣/٢٨٦ .

(٣) ش ش ٣/٢٣٠ .

(٤) ش ش ٣/٢٧٢ .

(٥) سورة الحج الاية: ٦١و٧٥ وينظر ش ش ٣/٢١٦ ، ٢٧٣ .

ٱلنّون هنا تتمّ المماثلة بوساطة ٱلأقتراب ٱلْمخرجيّ؛لذلك فإنّ ٱلنّون تمتلك تنوعاً واضحاً في ٱلفوناتها (١).

إنّ ٱلرّضيّ بأعتماده على ٱلخفّة وٱلثّقل في تبرير مثل هذه ٱلتّحولات ٱلصّوتيّة ينسجم بشكل عام مع ما يراه ٱلْمحدثون من خلال قانون ٱلسّهولة وٱلتّيسير ٱلصّالح لتفسير كثيرٍ من ٱلتّحولات الصّوتيّة .

وٱلرّضيّ أيضاً في تصوّره لدراسة هذه الظّاهرة وعدم تجاوزه حدود ٱلتّجاور ٱلصّوتيّ يتطابق مع ٱلتّصوّرات المنهجيّة الّتي تتم فيها دراسة هذه ٱلظّاهرة عند المحدثين مع ملاحظة إدراكه ٱلْمتقدّم في كلّ ذلك بأعتماده على ٱلتّقارب أو ٱلتّباعد في ٱلْمخرج وٱلصّفة .

هـ ـ ظاهرة المخالفة الصوتية (Dissimilation) :

قد تسلك ٱلأصوات في تجاورها مع بعضها عكس ما سلكته في ٱلْمماثلة (٢) ؛ فيما يعرف بٱلْمخالفة وهي نزعة ٱلصّوتين ٱلْمتشابهين إلى ٱلاختلاف (٣) وتكون هذه ٱلظّاهرة بعض ٱلسّلوك ٱلمتّبع في ٱلتّخلّص من أجتماع ٱلْمثلين أو ٱلأمثال (٤) ؛ وأصطلح عليها أيضاً بٱلتّباين (٥) ؛ وٱلتّخالف (٢) ،ولقد ربط ٱلرّضيّ هذه ٱلظّاهرة بالأستثقال ٱلْحاصل من وجود متماثلين؛إذ على ٱلْلسان كلفة شديدة في ٱلرّجوع الى ٱلْموضع نفسه وأصطلح على هذه ٱلْكلفة بٱلْكراهية،قال ٱلرّضيّ : " وَٱجْتِمَاعُ ٱلْمِثْلَيْنِ فِي أَوَّلِ ٱلْكَلِمَةِ مَكْرُوهٌ أَلَا تَرَى إِلَىٰ قَوْلِهِم: أَوَاصِلٌ وأُوَيْصِلٌ " (٦) فقد قلبت الواو

(١) ينظر: أثر ٱلقراءات في ٱلأصوات : ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) ٱللغة : ٩٤ .

(٣) ٱلألسنيّة ٱلْعربيّة : ٥٤ .

(٤) إلى جنب الحذف والفصل والادغام ينظر:ظاهرة كراهية توالي ٱلأمثال .

(٥) علم ٱللغة: د.وافي : ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٦) ش ش ٣/ ٥٨.

ٱلأولى همزةً،لتلك ٱلكراهيّة،وكذا ـ من هذه الظّاهرة تخفيف ٱلهمزتين فـــي نحو (آدم) (١) .

ويدركُ الرّضي أنّ وجود فاصل بين هذين ٱلصّوتين ممّا يزيل تلك ٱلكراهيّة فـــلا يقلب أحدهما إلى مغاير،وهو الّذي سلك في نحو (أَائِمّة) (*) .

ومن مظاهر هذه الظاهرة ماكان من إبدال ٱللام ٱلثّانية ياءً،كما في نحو أَمْلَيْـــتُ وَقَصَّيْتُ وتقضّي ٱلبازي فبكره ٱجتماع ٱلامثال،ولا طريق لهم إلى ٱلإدغام،فيستريحون إلى قلب ٱلثّاني ياءً،لزيادة ٱلاُستثقال (كما مرّ في مصطلح ٱجتماع ٱلمثلين والأمثال) .

وقال ٱلرّضيّ : " وأُبْدِلُوا أَيْضاً مِن أَوّلِ حَرْفَيْ ٱلتَّضْعِيفِ فِي وَزْنِ فِعَّـــال إذا كَانَ ٱسْمَاً لَامَصْدَراً ، نَحْوَ:دِيمَاسٍ وَدِيبَاجٍ وَدِينَارٍ وقِيرَاطٍ وشِيرَازٍ " (٢)

ويذكر ٱلرّضيّ أيضاً ٱنقلاب نصف ٱلمدّ إلى مغاير بسبب هذه ٱلظّاهرة حيـــثُ قالَ : " وَجَازَ فِي ٱجْلِيوَاذٍ وَٱخْرِيوَاط في مَصْدَرِ ٱجْلَوَّذَ وٱخْرَوَّطَ " (٣) وفـــي بوائع وأوائل وعيائل جمع بائعة وأوّل وعيِّل " يُسْتَثْقَلُ لِأَجْلِ حَرْفَيْ ٱلعِلَّـــةِ، وَكَوْنِ ٱلْجَمْعِ أَقْصَى ٱلْجُمُوعِ " (٤) .

ومن هذه ٱلظّاهرة مايحدث عندما تتبع ٱلضّمة ٱلواوَ،إذ يتمُّ ٱلتّخلص من هـذا ٱلتّتابع بقلب ٱلواو همزةً مِن نحو:وُجوه وأَدْؤُرٌ وأَنْؤُر ، قالَ الرّضيّ : " وذلِـــكَ لِأَنَّ ٱلضَّمَةَ بَعْضُ ٱلوَاوِ ،فَكَأَنَّهُ ٱجْتَمَعَ وَاوَانِ " (٥) ،ولذلك فهو جائزٌ جـــوازاً مطّرداً لاينكسر على حدِّ قوله،ومن جنسه ماحدث لكلمة (حَيَوَان) ـ إذ : " أُبْدِلَتِ ٱلثَّانِيَةُ،لِأَنَّ ٱسْتِكْرَاهَ ٱلتَّالِي إِنَّمَا حَصَلَ لِأَجْلِهَا " (٦) ،يعني تتالـــي ياءين .

---

(١) ش ش ١/ ٢٥ .

(٢) ش ش ٣/ ٢١٠ـ ٢١١ .

(٣) ش ش ٣/ ٢١١ . وينظر ش ش ١/ ٥٥ ، ١١٢ .

(٤) ش ش ٣/ ١٠١ .

(٥) ش ش ٣/ ٧٨ .

(٦) ش ش ٣/ ٧٣ .

(*) ش ش ٣/ ٥٨ .

ويُلاحَظ في طبيعة ٱلْأصوات الحاصلة أنّها في الأغلب أصوات نصف مدّ، وما كان من ٱلْهمز فهو إبدال نبريّ، ويبدو أنّ هذه ٱلظّاهرة قد أربكت بعض ٱللّغويين فحاروا في بعض ٱلصّيغ فهذا ٱبن منظور (١) يحار في أمر النُّون فيعدّها أصليّة في مادة (عنصل) وزائدة في مادّة (عصَل) وٱلْحقيقة أنّ ٱلْمخالفة قد عملت على " فَكِّ ٱلْإدْغَامِ بِإِقْحَامِ ٱلنّون بَدَلاً مِنْ أحدِ ٱلْحَرْفَيْنِ ٱلْمُتَمَاثِلَيْنِ " (٢).

ويمكن أنْ يكونَ ما ذكره ٱلرّضيُّ في إدغام اللام من جملة أحداث هذه ٱلظّاهرة في ٱلْعربيّة على ما بيَّنته بعضُ ٱلدّراسات ٱلْمعاصرة بٱلْاعتماد على نتائج ٱلدّراسات ٱلْمقارنة وٱلتّحليل ٱلصّوتيّ (٣)، فعلى هذا فإنّ لهذه ٱلظّاهرة دوراً خطيراً في ٱلْعربيّة.

و ـ ظاهرةُ ٱلْإبْدَال : سبق في مصطلح ٱلْإبدال أنْ أشرتُ إلى أنّ ٱلرّضيّ يقصد بظاهرة ٱلْإبدال ذلك ٱلْإبدال ٱلّذي لا يكونُ لأجل ٱلْإدغام.

وجعلُ حرف مكان حرف غيره، أحد مظاهر ٱلتّعامليّة بين ٱلْأصوات وشرطه كما يراه ٱلرّضي هو ٱلتّقارب مخرجاً أو صفة أو كليهما، ودائماً يبحث عن هذه ٱلْعلاقة، لهذا فهو يتركُ رأي ٱلْمبرد في أنّ أصل همزة فعلاء هي ٱلنّون ٱستدلالاً برجوعها في صنعاني وبهراني ويأخذ برأي سيبويه أنّ ٱلنّون بدل من ٱلْواو، إذْ قال : " وٱلْأَوْلَى مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ ، إذْ لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ ٱلْهَمْزَةِ وَٱلنُّونِ " (٤) وللوقوف على مظاهر ٱلتّعامليّة في هذه ٱلظّاهرة، عملت الجدول المرقم (٦)، وأهملتُ فيه مواطن إبدال : (ٱلْهمزة، وٱلْألف، وٱلْياء، وٱلْواو) لِلسّلوك ٱلْفينولوجي ٱلْخاص بهذه ٱلْأصوات ٱلّذي تتبيّنه في ظاهرة ٱلْإعلال، وتخفيف ٱلْهمزة وغيرها في ٱلْفصل ٱلْقادم.

---

(١) اللسان مادة : (عصّل، عنصل).

(٢) الاقيسة الفعلية المهجورة : ٤١.

(٣) ينظر : أداة ٱلتّعريف في ٱلْعربيّة : ٩٨، وقد سبق هذا ٱلرّأي في ملاحظات الادغام (ط).

(٤) ش ش ٣/ ٢١٩.

جدول رقم (٦) حالات الإبدال في العربيـــة .

(ينظر : ش ش ٣/٢١٥ - ٢٣٣) /المخارج عن : دراسة الصوت : ٢٦٩ ـ ٢٧٣ .

ت	حرف البدل وصفاته	الحرف المبدل منه	مخرج الحرف المبدل منه	الصفات الصوتية المتنازل عنها (ـ) المكتسبة (+) . الجهر	الهمس	الشدّة	الرّخاوة	الصّفة الفضيلة	الملاحظات
١	م شفوي	و ن ب	طبقيّ لثويّ شفويّ			 −	 +	+ غنة − لين + غنة	فم < فَوَهٌ . في كلمة عنبر وشنباء . بنات مخر < بنات بخر . راتماً < راتباً .
٢	ن لثوي	و	طبقيّ					+ غنة − لين	صَعانيّ < صَعاويّ .
٣	ت أسنانيّ لثويّ	و ي	طبقيّ غاريّ	− −	+ +	+ +	− −	− لين − لين	اتَّعَدَ < اوْتَعَدَ . اتَّسَرَ < ايْتَسَرَ .
٤	هـ حنجريّ	و ي ت	طبقيّ غاريّ (أسنانيّ لثوي)	− −	+ +	 −	 +	− لين − لين	هناه < هناو (خلاف في أنّ الهاء للسّكت هذِهِ < هذي . في الوقف على التّاء الأسميّة .
٥	ل لثويّ	ن	لثويّ					− غنة	أصيلال < أصيلان .
٦	ط أسناني لثوي	ت	أسنانيّ لثويّ					+اطباق	في (اُفْتَعَلَ) اذا كان الفاء أحد الاصوات المطبقة .
٧	د أسناني لثوي	ت	أسنانيّ لثويّ	+	−				في (افتعل) اذا كان الفاء أحد الأصوات المجهورة: د ، ذ ، ز .
٨	ص أسناني لثوي	س	أسنانيّ لثويّ					+اطباق	اذا وقعت السّين قبل الأصوات المستعلية (صقر صلخ ، صلق ، صراط ، صماليق
٩	ز أسناني لثوي	س	أسنانيّ لثويّ	+	−				يزدل < يسدل .

- نتائج جدول حالات ٱلإبدال في ٱلفصحى :

١- جرى تنازل عن ٱلجهر بمقدار (٣٠٪)، وعن ٱلرّخاوة بمقدار (٢٨٪)، وبمقدار (١٤٪) لكلٍّ من ٱلهمس وٱلشّدّة؛ وذلك من مجموع ٱلحالات البالغ عددها (١٤ حالةً)

٢- ورد ٱلتّنازل عن الصّفة ٱلفضيلة بنسبة (٣٥٪) .

(٣) ٱلعلاقة ٱلمخرجيّة غير موجودة فيما يقرب من نصف حالات ٱلإبدال في العربيّة؛ إذ لا وجود لها في :

(م > و ، ن > و ، ت > و ، ت > ي ، هـ > ي ، هـ > و ، هـ > ي ، هـ > ت) وتبدو لي غامضة ، وربما كان سبب وجودها الأساس هو ٱفتراض ٱلنّحاة فقط .

(٤) ٱلعلاقة واضحة في :(م > ب ، ط > ت ، د > ت ، ص > س ، ز > س ، م > ن ، ل > ن)

(٥) في الحالات (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) يتمّ ٱلإبدال عبر ٱلمماثلة ٱلصّوتيّة ، بوجود صوت بعدها يمتلك صفة قوّة أمام صفته، فيكتسب هذه ٱلصّفة فيتحوّل إلى مقابله في ٱلصّفة في مخرجه . ويعني ذلك أيضاً محافظة واضحة على ٱلنّقطة ٱلمخرجيّة واعتدادا بها في ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ.

(٦) يمكن تبرير الإبدال ٱلّذي يفتقر إلى وضوح العلاقة بين ٱلصّوت ٱلمبدل منه وٱلمبدل بتداخل بعض ٱلاعتبارات غير ٱلصّوتيّة .

ز- ٱلقلبُ المكانيُّ * مظهر آخر من مظاهر ٱلتّعامليّة ٱلّتي رصدها الرّضيّ في عمله وهو يعرّفه قائلا : " تَقْدِيمُ بَعْضِ حُرُوفِ ٱلْكَلِمَةِ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَتَّفِقُ ٱلْقَلْبُ فِي ٱلْمُعْتَلِّ وَٱلْمَهْمُوزِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِهِمَا قَلِيلاً ، نَحْوَ : ٱضْمَحَلَّ وَٱكْرَهَفَّ في ٱضْمَحَلَّ وَٱكْفَهَرَّ" وهو أحد ٱلمظاهر ٱلّتي تنطوي تحت أحوال ٱلأبنية (على ما أرى) وأنّ ٱلرّضيّ قد قصر عن إدراك حقيقة كونه أحدها مع عقليّته ورجاحتها في فهم ٱلظّاهرة ٱللّغوية ؛ وعلى هذا فهو أحد ٱلمظاهر ٱلصّرفيّة الصوتية .

وتبدو هذه ٱلنّظرة منعدمة عند ٱلمحدثين ممّن رصد هذه ٱلظّاهرة؛ إذ علّل ٱلمحدثون هذه ٱلظّاهرة بعلل شتى فمنهم من ذهب إلى وجود علّة نفسيّة (١) ، وآخر (٢)

---

(١) د . عبد ٱلرّحمن أيوب في : محاضرات في اللغة : ١٧١ .
(٢) د . إبراهيم ٱلسّامرائي في ٱلتّطور اللغوي ٱلتّاريخيّ: ١٢٠ .
(*) ش ش ١/ ٢١ .

بعد الإدراك للكلام من قبل الأطفال ، وعلّل آخر (١) ، من بعد ما أقامها على الأساس نفسه الّذى أقام عليه التّشابه (المماثلة) بخطأ النّاطقين ونقص الالتفات ، وآخر (٢) أنّ هناك إهمالاً في التّنسيق بين الفكر وأعضاء النّطق ، ويرى آخر (٣) : أنّ ذلك من دواعي قانون السّهولة والتّيسير أو الحدّ الأدنى من الجهد .

كما هو واضح ، فإنه لا أحد من الباحثين السّابقين تعرّض للكلام عن علّة هذا القلب من خلال نوعية الأصوات المتقدّمة أو المتأخّرة (أي بالاستناد على النّاحية الصّوتيّة ـ الصّرفيّة) إلا مانجده من شيء بسيط (لم يتعدّ مكانه) عند برجشتراسر (٤) ، وتبعه فيه هنري فليش (٥) ، في القلب الخاص بصيغة (افتَعَلَ) ، إذ يرى أنّ أصلها (اتْفَعَلَ) وهو الأساس السّاميّ للصّيغة وقد قُلِبَت خاصّة عندما تكون الفاء صوتاً صفيريّاً لعدم تقبّل العربيّة لتتابع صوت احتباسيّ (شديد) ، وصوت رخو صفيريّ .

وإذا كان هذا موقف المحدثين من علّة هذه الظّاهرة ، فإنّ الرّضيّ (فيما يبدولي) قد ارتضى أنْ يفهم علّتها ضمن الاعتبارين اللّذين أرى أنّه ينبغي مراعاتها في عموم الظّواهر الصّرفيّة الصّوتيّة ، وهما : مقتضيات الكلمة مقطعيّاً ، وطبيعة أصوات الكلمة .

قال الرّضيّ : " وَأَكْثَرُ مَا يَتَّفِقُ فِي الْمُعْتَلِّ وَالْمَهْمُوزِ " إذ يلحظ ارتباط هذه الظاهرة في أكثر مواقعها تردّداً بطبيعة معيّنة من الكلمات تتميّز بأصواتها ذات الخصائص الوظيفيّة المتميّزة عن باقي الأصوات ، وهي : أصواتُ العلّة والهمزة .

وتتوضح اعتبارات الكلمة المقطعيّة بقوله (عند بيان نسبة تردّد هذه الظّاهرة موقعيّاً) : " وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِتَقْدِيمِ الآخِرِ عَلَى مَتْلُوِّهِ كَنَاءَ يَنَاءُ فِي نَأَى يَنْأَى ، وَرَاءَ فِي رَأَى ، وَلَاعٍ وهَاعٍ وشَواعٍ في لَائِعٍ وَهَائِعٍ وشَوَائِعٍ ، والْمَهَاةُ وَأَصْلُهَا الْمَاهَةُ ، وأَمْهَيْتُ الْحَدِيدَةَ في أَمَهْتُهُ ، ونَحْوَ جَاءٍ عِنْدَ الْخَلِيلِ " (٦) .

---

(١) فندريس : اللغة . ٩٤ .
(٢) نقلاً عن ، خواطر وآراء صرفية : ١٦ .
(٣) د . داود عبده : دراسات في علم أصوات العربيّة : ٩٢ .
(٤) التّطور النحوى : ٩٢ .
(٥) العربيّة الفصحى : ١٤٦ والحاشية (٢) .
(٦) ش ش ١ / ٢١ ــ ٢٢ .

فالملاحظ هنا أنّ التّخلص من المقطع المفتوح في نهاية الكلمة كان نتيجة هذا القلب كما في نَأى ويَنْأى ورأى ؛ أمّا في نحو لاعٍ وهاعٍ وشواعٍ ؛ فيبدو أنّ التّخلّص من النّبر التّوتري (صوت الهمزة) الواقع بعد صوت الألف الممثّل للنّبر الطّولي؛ فهذا التتابع النّبري يُتخلّص منه بسحب النّبر التّوتريّ إلى آخر الكلمة ثمّ جرى إسقاطه فيما بعد (مع احتمال عدم حدوث أيّ قلب مكانيّ في هذه الألفاظ بإسقاط الهمزة مباشرة)؛ ويبدو أنّ هذا السّلوك في التّخلص من النّبر هو الّذي دعى الخليل إلى أنْ يرى القلبَ قياسيّاً في كلّ ما أدّى ترك القلب فيه إلى اجتماع همزتين كجاءٍ وساءٍ ونحوهما على ما رُوِيَ عنه الرّضيّ الّذي قال (واصفاً إيّاه) : " فَلَمَّا رَأَى فِرَارَهُمْ مِنَ الأَدَاءِ إِلَى هَمْزَةٍ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ أَوْجَبَ الفِرَارَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى هَمْزَتَيْنِ (١) " وهو ما لم يُسلّم به سيبويه، والرّضيّ، وممّا يؤكّد سلوك الرّضيّ ههنا أيضاً قوله بالمبدأ المستند إلى صحة الكلمة أمام عدم التّصحيح في القول بوجود القلب في الصّحيحة ، إذْ قال : " فَإِنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا صَحِيحَةً مَعَ ثُبُوتِ العِلَّةِ فِيهَا دُونَ الأُخْرَى كَأَيِسَ مَعَ يَئِسَ فَالصَّحِيحَةُ مَقْلُوبَةٌ مِنَ الأُخْرَى " (٢) ، وغير خفيّ أنّ ظاهرة الإعلال تقوم على إعادة التّوازن المقطعيّ للكلمة إثرَ الاضطراب المسبّب عن تكتّل مجموعة من الأصوات المتجانسة (الصّوائت وأشباهها) بتأثيراتها على قمّة المقطع الّتي عادةً ما تشغلها الصّوائت .

زيادةً على ماسبق يرى أنّ القلب قد يكون أحد وسائل التّخفيف مراعاةً للسّهولة والتّيسير حيث يقول (في تخفيف الهمزة) : " وَرُبَّمَا قُدِّمَتِ الهَمْزَةُ الَّتِي لَوْ بَقِيَتْ بِحَالِهَا لَكَانَ تَخْفِيفُهَا بِالحَذْفِ ، اسْتِكْرَاهاً لِلْحَذْفِ ، فَيُقَالُ فِي يَسْأَلُونَ : يَاسَلُونَ ، لِأَنَّ تَخْفِيفَهَا إِذَنْ بِالقَلْبِ لَا بِالحَذْفِ ... وَمِثْلُهُ فِي يَيْأَسُ يَاءَسُ (٣) " ويكمل الرّضيّ ملاحظته لكيفيّات هذا التّقديم فيقول : " وَقَدْ يُقَدَّمُ مَتْلُوُّ الآخِرِ عَلَى العَيْنِ نَحْوَ طَأْمَنَ وَأَصْلُهُ طَمْأَنَ ، لِأَنَّهُ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ ، وَمِنْهُ اطْمَأَنَّ يَطْمَئِنُّ اطْمِئْنَاناً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ العَيْنُ عَلَى الفَاءِ كَمَا فِي أَيِسَ وَجَاهٍ وأَيْنُقٍ وَالآرَاءِ وَالآبَارِ وَالآدُرِ ، وَتَقَدَّمَ اللَّامُ عَلَى الفَاءِ كَمَا فِي أَشْيَاءَ عَلَى الأَصَحِّ ، وَقَدْ تُؤَخَّرُ الفَاءُ عَنِ اللَّامِ كَمَا فِي الحَادِي وَأَصْلُهُ الوَاحِدُ (٤) "

---

(١) ش ش ١/ ٢٥ .

(٢) ش ش ١/ ٢٤ .

(٣) ش ش ١/ ٣٩ .

(٤) ش ش ١/ ٢٢ .

ويقول ٱلرّضيّ فيما وصفوا من مقاييس لمعرفة هذا ٱلقلب : " وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ جَمِيعَ مَاذُكِرَ مِنَ ٱلْمَقْلُوبَاتِ يُعْرَفُ بِأَصْلِهِ ، فَٱلْجَاهُ وَٱلْحَادِي وَٱلْقِسِيّ عُرِفَ قَلْبُهَا بِأُصُولِهَا وَهِيَ ٱلْوَجْهُ وَٱلْوَحْدَةُ وَٱلْقَوْسُ ، وَكَذَا أَيِسَ يَأْيَسُ بِٱلْيَأْسِ ، وَآرَاءٌ وَآدُرٌ بِرَئِمٍ وَدَارٍ ، فَإِنْ ثَبَتَ لُغَتَانِ بِمَعْنًى يُتَوَهَّمُ فِيهِمَا ٱلْقَلْبُ وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَصْلٌ كَجَذَبَ جَذْبًا وَجَبَذَ جَبْذًا لَمْ يُحْكَمْ بِكَوْنِ إِحْدَاهُمَا مَقْلُوبَةً مِنَ ٱلْأُخْرَى ، وَلَا يَلْزَمُ كَوْنُ ٱلْمَقْلُوبِ قَلِيلَ ٱلِٱسْتِعْمَالِ ، بَلْ قَدْ يَكُونُ كَثِيرًا كَٱلْحَادِي وَٱلْجَاهِ ، وَقَدْ يَكُونُ مَرْفُوضَ ٱلْأَصْلِ كَٱلْقِسِيّ ، فَإِنَّ أَصْلَهُ ــ أَعْنِي ٱلْقُوُوسَ ــ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ " (١)

فَٱلرّضيّ هنا يقف موقفَ ٱللّغوي ٱلقدير ٱلّذي يُدرك عدم احتكام ٱللّغة لبعض ما يضعه علماؤها من معايير في سعيهم ٱلحثيث لتحديد ٱلظّواهر ٱللّغويّة على وفق ما اختاروه من تلك المعايير . ولم يُشِر ٱلرّضيّ إلى نوع آخر من ٱلقلب ٱلكانيّ ، وهو ٱلقلب ٱلّذي يحدث بين ٱلحركات والصوامت ويُشاطره في هذا علماء ٱلعربيّة جميعُهم ، ولكنّه أشار إليه تحت عنوان آخر هو (نَقْلُ ٱلْحَرَكَةِ) كالّذي يحدث فيما يُصطلح عليه (ٱلاعلال بالنّقل) ، وعند بعض أنواع ٱلإدغام ، وهو في ٱلمتحركين ، وقبلهما ساكن ، فيتمّ نقل حركة ٱلأوّل إلى ٱلسّاكن ، وغير ذلك من ٱلمواضع على ما سبق بمصطلح نقل ٱلحركة .

ح ــ ٱلحَــذْف :

وهو سقوط صوت أو أكثر من أصوات ٱلكلمة ممّا عرف عند ٱلرّضيّ تحت مصطلحات ٱلحذف الاعلاليّ والحذف التّرخيميّ وحذف الاعتباط والحذف نَسْبِيًّا (ينظر : ٱلمصطلحات ٱلسّابقة في مواضعها) ، ومن خلال ما تمّ للرّضيّ هنا ، فإنّه يبرز (كراهة توالي الأمثال) عاملاً مهمًّا في سقوط ٱلأصوات مع معيار آخر هو (كثرة ٱلاستعمال) ، و خاصّة فيما كان متقاربًا منها ؛ ومن ذلك سقوط التّاء من ٱلأفعال ٱلمضارعة على وزنيْ تَفَعَّل وتَفَاعَل عندما يكون حرف ٱلمضارعة تاءً (٢) ، وفي أسطاع يَسطيع سقطت ٱلتّاء على ما يرى الرّضيّ لاجتماع متقاربين هما (ٱلتّاء وٱلطّاء) مع عدم إمكانيّة ٱلإدغام بسبب سكون ٱلحرف ٱلسّابق وكثرة الاستعمال أُسقط ٱلتّاء خلافًا لـ (ٱسْتَدَانَ) ؛ لِأَنَّهَا أَقَلّ ٱسْتعمالاً (٢) ، وذلك معيار أبرزته ٱلدّراسات ٱلمعاصرة عاملاً مهمًّا في قصّ ٱلألفاظ ؛ إذ قال فندريس : " وَمِنَ ٱلحقائق ٱلمقرّرة عند ٱلمحدثين من علماء ٱللغات ، أنْ كثرة ٱلاستعمال ، تُبلي ٱلألفاظ ، وتجعلها عرضةً لقصّ أطرافها ، تمامًا كما تُبلى ٱلعملات ٱلمعدنيّة وٱلورقيّة ٱلّتي تتبادلها أيدي ٱلبشر " (٣) ، ومن أمثلة هذه ٱلظّاهرة ماذكره ٱلرّضيّ من قولهم : بَلْعَنْبَرِ وَبَلْحَارِث وسَلْقَامةِ وعَلْأَرْضِ وغيرها (٤) .

وَيبرز من أمثلة ٱلظّاهرة ٱلمختلفة ارتباطها ٱلواضح بوجود عوض عن الصّوت السّاقط مماثلاً لهُ أو قريبًا منه كما سبق وما كان من سقوط ٱلنّون في نحو : إنَّنِي ، وَكَأَنَّنِي ، وما كان من ٱلأفعال ٱلخمسة عند اتّصالها بإحدى ٱلنّونات (٥) .

(١) ش ش ١/ ٢٤ . (٣) اللغة : ٨٩ . (٥) ش ش ٣ /٢٩٤ .
(٢) ش ش ٣ /٢٩٢ . (٤) ش ش ٣ /٢٤٥-٢٤٦ .

ٱلِاتِّجَاهُ ٱلثَّالِثُ : ٱلْأَصْوَاتُ فِي نِظَامِ ٱلْأَدَاءِ

آ ــ ٱلرَّضيّ والبِنْية المقطعيّة لِلْعربيّة :

أنطلقُ في هذا البحث من فكرتيْن أساسيّتيْن وعامّتين هما: الابتداء والتقاء الساكنين حيثُ يعبّر ٱلرّضيّ عن الفكرة الأولى قائلاً :

" ٱلأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ ٱلِابْتِدَاءَ بِٱلسَّاكِنِ مُتَعَذِّرٌ ، وذَهَبَ ٱبنُ جِنِّيّ إِلَى أَنَّهُ مُتَعَسِّرٌ لَا مُتَعَذِّرٌ ، وَقَالَ : يَجِيءُ ذَٰلِكَ فِي ٱلْفَارِسِيَّةِ نَحْوَ شْتَر ، وسْطَام ، وٱلظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ ، وَلَابُدَّ مِنَ ٱلِابْتِدَاءِ بِمُتَحَرِّكٍ وَلَمَّا كَانَ ذَٰلِكَ ٱلْمُتَحَرِّكُ فِي شْتَر وَسْطَام فِي غَايَةِ ٱلْخَفَاءِ (كَمَا ذَكَرْنَا) ظَنَّ أَنَّهُ ٱبْتُدِىءَ بِٱلسَّاكِنِ ، بَلْ هُوَ مُعْتَمِدٌ قَبْلَ ذَٰلِكَ ٱلسَّاكِنِ عَلَى حَرْفٍ قَرِيبٍ مِنَ ٱلْهَمْزَةِ مَكْسُورٍ ، كَمَا يُحَسُّ فِي نَحْوِ عَمْرو وَقْفاً بِتَحْرِيكِ ٱلسَّاكِنِ ٱلْأَوَّلِ بِكَسْرَةٍ خَفِيَّةٍ ، وَلِلُطْفِ ٱلِاعْتِمَادِ لَا يَبِينُ ، وَأَمَّا ٱلْوَقْفُ عَلَى مُتَحَرِّكٍ فَلَيسَ بِمُسْتَحِيلٍ " (١)

ويعبّر عن ٱلفكرة ٱلثّانيّة قائلاً :

" أَقُولُ : إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْحَرْفَيْنِ ٱلسَّاكِنَيْنِ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفاً صَحِيحاً لَا يُمْكِنُ ٱلْتِقَاؤُهُمَا إِلَّا مَعَ إِتْيَانِكَ بِكَسْرَةٍ مُخْتَلَسَةٍ غَيْرِ مُشْبَعَةٍ عَلَى ٱلْأَوَّلِ مِنْهُمَا ، فَيَحْسِبُ ٱلْمُسْتَمِعُ أَنَّ ٱلسَّاكِنَيْنِ ٱلْتَقَيَا ، وَ يُشَارِكُهُ فِي هٰذَا ٱلْوَهْمِ ٱلْمُتَكَلِّمُ أَيْضاً ، فَإِذَا تَفَطَّنَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلِمَ أَنَّ عَلَى ٱلْأَوَّلِ مِنْهُمَا كَسْرَةً خَفِيفَةً نحو بَكْرْ ، بِشْرْ ، بُسْرْ ، فحُرِّكَتْ عَيْنُ ٱلثَّلَاثَةِ بِكَسْرَةٍ خَفِيفَةٍ ، وإِلَّا ٱسْتَحَالَ أَنْ تَأْتِيَ بَعْدَهَا بِٱلرَّاءِ ٱلسَّاكِنَةِ ، وَإِنَّمَا تَحِسُّ بِذَٰلِكَ وَتَتَفَطَّنُهُ بَعْدَ تَثَبُّتِكَ وَتَأَنِّيكَ فِيمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَإِذَا خَلَّيْتَ نَفْسَكَ وَسَجِيَّتَهَا وَجَدْتَ مِنْهَا أَنَّهَا لَا تَلْتَجِيءُ فِي ٱلنُّطْقِ بِٱلسَّاكِنِ ٱلثَّانِي ٱلْمُسْتَحِيلِ مَجِيئُهُ بَعْدَ ٱلسَّاكِنِ ٱلْأَوَّلِ مِنْ بَيْنِ ٱلْحَرَكَاتِ إِلَّا إِلَى ٱلْكَسْرَةِ ...

وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفَ لِينٍ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ ٱلْتِقَاؤُهُمَا لَكِنْ مَعَ ثِقَلٍ مَا ، وَإِنَّمَا أَمْكَنَ ذَٰلِكَ مَعَ حُرُوفِ ٱلْعِلَّةِ لِأَنَّ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفَ هِيَ ٱلرَّوَابِطُ بَيْنَ حُرُوفِ ٱلْكَلِمَةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، وَذَٰلِكَ أَنَّكَ تَأْخُذُ أَبْعَاضَهَا ، أَعْنِي ٱلْحَرَكَاتِ ، فَتَنْتَظِمُ بِهَا بَيْنَ ٱلْحُرُوفِ ، وَلَوْلَاهَا لَمْ تَتَّسِقْ " (٢)

---

(١) ش ش ٢ / ٢٥١ .

(٢) ش ش ٢ / ٢١٠ ــ ٢١١ .

تقدّم هاتان ٱلْفكرتان (ولِلْوهلةِ ٱلْاولى) ٱلْبنى ٱلْأساسية ٱلّتي يستند إليها نظام ٱلْأداء في ٱلْعربيّة أو لنقل ٱلتّشكيل ٱلعربي ؛ إذ نلحظ من خلالها أنّ الدّارسين لِلْعربيّة قديماً أوجدوا لهم نظاماً مقطعيّاً بسيطاً يقومُ عليه أداؤها ٱلصّوتيّ ؛ وذلك من خلال تقسيمهم ٱلْحَرفَ إلى قسميْنِ (متحرّك وسَاكن)، وعلى وِفق هٰذين يتمّ تشكيل ٱلسّلسلة ٱلمنطوقة ، وهنا ندرك ٱلْحقيقة الّتي سبقنا إلى إدراكها ٱلْمستشرق الشّهير هنري فليش بقوله : " فَمِنَ ٱلْممكن أنْ نختم هذا ٱلْبحث بحقيقةٍ ثابتة هي : أنّ ٱلتّفكير ٱلصّوتيّ لدى ٱبن جنّي وٱلنّحاة ٱلْعرب يتحرَّك داخل ٱلنّظام ٱلْمقطعيّ لِلغة " (١) فكما تقوم ٱلْمقاطع ٱلصّوتيّة عند ٱلْمحدثين على تتابع معين من ٱلصّوامت وٱلصّوائت فكذلك ٱلامرُ عند علمائنا ٱلسّابقين بما وصفوا من فكرة ٱلسّاكن والمتحرك (بغض ٱلنّظر عن ٱلْاختلافات ٱلْكميّة وٱلنّوعيّة) (٢). وقد أقام ٱلرّضيّ على هٰذه نظرته إلى التّشكيل ٱلصّوتيّ ، فٱلْوحدة المقطعيّة كما هي عند ٱلْمحدثين لم تكن متصوّرة عنده ، لكنّ ٱلْأفكار الّتي يُقدِّمها تتسامى لتُخضِعَ لها ٱلنّظام ٱلْمقطعيّ الّذي يقدّمه ٱلْمحدثون لِلْعربيّة (ممّا سنقف عنده قريباً) .

لا بّد لي هنا قبل ٱلدّخول إلى عرض أفكاره أنْ أؤكد نجاح فكره ٱلْمنهجيّ في عدم ٱلتّعويل على حدود الكلمة بلْ تجاوزها إلى سلسلة ٱلْأصوات ٱلْمعبّرة عمّا هو أوسع من ٱلْكلمة ، وذلك من خلال رصدِهِ لمواضعَ ٱلْتقاء ٱلسّاكنَيْنِ بين كلمتين ، وعدم تعليقه لِلْابتداء وٱلْوقف ببداية ونهاية ٱلْكلمة ، بلْ ها بداية الكلام مطلقاً ونهايته ٱلْمعبّرة عن ٱلسكوت وٱلانتهاء . (٣) ، وبعدُ يُمكن أنْ أُجمل ٱلْأفكار ٱلْمقطعيّة لِلرّضيّ على ٱلشّكل ٱلْآتي :

١ ــ أدرك ٱلرّضيّ وظيفة ٱلْحركات في عمليّة ٱلتّشكيل ٱلصّوتيّ لِلصّوامت أو ٱلصّحاح ؛ إذ " لَوْلَاهَا لَمْ تَتَّسِقْ " إذَنْ فهٰذه ٱلْحركات هي ٱلّتي تعطي ٱلصّحاح دورها في عمليّة ٱلتّواصل ؛ إذ لولاها لبقيَتْ دُون تركيب فٱلْحركات لها وظيفة في ٱلتّشكيل

---

(١) ٱلتّفكير ٱلصّوتيّ عند ٱلْعرب : ٨٥ .

(٢) لقد قدّم كلٌّ من القاضي عبد الجبار وٱبن سينا وٱبن رشد وٱلْفارابي تصوّرات عن المقطعيّة ترتقي لِلدّلالة الفنيّة لمفهوم المقطع كما هو عند ٱلْمحدثين (ينظر التفكير ٱللّسانيّ : ٢٦١ ــ ٢٦٢) ويشاركهم كذلك ٱبن الدّهان ٱللّغوي (٥٩٢ هـ) ، (يُنظر : المصوّتات : ٤٢٧) .

(٣) ش ش ٢ / ١ ٢٥ .

غاية في ٱلْخطوق ،تشاركها في هذه ٱلْوظيفة حروفُ ٱلْعلّة (وقد وقفنا على العلاقة ٱلصّوتيّة بينهما في صفة ٱلْمدّ) وهو ينسجم ومايعطيه ٱلْمحدثون لها من وظيفة ،إذ توصّلوا إلى أنّه لولا ٱلصّوائت بنوعيها ومكانها في قمّة ٱلْمقطع ٱلصّوتيّ لَمَا أمكن إسماع ٱلْمقطع وإدراكه ؛ كما إنّ تجمّعات ٱلصّوامت لاتتمّ إلاّ بوجود هذه ٱلأصوات .

٢ـ إنّ قوله بٱلاْستحالة ٱلصّوتيّة في ٱلإْبتداء بٱلسّاكن يسجّل به منعه لتتابع صحيحين في بداية ٱلنّطق ،وإذا وُجِد مثل هذا ٱلتّتابع فإنّ ٱلْعربيّة تحتال عليه بجلب صحيح في بداية ٱلنّطق ذي خصائص فنولوجية متميزة (أعني : ٱلْهمزة) ،تتبعها حركة مُختلسة (كسرة غالباً ،ربّما تكون قد فقدت ٱلْجَهر عندالأختلاس)؛ويرى بعض ٱلْباحثين ، أنّ هذا ٱلنّوع من ٱلْحركات قصيرٌ جداً (١) ،ويذهب د . كمال بشر (٢) إلى أنّ هذه ٱلْهمزة ليست همزة بٱلْفعل ،وإنّه على فرض وقوعه نوع من ٱلتّحريك ٱلّذي يُسهّل عملية ٱلنّطق . وعلى ٱلْعُموم فَإنّ مايذكره ٱلرّضيّ يعني : جلب متحرك في بداية الكلام ؛ واستناداً الى تقريره هذا فإنّ بداية ٱلْكلام يجب أنْ تكون على الأشكال : (ص ح ، ص م ، ص ح ص)؛أي:ٱلْمقاطع ٱلثّالثة ٱلأْولى من مقاطع ٱلْعربيّة عند ٱلْمحدثين (٣) .

---

(١) ٱلتّصريف العربي : ١١٠

(٢) كتابه دراسات في علم اللغة ، ١٤٣ ـ ١٤٤ ،وتشارك ٱلْعربيّة في هذا اللغات ٱلسّاميةُ (ينظر : فقه اللغات السّامية ، ٧٣) .

(٣) مجمل آرائهم يرىٰ أنّها خمسة مقاطع ، وتوجد ٱختلافات متباينة في تسميات هذه ٱلْمقاطع لكنّها تشترك في محتوياتها ،وقد رأيتُ أنْ أضع تسميات أراها أكثر دلالة على محتوى وشكل المقطع مستفيداً ممّا ورد في كتبهم وهي :

١ـ ٱلْمقطع ٱلْقصير ٱلْمفتوح ، (ص ح) (مدلول ٱلْحرف ٱلْمتحرك ، من نحو : بَ ، تَ ، تِ)

٢ـ ٱلْمقطع ٱلطّويل ٱلْمفتوح ، (ص م) (وهو مدلول إشباع ٱلْحرف ٱلْمتحرك من نحو : ما ، بي ، ذو)

٣ـ ٱلْمقطع ٱلْقصير ٱلْمغلق ، (ص ح ص) (من نحو : لَنْ ، مُذْ ، مِنْ)

٤ـ ٱلْمقطع ٱلطويل ٱلْمغلق (ص م ص) (من نحو : دار ، ميل ، عود)

٥ـ ٱلْمقطع ٱلْقصير ٱلمزدوج ٱلغلق (ص ح ص ص) (من نحو : نَشْرْ ،وقفا) .

ويضيف بعض ٱلْباحثين مقطعاً سادساً هو :

٦ـ ٱلْمقطع ٱلطّويل المزدوج ٱلْمغلق (ص م ص ص) (من نحو مادٌّ ، ضالٌّ ،وقفا) ====

٣ـ إذا كان ٱلرّضيّ قد رفض تتابع صحيحين في بداية ٱلْكلام فإنّه نسي أنْ يُشير إلى أنّه لايمكن أنْ يُبْدَأ بحركة (١)، ويبدو أنّ إهماله هذا تأكيد لِلْبدهيّة ٱلْمتعارف عليها أنّ : " ٱلْحَرَكَةُ فِي جَوْهَرِهَا نَاقِصَةٌ ، فَهِيَ لَاتَقُومُ بِنَفْسِهَا ، وَهِيَ مُحْتَاجَةٌ لِكَيْ تُوجَدَ إِلَى حَامِلٍ وَهُوَ ٱلْحَرْفُ " (٢) وقد أشار إلى تلبّسها بِٱلْحرف وإعقابها له بقوله " لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ بَعْضُ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ ٱلْمُتَحَرِّكِ بِـلَا فَصْلٍ " (٣) ، وقد قرّر الدّرس ٱلْحديث بِٱلْأجهزة ٱلْمختبريّة وجود منطقة احتكاك عند نطق ٱلْحركة لوحدها أو في بداية ٱلْكلام ـ تشبه مايحدث عند ٱلْهمزة (٤) .

==== ويرى د . تمام حسّان وجود مقطع من نوع : ح ص (ينظر مناهج البحث : ١٤٠) ويجعله (ص) فقط في (اللغة العربية ، معناها ومبناها : ٩٦)، ويبدو لي أن الواقع ٱلْأدائيّ يقرر وجود ٱلْمقاطع الأربعة ٱلْأولى فقط.

ٱلرّموز ٱلْمستعملة : ص = ٱلصّحيح / ح = ٱلْحركة / م = ٱلْمدّ

ٱلْكلمات ٱلْمستعملة : قصير = في المقطع حركة / طويل = في المقطع مد .

مفتوح = قمة ٱلْمقطع في نهايته / مغلق = ٱلصّحيح في نهاية المقطع/مزدوج ٱلْغلق = تتابع صحيحين في نهاية المقطع .

المصادر : زيادة على ماسبق،يُنظر:دراسة ٱلصّوت : ٢٥٦،في ٱلْأصوات ٱللّغويّة:٢٣٧ ومايليها،علم ٱلْأصوات ٱلْعام : ٩٨، ١٤١ ـ ١٤٦ . ، ٱلْمدخل إلى علم ٱللّغة : ١٠٢ ،وينظر بحث:البنية المقطعية العربيّة .

(١) قال في سرّ ٱلصّناعة : ١/ ٤٩ : " لما لم يمكنه الابتداء بالمدة الساكنة ابتدأ باللام".

(٢) التفكير الصوتي عند العرب : ٨٦ .

(٣) ش ش ١/ ١١٨.

(٤) ٱلتّشكيل ٱلصّوتيّ : ٣٨،ويقول بروكلمان (فقه اللغات السامية : ٤١) : " كلّ حركة في أول ٱلْكلمة في ٱللغات ٱلسّاميّة تنطق في ٱلْأصل محقّقة،بمعنى أنها تسبق بهمزة ".

٤ ـ نهاية ٱلْكلام يمكن أن تكون صحيحاً ساكناً أو متحركاً ، وبهذا فيمكن أن تنتهـي ٱلسّلسلة الصّوتيّة بمقطع مفتوح أو مغلق وإنْ كانت ٱلْعربيّة تميل إلى إغلاق ٱلْمقطع ٱلأخيرفي ٱلسّلسلة .

٥ ـ إنّ منع ٱلرّضيّ إلتقاء ٱلسّاكنين معناه رفضه تتابع ثلاثة صحاح في أثناء الكـلام أو صحيحين عند ٱلْوقف (١)، أيْ إنّ ٱلرّضيّ لا يرى تحقّقاً لِلْمقطع ٱلْخامس وٱلسّادس لافي حالة ٱلدّرج ، ولافي ٱلْوقف وٱلشّكل ٱلْمقطعيّ عندها يُصبح:

(ٱلْمقطع ٱلْخامس:ص ح ص ص ← ص ح ص ح ص)

(المقطع السادس:ص م ص ص ← ص م ص ح ص)

٦ ـ إنّ قبول ٱلرّضيّ تتابع ساكنين أوّلهما حرف لين (٢) ، معناه قبوله ٱلْمقطع ٱلرّابـع أيْ :(ص م ص) على ما وضعه من ٱلشّرطين ، وقبل ٱلدّخول في ٱلشّرطيـن أُشيرُ إلى مسألة الاعتقاد بأنّ حروف ٱللين ومنها حروف المدّ ساكنةٌ (يمكن أن ينظر هنا في مصطلح الساكن) ، وربّما أدرك تعسّف ٱلنّظرة تلك عندما قـال بإمكانيّة ٱلتقائهما ، الذى لم يكن من ٱلْقوة بحيث يتجاوز قوله : " وَلَكِنْ مَـعَ ثِقَلٍ مَا " (٢)

٧ ـ يقولُ ٱلرّضيّ : عندما يكون أوّل ٱلسّاكنين حرف لين :

" فَٱعْلَمْ أَنّ أَوّلَ مِثْلِ هٰذَيْنِ ٱلسَّاكِنَيْنِ إِذَا كَانَ أَلِفاً فَٱلأَمْرُ أَخَفُّ لِكَثْرَةِ ٱلْمَـدِّ ٱلَّذي فِي ٱلأَلِفِ ، إِذْ هُوَ مَدٌّ فَقَطْ ؛ فَلِذٰلِكَ كَانَ نَحْوُ مَادَّ وَسَادَّ أَكْثَرَ مِنْ نَحْوِ تُمُـوِدَّ ٱلثّوبُ ، ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا وَاواً أَوْ يَاءً مَاقَبْلَهُمَا مِـنَ ٱلْحَرَكَاتِ مِنْ جِنْسِهِمَا ؛ وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ ذٰلِكَ فِي ٱلْيَاءِ في الاسم نحو سيرْ ؛ وٱلدّرَجَةُ ٱلأَخِيرَةُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ ٱلسَّاكِنَيْنِ وَاواً أَوْ يَاءً قَبْلَهَا فَتْحَةٌ لِقِلَّةِ ٱلْمَدِّ ٱلّذِي فِـي مِثْلِ ذٰلِكَ ، وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ ذٰلِكَ إِلاّ فِي ٱلْمُصَغَّرِ نَحْوَ خُوَيْصَّة ".(٣)

---

(١) في شرح المفصل : ٩/ ١٢٠ ـ ١٢١ ، يقبل ابن يعيش بالتقائهما في الوقف

(٢) ش ش ٢/ ٢١١ .

(٣) ش ش ٢/ ٢١٢ .

يقرّر هذا ٱلنّص ملاحظة مهمّة وخطيرة في ٱلنّظرة ٱلْقطعيّة هي : أنّ ٱلرّضيّ ، يسلك مع أصوات نصف ٱلمدّ سُلوكه مع ٱلأصوات ٱلْمدّ ية،كما في خُوَيْصَّة ودُوَيْبَّة (١)، وعلى هذا فٱلنّظام ٱلْعربيّ يُعامل هذه ٱلأصوات معاملته للأصوات ٱلْمدّ ية (٢)، وبحسب تصوّرات ٱلْمحدثين فإنّ (فتحة + ياء ساكنة) ؛ وهو مايطلق عليه الصّائت ٱلْمركب (ٱلثّنائيّ) يُساوي ٱلصّائت ٱلطّويل من ٱلنّاحية ٱلْوظيفيّة) .

وعندي فإنّ ٱلرّضيّ يقبل بوجود ٱلْمقطع ٱلْخامس أي (ص ح ص ص) فقط في هذا ٱلْموضع ويعلّل قبوله لهذا ٱلتّتابع بٱحتفاظه بٱلصّفة المدّ ية وإن كانت أقلّ من المدّ في ٱلأصوات ٱلْمدّ ية .

٨- يشترط ٱلرّضيّ لوجود ٱلسّاكنين ٱلسّابقين (أي : ٱلسّاكنين أوّلهما لين) شرطين قال فيهما :

" هٰذَا ، وَمَعَ ٱلْمَدِّ ٱلَّذِي فِي حَرْفِ ٱلْلِينِ يُشْتَرَطُ فِي ٱلسَّاكِنِ ٱلثَّانِي أَحَدُ ٱلشَّرْطَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ مُدْغَماً بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُدْغَمُ وَٱلْمُدْغَمُ فِيهِ مَعاً مِنْ كَلِمَةِ حَرْفِ ٱلْمَدِّ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُدْغَماً فِي مُتَحَرِّكٍ فَهُوَ فِي حُكْمِ ٱلْمُتَحَرِّكِ ، وَذٰلِكَ لِشِدَّةِ ٱلْتِصَاقِهِ بِهِ فَإِنَّ ٱلْلِسَانَ يَرْتَفِعُ بِٱلْمُدْغَمِ وَٱلْمُدْغَمِ فِيهِ ٱرْتِفَاعَةً وَاحِدَةً ، فَيَصِيرَانِ كَأَنَّهُمَا حَرْفٌ وَاحِدٌ مُتَحَرِّكٌ ، ... (٣)

ٱلشَّرْطُ ٱلثَّانِي مِنَ ٱلشَّرْطَيْنِ ٱلْمُعْتَبَرِ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فِي ٱلسَّاكِنِ ٱلثَّانِي : أَنْ يَكُونَ مَوْقُوفاً عَلَيْهِ بِٱلسُّكُونِ ، أَوْ مُجْرىً مُجْرَى ٱلْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْوَقْفَ لِقَصْدِ ٱلْإِسْتِرَاحَةِ وَمُشَارَفَةِ ٱلرَّاحَةِ تُهَوِّنُ عَلَيْكَ أَمْرَ ٱلثِّقَلِ ٱلَّذِي كُنْتَ فِيهِ " (٤) .

وهذان ٱلشّرطان يوضحان كراهيّة ٱلْعربيّة لهذا ٱلتّتابع ٱلّذي لاتستسيغ ٱمتداده خارج ٱلْكلمة (وهي ملاحظة جديرة بٱلنّظر ، إذ تجعل للكلمة ٱعتبارات مقطعيّة تختلف عن تلك ٱلّتي خارج حدودها، ويمثّل هذا ٱلتّتابع ٱلْمقطع ٱلرّابع من مقاطع ٱلْعربيّة (اي ص م ص) ، وٱلرّضيّ بذكره هذين ٱلشّرطين يُذكّرنا بمجريات

---

(١) ينظر ش ش ٢/٥٠ .

(٢) يقول د . غالب المطلبي (في ٱلأصوات ٱللّغويّة : ١٠٥) : " لقد ٱنطلق ٱلدّكتور هنري فليش من هذه الملاحظة ، ومن ملاحظة ٱبن جنّي ٱلّتي سبقت الاشارة إليها إلى إثبات أنّ ٱلْعربيّة عرفت ٱلمدّ ٱلْمركّب من قبل ٱلْوظيفة ٱللّغويّة وإلى أنّها عاملته معاملة صوت ٱلْمدّ ٱلطّويل "

(٣) ش ش ٢/٢١٢ - ٢١٣ .

(٤) ش ش ٢/٢١٣ - ٢١٥ .

الدّرس المقطعيّ؛ إذ إنّ الدّراسات المعاصرة (١)، تقرّر هذين الشّرطين لوجود المقطع الطويل المغلق: وكراهيّة العربيّة له، سبّبتْ أثراً واضحاً في البنية اللغوية للعربيّة. وقد قامتْ بعض الدّراسات (٢)، برصد مظاهر متعددة من هذا الاثر. وباشتراط وجود المدغم بعد صوت المدّ، فإنّ الرّضيّ يبرز المعاملة الصّوتيّة الّتي تؤكد رأيه السّابق في الإدغام بأنّ الحرف المضعّف ماهو إلّا حرف واحد يعتمد عليه بقوّة (أو الصّامت الطّويل) وقد لحظ - في سياق تقريره للتّصوّرات السّابقة - أنّه يفرغ جانباً من دراسته لبعض الوقائع اللغويّة ليرصد التّحولات التّشكيليّة (المقطعيّة) الّتي تطرأ على الكلمات عند دخولها في حال الحدث الفعليّ الكلاميّ وعند اتّصالها ببعض المورفيمات الصّرفيّة الّتي تلحق الكلمات، ووجدته يدخل اعتباراً آخر في الشّكل المقطعيّ هو (عدم اللّبس)؛ وذلك عند حذف حرف اللين السّاكن الوارد في هذا المقطع لعدم توافر شرطيه من ذلك الرّصد:

١- إذا التقى ساكنان على غير ما سبق أوّلهما حرف مد ف "إنّ لَمْ يُؤدِ الْحَذْفُ إلى اللّبْسِ حُذِفَ الْمَدُّ، سَوَاءٌ كَانَ السَّاكِنُ مِنْ كَلِمَةِ الْأَوَّلِ كَمَا فِي: خَفْ، وقُلْ، وبِعْ، أو كَانَ كَالْجَزَاءِ مِنْهُمَا، وَذَلِكَ بِكَوْنِهِ ضَمِيرًا مَرْفُوعاً مُتَّصِلاً، نَحْوَ تَخْشَيْنَ، وَتَغْزُوْنَ وتَرْمِيْنَ، كَانَ أصْلُهَا تَخْشَى وَتَغْزُو، وَتَرْمِي، فَلَمَّا اتَّصَلَتْ الضَّمَائِرُ بِهَا سَقَطَتْ اللّامُ لِلسَّاكِنَيْنِ، أوْ بِكَوْنِهِ أَوَّلَ نُونَيْ التَّأكِيدِ الْمُدْغَمَ أحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ، نَحْوَ اُغْزُنَّ وَارْمِنَّ.." (٣)

وكذلك يحذف السّاكن الأوّل، وهو المدّ عند وقوع السّاكن الثّاني الّذي يليه في كلمة أخرى كما نحو: خاف اللّه وخافوا اللّه وخافي اللّه، يقول الرّضيّ: "فَإنَّهُ يُحْذَفُ حَرْفُ الْمَدِّ لِلسّاكِنَيْنِ؛ وَذَلِكَ لِأنَّ فِي الْتِقَائِهِمَا مُطْلَقاً وَإنْ حَصَلَ جَمِيعُ الشَّرائِطِ كُلفةً مَا كَمَا ذَكَرْنَا" (٤).

ويبدو هنا إلا دراك المثّل للواقع الفعلي؛ إذ إنّ النّظام الكتابيّ يُبقي على صورة المدّ في مثل هذه الكلمات.

---

(١) ينظر الاصوات اللغوية ٦٤ ؛ المحيط : ٧٥ ومابعدها.

(٢) من تلك الدّراسات: "أثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربيّة" د. يحيى القاسم

(٣) ش ش ٢/ ٢٢٦.

(٤) ش ش ٢/ ٢١٣.

ويرى ٱلرّضيّ فيما إذا أدّى هذا ٱلحذف إلى ٱللّبس أنْ يحرّك ٱلثّاني " إذ ٱلمدّ لا يُحرَّكُ كَمَا فِي مُسْلِمُونَ وَمُسْلِمَانِ ، فَإِنَّ ٱلنُّونَ في الأصل سَاكِنٌ ، فَلَوْ حُذِفَتْ ٱلأَلِفُ وَٱلْوَاوُ لِلسَّاكِنَيْنِ لَٱلْتَبَسَا بِٱلْمُفْرَدِ ٱلْمَنْصُوبِ وَٱلْمَرْفُوعِ ٱلْمُنَوَّنَيْنِ ، وَكَذَا فِي يُسْلِمَانِ وَيُسْلِمُونَ وَتُسْلِمِينَ لَوْ حُذِفَتِ ٱلْمَدَّاتُ لَٱلْتَبَسَ ٱلْفِعْلُ بِٱلْمُؤَكَّدِ بِٱلنُّونِ ٱلْخَفِيفَةِ فِي بَدْءِ ٱلنَّظَرِ " (١) ؛

ويقولُ ٱلرّضيّ أيضاً : " وَإِنَّمَا لَمْ يُحْذَفْ أَوَّلُ ٱلسَّاكِنَيْنِ ـ أعني ٱلأَلِفَ ـ فِي رَمَى وَغَزَا عِنْدَ ٱتِّصَالِ أَلِفِ ٱلْمُثَنَّى فِي غَزَوَا وَرَمَيَا وَأَعْلَيَانِ وَحُبْلَيَانِ ، بَلْ قُلِبَتْ واواً أَوْ يَاءً ، كَمَا رَأَيْتَ خَوْفاً مِنَ ٱلْتِبَاسِ ٱلْمُثَنَّى بِٱلْمُفْرَدِ " (٢) .

أمّا إذا لم يكن أوّل السّاكنين مدّة فوجب تحريكه ، إلّا إذا أدّى تحريكه إلى نقض ٱلْغَرَضِ ، كما في (لَمْ يَلْدَهُ وٱنْطَلْق (وهو عند تميم)) ، فهم يخففون ما كان على كَتِفٍ أي: (يَلِد وطَلِق) ، فيصبحان: (يَلْد ، طَلْق) وعند ٱلأمر أو ٱلجزم يحتالون بتحريك ٱلآخِر لئلّا ينقضوا ما عملوا (٣) .

٢ـ ويرصد ٱلرّضيّ سلوكاً لبعض ٱللهجات تتخلص فيه من ٱلمقطع الرابع (ص م ص) : أي: من ٱلسّاكنين وأوّلهما مدّ ؛ على ٱلرّغم من توفّر شرطيْ قبوله في ٱلعربيّة ٱلفصحى ، وذلك ٱلسّلوك يؤكّد كراهية ٱلعربيّة على العموم لهذا ٱلمقطع ، إذ يتمّ ٱلتّخلص من هذا التتابع بوساطة إحداث همزٍ مكان ٱلمدّ .

قال ٱلرّضيّ (فيما ٱغتفر فيه ٱلتقاء ٱلسّاكنين) : " وَثَانِي ٱلنَّوْعَيْنِ مَا يَكُونُ ٱلسَّاكِنُ ٱلثَّانِي فِيهِ مُدْغَماً وَٱلأَوَّلُ أَلِفٌ نَحْوَ ٱلضَّالِّينَ ، فَتُقْلَبُ ٱلأَلِفُ هَمْزَةً مَفْتُوحَةً ، كما يُحكى عن أيوب ٱلسّختيانيّ في ٱلشّواذ : (وَلَا ٱلضَّأَلِّينَ) ، وحكى أبو زيدٍ عَنْهُ : دَأَبَّة ، وشَأَبَّة ، وأنشد : ... خاطمها زَأَمَّهَا أَنْ تَذْهَبَا ... أي زَامَّهَا ، فقلبها هَمْزَةً مَفْتُوحَةً ، إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ هُنَا وَزْنُ ٱلشِّعْرِ بِٱجْتِمَاعِ ٱلسَّاكِنَيْنِ ، وروى أبو زيدٍ عن عَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ : (عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَأَنٌّ) " (٤) (الرحمن ـ ٣٩) .

---

(١) ش ش ٢/ ٢٣٠ .

(٢) ش ش ٢/ ٢٣٠ .

(٣) ينظر: ش ش ٢/ ٢٢٦ و ٢٣٨ وما بعدها .

(٤) ش ش ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

وإذا كانَ ٱلرّضيّ يحكم بقبول هذا ٱلتّحول بما يراه من علاقة مخرجيّة بين ٱلألف وٱلهمزة ، فإنّ ٱلدّرس ٱلحديث يتّخذ لنفسه طريقاً آخر ؛ إذ هو لا يحكم بمثل هذه ٱلعلاقة ف (هنري فليش) [١] ، يفسّره من خلال وجود نوعين من ٱلصوّتات : ٱلأوّل ، ذو توترٍ رخوٍ ، وٱلآخر ذو توترٍ شديدٍ ، وهو ٱلموجود في ٱلعربيّة وٱليابانية مع شدّة ذلك في ٱلعربيّة عمّا هو في ٱليابانيّة ، إذ يحدث عند ٱلنّطق به أنْ تنغلق ٱلأحبال ٱلصّوتيّة أوّلاً ثمّ تفتح بالقدر اللازم لإحداث ذبذبة ، فإذا ٱنتهى ٱلنّطق ٱنغلقت ، وتأتي نهاية ٱلصّوت في صورة ٱحتباسٍ أو قطع ضعيفين ، ٱلذي يحدث في ٱلعربيّة إنّ ٱلانفتاح ٱلفاجيء لِلأحبال ٱلصّوتيّة يصدر همزة ٱبتداء بفعل شدّة ٱلتّوتر ، ثم تستعيد ٱلأحبال وضعها بأنْ تغلق ٱلحنجرة .

وقد ٱختار بعض ٱلعرب تلّخصاً من هذا ٱلمقطع أنْ يحدثوا قلباً مكانيّاً عند الوقف في نحو : بكر وعمرو بقلب ٱلحركة ٱلإعرابيّة إلى ٱلسّاكن ٱلأوّل ؛ على أنْ يحركوه بٱلكسرة ٱلخفيفة ضَنّاً بالإعرابيّة وتجنباً لجلب حركة أجنبيّة . (٢) .

ب ـ ظاهرة ٱلإعلال :

إحدى ٱلظّواهر ٱلبارزة لمقتضيات ٱلمقطعيّة ٱلعربيّة بما فيه من كراهيّة وٱستحباب حيث تتفاعل فيه ٱلمقطعيّة مع ظاهرة ٱلمماثلة في ٱلتّخلص من ٱلتّتابع ٱلصّوتيّ غير ٱلمرغوب ، ويعني هذا ٱلتّتابع في كتب ٱلمحدثين وجود صوت ٱلمدّ ٱلمركب أو (Diephthong) ، الذي سمي مركّباً ؛ لأنّه عندما ينطق بالصّائت ٱلمفرد يُنقل ٱللسان في أثناء إصداره إلى موقع نطق لصائت آخر [٣] ، وهي حالة صعبة عند ٱلنّطق ؛ لِأنّها تتطلب أنْ يقطع ٱلمتكلم مجرى نَفَسِهِ ثمّ يستأنفه مرة أخرى ، فيحتال ٱلجهاز ٱلصّوتيّ بأنْ يحدث نوعاً من ٱلاحتكاك ٱلبسيط ٱلمسموع بمثابة فاصلة يستريح فيه ٱللسان برهة ليستطيع ٱتّخاذ ٱلموضع الآخر ؛ وبفعل هذا ٱلاحتكاك ٱلحاصل يتحوّل أحد ٱلصّائتين إلى نصف صائت مما يسهّل ٱجتماعهما ، وهذا ٱلصّائت المتحوّل ؛ إمّا أنْ يكون أوّلاً وإمّا ثانياً بحسب نوع ٱلمركب ٱلحاصل ، وقد يتبع نصف ٱلصّائت صائت آخر فيكون ما يعبّر عنه بٱلمدّ ٱلمركّب ٱلثّلاثي .

---

(١) التفكير الصوتي عند العرب : ٦٢ ، حاشية رقم (٤) . وينظر : في ٱلأصوات اللغوية : ٢٧٤ .

(٢) ش ش ٢/٣٢١-٣٢٤ (ٱلوقف بٱلنّقل) . (بتصرف) .

(٣) هنا خلاف بين المحدثين في وجود الاصوات المركبة في العربية بحسب ====

وقد عبّر الرضيّ عن هذا ٱلتّركيب تعبيراً دقيقاً بفعل ملاحظته لقلّة ٱلمدّ ٱلّذي يكون عند الواو أو الياء التي تسبقها حركة من غير جنسها (أي: ٱلفتحة)، حيث قالَ:

" وَذٰلِكَ لِأَنَّ فِي نَحْوِ قَوْلِ ٱلْضَّمُومِ قَافُهُ تَتَهَيَّأُ بَعْدَ ٱلنُّطْقِ بِٱلْقَافِ لِلْوَاوِ ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلضَّمَّةَ بَعْضُ ٱلْوَاوِ ؛ فَيَسْهُلُ عَلَيْكَ ٱلْمَجِيءُ بَعْدَ ٱلضَّمَّةِ بِٱلْوَاوِ كَامِلَةً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخَالِطْهَا إِذَنْ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ ٱلْمَدِّ كَمَا خَالَطَهَا فِي نَحْوِ قَوْلِ ٱلْمَفْتُوحِ قَافُهُ ؛ فَإِنَّكَ إِذَنْ تَهَيَّأْتَ فِيهِ بَعْدَ ٱلْقَافِ لِلْمَدِّ ٱلْأَلِفِيِّ : أَيْ ٱلْفَتْحَةِ ، ثُمَّ ٱنْتَقَلْتَ فِي ٱلْحَالِ إِلَى ٱلْمَدِّ ٱلْوَاوِيِّ شَائِبًا شَيْئًا مِنَ ٱلْمَدِّ ٱلْأَوَّلِ بِٱلْمَدِّ ٱلثَّانِي ، وَمَيْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْمَدَّيْنِ إِلَى جَانِبٍ غَيْرِ جَانِبِ ٱلْآخَرِ ، فَلَا جَرَمَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ إِشْبَاعِ ٱلْمَدِّ ٱلْوَاوِيِّ تَمَامَ ٱلتَّمَكُّنِ " (١) .

فصوت ٱلمد ٱلمركب عند ٱلرّضيّ نتاج تخالط مدّين مختلفين؛ ولأجله يقلّ ٱلمدّ في ٱلصّوت ٱلثّاني ، كأنّه بهذا يقترب من ٱلخصائص ٱلصّوتيّة للصّحاح .

والرّضيّ هنا بتصوّره للمدّ ٱلمركب يقدّم لنا أدق ٱلمعلومات ٱلصّوتيّة بطريقة بارعة جداً تثير فيّ اعجاباً وتقديرًا عظيمين .

ويتبيّن ممّا سبق صعوبة مثل هذا ٱلتّتابع ٱلمدّيّ وأنّ ٱللغة ٱلعربيّة لها رغبة دائمة في ٱلتّخلص من تتابع ٱلأصوات ٱلمتجانسة ، إذ يتمّ ٱلتّخلص بوساطة ٱلمماثلة بتحوّل ٱلواو أو ٱلياء ٱلسّاكنة أو ٱلمتحرّكة (٢) ، إلى جنس ٱلحركة ٱلسّابقة فتولّد معها صوت مدّ مجانس ويوفّر هذا ٱلتّخلص ٱستقرارًا في قمّة ٱلمقطع ٱلّتي تشغلها ٱلصّوائت ، وعلى هذا ٱلسّلوك تقوم ٱلتّغييرات ٱلّتي تطرأ على حروف ٱلعلّة فيما يعرف بظاهرة الاعلال أو الاعتلال في ٱلتّراث ٱللغوي ٱلعربي .

ويستند ٱلرّضيّ في هذه ٱلظّاهرة على قواعد ترسم خطّ سير ذلك ٱلتّماثل ٱلّذي ينبغي أن لا يغيب عنّا ٱرتباطه بحدود ٱلكلمة ، ولهذا فهذه ٱلظّاهرة تعدّ من جملة ٱلظّواهر الصّوتيّة ٱلصّرفيّة ، وما ٱلقواعد ٱلّتي يذكرها ٱلرّضيّ إلّا قواعد صوتيّة صرفيّة وتلك مسألة واضحة عنده ، إذ نجده يربط تغييراتها بكونها قريبة من طرف ٱلكلمة أو كونها وسطاً (عين ٱلكلمة) وهو شرط أدركه من خلال قوله بضعف علّة قلب الواو والياء ٱلمتحرّكتين ٱلمفتوح ماقبلهما ألفاً ، إذ قال :

= = = تعريفها فمنهم من عدّها صوتاً مركباً ومنهم من عدّها مجرد تتابع صائت ونصف صائت (أو صامت) ينظر : كلام العرب: ٣٢ ــ ٣٨ ، دراسة الصّوت: ٣٠٣ ــ ٣٠٥ ، علم الأصوات العام : ١٤٠ .

(١) ش ش ٢ / ٢١١ ــ ٢١٢ .

(٢) الحقيقة أنّ المتحرّكة تسقط فتتلاقى ٱلحركتان ، وتتحولان إلى صوت ٱلمدّ .

"أَعْلَمْ أَنَّ علّةَ قَلْبِ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ ٱلْمُتَحَرِّكَتَيْنِ ٱلْمَفْتُوحِ مَاقَبْلَهُمَا أَلِفاً لَيْسَتْ فِي غَايَةِ ٱلْمَتَانَةِ لِأَنَّهُمَا قُلِبَتَا أَلِفاً لِلْاسْتِثْقَالِ ... وَلِوَهْنِ هٰذِهِ ٱلْعِلَّةِ لَمْ تُقْلَبْ أَلِفاً إِلَّا إِذَا كَانَا فِي ٱلطَّرَفِ : أَيْ لَامَيْنِ ، أَوْ قَرِيبَيْنِ مِنْهُ : أَيْ عَيْنَيْنِ ، وَلَمْ يُقْلَبَا فَاءَيْنِ نَحْوَ أَوَدَّ وأَيَلَّ " (١) .

ومما يؤكد الصّفة الصرفية اشتراطه في بعض ٱلإعلال كونها على بِنْيَة ٱلْفِعل ، (وسيأتي هذا في أمثله القواعد) والقواعد الصرفية الّتي ذكرها الرضيّ هي :

١ ـ "إِذَا كَانَتْ ٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ ٱلْمُتَحَرِّكَتَانِ ٱلْمَفْتُوحُ مَاقَبْلَهُمَا فِي آخِرِ ٱلْكَلِمَةِ فَإِنَّهُمَا تُقْلَبَانِ أَلِفاً " (٢) ، وذلك في نحو رِباً وَرباً وفتىً وعصاً وبرْدَى ومِبْرىً ، ويذكر أنّ هذه ٱلْقاعدة غير خاضعة لكون الأسم مشابهاً لِلْفِعل (كمافي رِباً ورُباً) أوغير مشابه .

٢ ـ " تُقْلَبُ ٱلْيَاءُ ٱلسَّاكِنَةُ وَاواً إِذَا ٱنْضَمَّ مَاقَبْلَهَا " (٣) نحو مُوقِن وأُوقِن وكُولِل ، قال ٱلرّضي : " وَلَاتُقْلَبُ ٱلضَّمَّةُ لِأَجْلِ ٱلْيَاءِ كَسْرَةً ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ ٱلْيَاءَ بَعِيدَةٌ مِنَ ٱلطَّرَفِ ، فَلا يُطْلَبُ ٱلتَّخْفِيفُ بِتَبْقِيَتِهَا بِحَالٍ بَلْ تُقْلَبُ وَاواً أوياءً إِبْقَاءً عَلَى ٱلضَّمَّةِ ، إِذِ ٱلْحَرَكَاتُ إِذَا غُيِّرَتْ تَغَيَّرَ ٱلْوَزْنُ وَبِإِبْدَالِ ٱلْحَرْفِ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَٱلْإِبْقَاءُ عَلَى ٱلْوَزْنِ أَوْلَى " (٤)

٣ ـ قال الرّضيّ : " أَعْلَمْ أَنَّ ٱلْوَاوَ إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً مُدْغَمَةً وَقَبْلَهَا كَسْرَةٌ ، فَلابُدَّ مِنْ قَلْبِهَا يَاءً ، سَوَاءٌ كَانَتْ فَاءً كَمِيقَاتٍ ، أَوْ عَيْناً نَحْوَ قِيل ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لاماً فَتُقْلَبُ يَاءً وإِنْ تَحَرَّكَتْ كَٱلدَّاعِي ، لِأَنَّ ٱللامَ مَحَلُّ ٱلتَّغْيِيرِ " (٥) ، وقد جاءت في عين مصدر معلّ فعله ، نحو قام قياماً ، وفي عين جمع معلّ واحدُه كدِيم (٦) .

وبعد : فان ماقدّمته من منهجيّة لتناول ظاهرة ٱلْأعتلال يمكن أن تكون موفقة جدًا في ٱلْوقوف على حقيقة ٱلْأمرفي تحوّلات هذه ٱلظّاهرة .

وبإمكان تلك ٱلنّظرة ٱلمقطعيّة إلى هذه ٱلظّاهرة أن تقدّم إلى جانب ماسبق ـ تفسيراً لعزوف هذه ٱلظّاهرة في مجموعة من الالفاظ يتوارد فيها ٱلسّياق الصّوتيّ ذاته الذى

---

(١) ش ش ٣ / ٩٥

(٢) ش ش ٣ / ١٠٠

(٣) ش ش ٣ / ٨٥ .

(٤) ش ش ٣ / ٨٥ ـ ٨٦ .

(٥) ش ش ٣ / ٨٣ ـ ٨٤ وينظر ش ش ٣ / ١٩٣ ـ ١٩٧ .

(٦) ش ش ٣ / ٨٤ وينظر : ش ش ٣ / ٢٠٩ .

يتوارد فيما أُعلّ من نحو : عَوِرَ وَسَوِدَ وحَوِلَ وٱلْجَوَلَانِ وٱلْحَيَدَانِ وغيرها .
حيث يمكننا أنْ نتصوّر أهمية ٱلْحركة ٱلسّابقة لنصف ٱلْمدّ في لْإعتلال إذا نَظرنا إلى مجموعة من الالفاظ غير المعلّة من نحو : ٱلتَّقْوَال والتّسْيار وأَخْيَلَتِ ٱلسَّمَاءُ ، وأَغْيَلَتْ ٱلْمرأةُ وٱسْتَصْوَبَ وٱسْتَرْوَحَ وٱسْتَنْوَقَ ، وغيرها مما ذكره (وهي مجموعة لابأس بها من ٱلألفاظ) ، حيث لاوجود لِلْحركة ٱلسَّابقة قبل نصف ٱلْمدّ ؛ وههنا أطرح تصوّرين لعدم اعتلال هذه ٱلْألفاظ وكلاهما يستند إلى ٱنْعدام هذه ٱلْحركة هُما :

١ـ إنّ صوت ٱلْمدّ ٱلْمركّب ٱلصَّاعد يتمتع بدرجة ٱستقرار (أوقبول) في نظام ٱلْعربيّة ٱلْمقطعيّ أمام صوت ٱلْمدّ المركّب ٱلْهابط (١) .

٢ـ تخلّف ظاهرة ٱلْمُماثلة عن ٱلْعمل بسبب ٱنْعدام ٱلْحركة ٱلسَّابقة ؛ وهذا يُؤكّد قوة ٱلْموقعيّة ٱلّتي تتمتع بها ٱلْحركة ٱلأولى فتميل إلى جذب نصف ٱلْمدِّ نحوها فيتماثل معها ، وأيضاً يؤكد عمق العلاقة بين ٱلْحاجة ٱلْمقطعيّة وظاهرة ٱلْمماثلة إذ إنّ تخلّف ٱلْمماثلة أدّى إلى قبول ٱلنّظام ٱلْمقطعيّ بهذا ٱلتّتابع ٱلْمكروه .

وقد وردت مجموعةٌ أخرى من ٱلْألفاظ مّالم يعلَّ من نحو : ٱلطّوفان،وٱلصّور ى،وٱلطَّيران، والدّوران،والنّوال،والسّيال،وٱلْجَولان،وٱلْحَيَدان،وسبق ذكر ٱلتّقوال،وٱلتّسيار ؛ إذْ هذه الالفاظ ذات تشكيل صوتيّ واحد ، يكاد يكون واحداً بٱتّفاقها جميعاً بالمقطع (ص م ص) في نهايتها،وهو مقطع مكروه في ٱلْعربيّة،فكره أنْ يتتابع مقطعان طويلان عند إعلال هذه ٱلألفاظ ،فكان بقاؤها غير معلّة مناسباً جدّاً .

ويبدولي أنّ ٱلرّضيّ قال بضعف علّة (قلب ٱلواو وٱلياء ٱلمتحركتين ٱلْمفتوح ماقبلهما ٱلفاً) عندما رأى تخلفها في أعلال هذه الالفاظ .

---

(١) صوت المد المركب الصاعد (Rising) اذا كانت ٱلْحركة تالية لنصف المد .
ـ صوت ٱلْمدّ ٱلْمركّب الهابط (Falling) اذا كانت ٱلْحركة سابقة لنصف المدّ ، ينظر : أسس علم ٱللُغة : ٨١ .
ٱلأصوات اللغوية : ١٦١ . في الاصوات اللغوية : ٤٤، علم ٱلأصوات ٱلْعام : ٤٠ ،حاشية ـ ٢ـ ، علم ٱللُغة :١٨٦ ، كلام ٱلْعرب : ٣٧ .

نتائج ٱلفصل ٱلثّاني :

١ـ وضع العناوين المناسبة لاتجاهات الدّراسة الصّوتيّة الّتي قام بها الرّضيّ وتمّ بهذا حصر تلك الدّراسات في ثلاثة اتّجاهات مثّلت مباحث هذا ٱلفصل .
ويتبع هذا ، ٱلتّوزيعُ (ٱلدّقيق ٱلجوانب تلك الدّراسات على ماهو متعارف في الدّرس الصّوتيّ ٱلحديث وقد عملت في هذه العناوين على توظيف الاصطلاحات ٱلّتي قدّمها لنا ٱلرّضيّ (على ماتوصلت اليه في الفصل الاول من مبحث المصطلحات)، وقد رأيتُ في بعضها أصطلاحاً جديداً هو (المماثلة التّناسبيّة) تعبيراً عن المماثلة الحاصلة في (ستّ ومحُّم (التميمية) .

٢ـ وضع معالم النظرية الصّوتيّة عند ٱلرّضيّ ٱلخاصة بإنتاج ٱلأصوات، ومراتب ٱلتّمايز بين ٱلأصوات، والظّواهر ٱلصّوتيّة وٱلمتطلّبات ٱلقطعيّة .

٣ـ الوقوف على ٱلمفهوم الّذي يراه الرضي لصفتي ٱلجهر والهمس وقد رأيت أن تصوّره لهما يتمّ في إطارين: الأوّل ، آليٌّ (أعني ٱلآليّة ٱلمخرجيّة عند ٱلصّفتين)، والآخر : وظيفيّ (في تمايز ٱلأصوات) وكلاهما لاينسجم مع شيء من صفة ٱلجهر وٱلهمس في ٱلعصر ٱلحديث .

٤ـ بالاعتماد على ماتوصلت من مفهوم ٱلجهر وٱلهمس عند الرّضي عرضت رأياً جديداً يفسّر وصف أصوات (الطّاء وٱلقاف وٱلهمزة) بٱلجهر .

٥ـ التّصورات ٱلدّقيقة عند الرّضيّ لِلطّبيعة ٱلمخرجيّة للأصوات: (ٱلجيم وٱلعين، وٱلضّاد) تنفي ٱحتمال توهّمه ، وإنّ ماتوصف به هذه ٱلأصوات في ٱلعصر ٱلحديث جاء نتيجة التّطورات الصّوتيّة .
فقد قدّم لنا (عند وقوفه على مخرج ٱلضّاد) منحىً جديداً في ٱلنّظرة الى ٱلأصوات عموماً وإلى هذا الصّوت خاصّة باعتماده على علم ٱلتّشريح، إذ قام بوصف كامل لِلأسنان مع حافة ٱللِسان .
وكذلك تمثّلت ٱلدّقة في ٱلطّبيعة ٱلمخرجيّة لِلأصوات ٱلشّديدة والرّخوة ومابينهما ، ورأيت هناك أنّ أصطلاح مابين ٱلشّدة والرّخاوة مُلبِس شيئاً ما ورأيت عوضاً عنه أصطلاح (ٱلشّدة ـ ٱلرّخاة) .

وقد برز تكلّف الرّضيّ في جعل أصوات (ٱلواو وٱلياء وٱلألف) في جملة مابين ٱلشّديدة والرخوة ؛
لأنّه قدّم لنا تصوّرات عن هذه ٱلأصوات في مواضع أُخرى ، يقف فيها على خصائصها ٱلفينولوجية بحسب ما بيّنها ٱلدّرس ٱلحديث ،كما إنّه فرّق بين ٱلمدّيّة منها وغير ٱلمدّيّة وقد قدّم لنا معها تصوّراً مهماً لما يعرف بالصّائت المركب ؛ وقد عملتُ في كلّ هذا على إبراز معلوماته إبرازاً واضحاً .

٦ـ تمّ لي دراسة ٱلقلب ٱلمكاني على وفق تصوّر تجاهله معظم اللغويين من درس هذه الظّاهرة،وهذا ٱلتّصور قام على ملاحظة طبيعة خصائص أصوات ٱلكلمة ٱلمقلوبة وٱلمتطلبات ٱلمقطعيّة لِلكلمة المفردة بٱعتبارها ظاهرة صوتيّة صرفيّة ، وتمّ هذا في ظلّ ماقدّمه ٱلرّضيّ في هذه ٱلظّاهرة .

٧ـ عرض تصوّراته عن طبيعة نظام ٱلأداء في ٱلعربيّة ببيان ٱلتّشكيلات الصّوتيّة ٱلمسموح بها في اللغة على وفق نظام ٱلمتحرّك وٱلسّاكن .

وقد عملت على عكس تصوّراته على ٱلمقطعيّة الحديثة ووجدت أنّ ٱلمقاطع ٱلتي يقبل بها ٱلرّضيّ في ٱلعربيّة تنحصر في ٱلمقاطع الأربعة الأوّلى مع كراهة واضحة لِلمقطع ٱلرّابع .

٨ـ قدّمتُ في دراسة ٱلمقطع تسميات رأيتُ أنّها أكثر دلالة على محتوى المقاطع، وأشكالها مستفيداً من ٱلأفكار ٱلسّابقة .

٩ـ لقد عامل ٱلرّضيّ صوت ٱلمدّ ٱلمركّب (فتحة + وْ أو فتحة + يْ) معاملة ٱلأصوات ٱلمدّيّة في ٱلنّظام ٱلمقطعيّ لِلعربيّة كما في خُوَيْصّة ودُوَيْبّة (يعني قبوله هنا ٱلمقطع ٱلخامس) .

١٠ـ إنّ ٱلإطار ٱلذي ينبغي أنْ تُدرَس ظاهرة ٱلإعلال في ضوئه هو ٱلمقطعيّة، وتوظيفها لظاهرة ٱلمماثلة بين نصف ٱلمدّ وٱلحركة .

١١ـ تمّ لي طرح أفكار أُفسّرُ من خلالها تخلّف ٱلمقطعيّة عن اعلال مجموعة من الالفاظ ٱلّتي تتوارد فيها ٱلسّياقات ذاتها في المعلّات ، من خلال قبول ٱلعربيّة ٱلمدّ ٱلمركب ٱلصّاعد وتخلّف ٱلمماثلة بحذف الحركة السّابقة،والهروب من تتابع مقطعيّ مكروه .

١٢ـ قمتُ بعمل جداول لبعض الظواهر ، أخصّ منها ماكان من جداولي ظاهرة الادغام وظاهرة الابدال، وقد ساعدتني هذه على الخروج بنتائج وضعتُها تحت عنوان

ملاحظات حول الظاهرة ؛ وتعدّ من أبرز نتائجها أنّ العربيّة تبرز سلوكاً واضحاً للتّنازل عن صفة الجهر ممّا يعني أنّ هذه الصّفة ليست بتلك الأهميّة في نظام التّمايز العربيّ .

١٣- من خلال وقوفي على فهم الرّضيّ للجهر والهمس برز الإشباع سمة من سمات التّمايز الصّوتي عند الرّضي،فالإشباع في الصّوامت يميّز بين المجهورة والمهموسة، والإشباع في الصّوائت يميّز بين الحركات ومجانساتها من المدّيّة .

١٤- ومن الجدولين الآنفي الذّكر تبيّن أنّ العربية تتساهل فيضياع الصّفة الفضيلة عند تحولاتها هيهنا .

١٥- تنحو العربيّة إلى قلّة واضحة في التّنازل عن صفتي الهمس والشّدة ممايؤدّي إلى القول بدورها الواضح في عمليّة التّمايز عند السّلسلة الكلاميّة (أو الأداء) .

١٦- وجود حالات تجاوزت نصف مجموع ماعدّه الرّضيّ من الإبدال ربّمالاتكون من الإبدال المعتمد على التّقارب المخرجيّ الذّي جعله الرّضيّ المعيار الأساسيّ في القول بالإبدال .

١٧- نصف حالات الإبدال (تقريباً) تعتمد على عدم التّساهل فيضياع النّقطة المخرجيّة، ممّا يعني أنّ ولهذه النّقطة في عمليات التّمايز عند الأداء .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الفصل الثالث

علاقات النظام الصوتي

تمهيد:

المبحث الاول : علاقة النظام الصوتي بالنظام النحوي

المبحث الثاني : علاقة النظام الصوتي بالنظام الصرفي

المبحث الثالث : علاقة الاصوات باللهجات والقراءات القرآنية

التمهيـــــد

يعتقد اللغويون المحدثون أنّ التعامل بين الأنظمة اللغويّة (الصّوتيّ، والصّرفيّ، والنّحويّ) "غيرُ واضحةٍ تماماً ومتشابكة، فأصوات اللغة تتأثّر كثيراً بالصّيغ، أو العكس كذلك صحيح"(١)، وعلى وفق هذا التّصور تمّ بناء منهجيّة لدراسة التّغييرات الّتي وُصف بعضها بأنّه تغيّر صرفيّ - صوتيّ (Morphophonemic) بمعنى أنْ يتضمّن عاملاً صرفيّاً (Morphological) مشروطاً بعامل صوتيّ تشكيليّ (Phonologicacl) ومتى ما ارتبطتْ تلك الظّواهر بمجموعة الكلمات فإنّه يُطلق عليها في العرف الاصطلاحي اسم مشتق من علمي الأصوات التّشكيليّ والنّحو هو (Syntactic Phonology)(٢)؛ وهذا تصوّر منهج النّحو الوصفيّ الّذي يُقيم تحليلاته على أساس ارتباط الظّاهرة بالظّواهر الأُخرى(٣)؛ يقول د. تمّام حسّان (عن منهج النحو): "لا يُمكنُ أنْ تقوم دراسة نحويّة صحيحة دون أنْ يدخل في منهجها علم الأصوات وعلم التّشكيل الصّوتيّ وعلم الصّوت، والباب الّذي لا يُستغنى عنه من علم التّشكيل الصّوتيّ في الدّراسة النّحويّة هو باب الموقعيّة؛ لأنّ النّحو مليئ بالسّلوك الموقعيّ للكلمات، أيْ: إنّ الموقع يتحكّم إلى حدٍّ كبيرٍ بالإعراب"(٤) وهو هنا يأخذ الحركات والمدّ من نتائجه، ويأخذ من نتائجه أيضاً الإعلال، والإبدال، والإدغام، والنقل والحذف(٥).

وعلى وفق ذلك فإنّ النّحو الوصفيّ ركّز اهتمامه على درس الأشكال اللّغوية باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها ووصفها من خلال قوانين العلاقات "(٣)؛ بل إنّ الأمر هنا يتجاوز إلى عدّ الأصوات هي الاساس الّذي تُبنى عليه الدّراسة اللّغويّة بشتّى فروعها، قال بلومفيلد (Bloomfield): "إنّ وصف اللّغة يبتدئ بالفنولوجيا الّتي تحدّد كلّ فونيم، وتقرّر ما التّراكيب الّتي تقع"(٦).

---

(١) أسس علم اللغة: ٤٤

(٢) ينظر: نفسه: ١٠٦-١٠٧.

(٣) النحو العربي والدرس الحديث: ٤٦.

(٤) مناهج البحث في اللغة: ٢٢٨.

(٥) القرائن النحوية: ٣٨.

(٦) خواطر وآراء صرفية: ١١.

وإذا كان ٱلْمنهج ٱلْوصفيّ بشكل عام نتاج العقليّة ٱلّتي تمتّع بها ٱللّغوى ٱلشّهير (دي سوسير)،وكانت فكرة ٱلتّداخل بين ٱلْمستويات إحدى نتائجه ٱلْخاصة ؛ فإنّ من جدّيّة هذه ٱلْفكرة وحصافتها أنْ نجد أحدث وأخطر ٱلْمدارس ٱللّغويّة تنحو بها في منهجها ،وهي ٱلْمدرسة ٱللّغويّة ٱلْأمريكيّة ٱلْمعروفة بمدرسة ٱلنّحو التّوليدي ـ ٱلتّحويليّ بزعامة ٱللّغوى ٱلْمرموق چومسكي (Chomisky) إذْ كوّنت ٱلْقوانين ٱلْمورفيميّة ـ ٱلصّوتيّة (Morphophoemic Rules) أحد أنماط قواعدها ٱلتّحويليّة (١) ، ٱلّتي تحدّد وظيفتها في أنّها " تُعطي لمنتوج القواعد التّحويليّة (أيْ : ٱلتّراكيب السّطحيّة) شكلها ٱلنّهائيّ عن طريق إعطاء كلّ مورفيم شكله ٱلْمحدّد " (٢) ؛ وعلى ٱلْعموم ،فإنّ ٱلْأفكار ٱلسّابقة ماهي إلاّ نتاج طبيعيّ لِلْإزدواجيّة ٱلّتي تقوم عليها البِنية؛فهي عبارة عن أزدواج مورفيميّ ـ ألفوني ، حيثُ بإمكان عدد كبير من ٱلْمورفيمات أنْ تقوم بوظيفتها ٱلدّلاليّة بتركّبها من عناصر صُغرى لادلالة لها إنّما تُستعمل لتميز المرسلة (أعني: ٱلْألفونات (٣)) ، ثُمّ إنّ هذه ٱلْبنى تدخل في أنماط تركيبيّة متعدّدة يقتضيها ٱلتّركيب الجمليّ (ٱلنّظام ٱلنّحوى) لتقوم بوظيفة أخرى إلى جانب وَظيفتها ٱلدّلاليّة ٱلسّابقة (وهي :ٱلدّلالة الوظيفية) حيثُ تُستعمل بعض الألفونات كمميّز لِلْمرسلة ٱلتّركيبيّة .

وقد قامت بعض الدّراسات (٤) ، برصد مواطن تَبَنّى فيها سيبويه هذه ٱلْمنهجيّة ورأتْ : " انّهُ عندما درس ظاهرة نحويّة أو صرفيّة ، وجد أنّ ظاهرة أخرى صوتيّة مرتبطة بها غير منفصلة عنها ،فوصفُ واحدة منهما يستدعي وصف الأخرى ،فوصفهما سيبويه وكأنّهما ظاهرة واحدة وليستا ظاهرتين " (٥) .

" والحقيقة أنّ مردّ هذا إلى أنّ هذه ٱلْمستويات تتداخل بطبيعتها : أيْ إنّ طبيعة النّحو من حيث هو علم متّصلة بعض ٱلْأتّصال بٱلصّرف ، والاثنان معاً يتصلان

---

(١) النّظريّة التّحويليّة و ا للغة العربيّة : ١٩٧ .

(٢) قواعد تحويليّة للغة العربيّة : ٤١

(٣) الألسنية (علم اللغة الحديث):قراءات تمهيديّة : ٤٨ .(التميز ههنا صوتي ابتداء)

(٤) مثل : ٱلْكتاب بين الوَصفيّة والمعياريّة ؟ د . أحمد سليمان الياقوت .

(٥) الكتاب بين الوصفية والمعيارية : ٣٢

(الصحيح : يتصلان) ببعض ٱلجوانب الصّوتيّة ، أو بمعنى آخر إنّ بعض ٱلمسائل ٱلنّحوية لها وجه آخر صوتيّ متّصل بٱلنّحو مترتّب عليه ؛ فٱختلاط ٱلمستويات عند سيبويه ليس ٱختلاطاً مفتعلاً بل إنّه ناتج عن ٱرتباط ٱلظّاهرة ٱلمدروسة بٱلظّواهر ٱلأخرى "(١) .

ولما تقدّم وتكملة لجوانب ٱلدّرس الصّوتي عند الرضي أسعى في هذا الفصل إلى ٱلوقوف على مواطن نَظَريّة وتطبيقيّة تظهر فيها معالم هذه ٱلمنهجيّة في التّعامل مع الظّاهرة اللّغويّة عند ٱلرّضيّ ، ورائدي في هذا ٱعتقاده بفكرة ٱلجزئيّة بين علوم ٱلعربيّة (النّحو والصّرف والصّوت) ؛ فالتّصريف وما يضمّ من ٱلمباحث ٱلصّوتيّة ٱلمختلفة جزء من علم ٱلنّحو ؛ قال الرّضيّ (في مقدمة شرح ٱلشّافيّة) : " وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلتَّصْرِيفَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ ٱلنَّحْوِ بِلَا خِلَافٍ مِن أَهْلِ ٱلصِّنَاعَةِ "(٢) ، كما أنّ فهمه ٱلواضح لأحوال الأبنية في الدّراسة الصّرفيّة (بحسب مصطلح أحوال الأبنية) وآخراجه موضوعات (ٱلوقف والتقاء ٱلسّاكنين في كلمتين والادغام فيهما من هذه الاحوال ، وجعلها لا أبنية ولا أحوال أبنية - كما عرّفي ٱلمصطلح - يدعو إلى ٱلقول بإدراكه التفاعل ٱلمتبادل بين ٱلمستويات ٱللغويّة ٱلمذكورة لأنّ هذا الأخراج ناتج عن ٱرتباطها بٱلتّركيب (النّحو) ، وإذا كان موضوع مخارج ٱلحروف وصفاتها ٱلصّوتيّة وليد ة حاجة رآها سيبويه لتعليل تحولات البنية ٱللغوية ٱلمرتبطة بظاهرة ٱلإدغام(٣) ، فإنّني على ثقة بأنّ هذه ٱلفكرة قد توسّعت عند الرّضيّ لِتشمَل تعليل تحولات البِنْية ٱلأخرى فيما يخصّ تلك ٱلّتي ٱصطلح عليها بٱلمصطلحين السّابقين (أحوال الأبنية ، ولا أبنية ولا أحوال أبنية) ، وقد بدا هذا لي من ٱلرّضي حكماً نظريّاً بخضوع هذه ٱلموضوعات الصّرفيّة لمتطلبات علم

---

(١) الكتاب بين الوصفية والمعيارية : ٣١ .

(٢) ش ش ١/٦ .

(٣) الكتاب : ٤/٤٣٦ ، قال : " وإنّما وصفت لك حروف المعجم بهذه ٱلصّفات لتعرف ما يحسن فيه ٱلإدغام وما يجوز فيه ... "

الأصوات في هذا الجانب (وقد سبق في المصطلح (أحوال الأبنية) أن رأيت مرادفته للمصطلح الحديث التغيير الصرفي الصوتي " Morphophoneme اعتماداً على أفكار الرضي)، وهذا الخضوع من قبل الصرف للأصوات أوضحته إحدى الباحثات بقولها " النظام المسيطر غالباً ، هو النظام الصوتي الذي يفرض وجوده، وملامح مكوناته عند تطبيق قواعد الأنظمة الأخرى وبالذات قواعد النظام الصرفي " (١) .
وقالت أيضاً : " وقد نجد لذلك تفسيراً في تبلور علم الصرفصوتيات ، الذي يهتم بتحليل العوامل الصوتية المؤثرة على التحقيق الفعلي للوحدات الصرفية أو بتعبير آخر يدرس التعديلات الطارئة على الوحدات الصرفية عند الاستخدام في ظل النظام الصوتي لهذه اللغة " (١)

فالبناء ثابت وهو معتبر بالحركات والسكنات قبل الحرف الأخير (على ما يرى الرضي) (٢)، والاحوال هي ما يطرأ على هذا البناء من تغييرات تشمل (الإعلال والإدغام والإبدال والتخفيف والإمالة) .
وأرى أيضاً أن الرضي قد حكم بخضوع علم النحو (التركيب) للمقتضيات الصوتية من خلال اصطلاحه الآخر (لا أبنية ولا أحوال أبنية) لارتباطه بالحرف الاخير من الكلمة حيث تتنازل الكلمة عن دالتها الوظيفية (الحركة الإعرابية) تحت ضغط الرغبة الصوتية ، سواء أكانت الرغبة مقطعية كما في التقاء الساكنين ، أم تخفيفاً كما في الإدغام أم غيرهما كما في الوقف .
وقد جعلت البحث الثالث في علاقة الأصوات باللهجات والقراءات القرآنية ، لأبين موقف الرضي تجاه سلوك الأصوات في أوساط لغوية أدائية متعددة : اللهجات العربية والقراءات القرآنية اللتين تمثلان مرآة للواقع اللغوي السائد في الجزيرة العربية إبان نزول القرآن الكريم .
ويمكنني بعد هذا أن أقف عند طبيعة التغييرات الصوتية التي تميل إليها لهجة ما أو مجموعة من اللهجات دون غيرها ، ويبدو لي أن الاعتماد على الظواهر العامة في ذلك أكثر مناسبة هنا في هذا البحث الوثيق الاتصال بالجغرافية الصوتية .

---

(١) الفعل الماضي مسنداً إلى ضمائر الرفع : ٦٠ .

(٢) ينظر: ش ش ١/٥ .

ٱلْبحث ٱلأوّل
علاقة النّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلنّحـــويّ

١ـ ٱلْحَرَكَاتُ دالة ٱلْمعنى ٱلْوظيفيّ (ٱلطّارئ) :

وهي أبرز متعلقات الموقعية الّتي أشار إليها د . تمّام حسّان في كلامه السابـق ٱلذّكر ، وهو ٱلأمر ٱلّذي لم يغبْ عن تفكير ٱلرّضيّ من خلال ٱشتراطه ٱلتّركيب كإطـــار تتحرك فيه ٱلْحركات لِلقيام بوظيفتها ههنا ، إذْ قال : "ٱلتَّرْكِيبُ شَرْطُ حُصُـــولِ مُوجِبِ ٱلإعْرَابِ " (١) ، وقال أيضاً : " لِأَنَّ ٱلْاَسْمَ يَسْتَحِقُّ ٱلإعْرَابَ بَعْدَ تَرْكِيبِهِ مَعَ عَامِلِـــهِ كَمَا تَقَرَّرَ " (٢) .

وقد بدا لي الرّضيّ هنا أكثر شموليّة من ٱلْمصنّف حينما ٱنتقل من ٱلدّلالات ٱلْجزئيّة ٱلّتي أعطاها لِلْعلامات ٱلإعرابيّة في ٱلْكافية (٣) من نحو ٱلْفاعليّة وٱلْمفعوليّة ... وغيرهـــا إلى دلالات كليّة جامعة لِلْوظائف ٱلنّحوية بقوله بدلالتها على ٱلْعمد وٱلْفضلات معانٍ وظيفيّة (كما سيأتي)، ويذهبُ ٱلرّضيّ إلى أنّ ٱلْمعاني الوظيفيّة ٱلّتي تحوّيها ٱلْعلامات (ٱلْحركات وٱلْحروف ٱلْمدّيّة) معانٍ طارئة على ٱلأسماء، وقد جاءت هذه العلامـــات " لَازِمَة لِلْكَلِمَةِ دَالَّة عَلَى مَعْنَاهَا ٱلطَّارِئِ " (٤) ، فٱلْمعنى ٱلْوظيفي أو ٱلْمعنى ٱلطّارئ هو ٱلْمعنى ٱلتّحليليّ ٱلّذي " لا يُمكن أن يكون معنىً معجميّاً يُلتمس في ٱلْقاموس ٱلْمحيط مثلاً ولا دلاليّاً يتطلّب في دراسات الدّلالة Semantics " (٥) كما يقول د . تمّام حسّان ؛ ويزيد ٱلرّضيّ ٱلأمر وضوحاً بقوله : " وَمِثْلَ هٰذَا ٱلْمَعْنَـــى (يَقْصِدُ ٱلْمعنى ٱلطّارئ على ٱلْكلمة) إِنَّمَا يَكُونُ في ٱلْاَسْمِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي ٱلْكَـــلَامِ لَابُدَّ أَنْ يَعْرِضَ فِيهِ : إِمَّا مَعْنَى كَوْنِهِ عُمْدَةَ ٱلْكَلَامِ ، أَوْ كَوْنِهِ فَضْلَةً فَجُعِلَ عَلَامَتُهُ أَبْعَـــاضَ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ ٱلَّتِي هِيَ أَخَفُّ ٱلْحُرُوفِ أَعْنِي ٱلْحَرَكَاتِ وَجُعِلَتْ فِي بَعْضِ ٱلْأَسْمَاءِ حُـــرُوفَ ٱلْمَـدِّ " (٦) ، ويبدو لي أنّ ٱلرّضيّ في آخر ٱلنّص يَذهبُ إلى أنّ ٱلأساس ٱلْمعتمد فـــي

---

(١) ش ك ١/١٧ ، وينظر: ٱلْمفصّل : ٢٤ ، شرح المفصل : ١/٤٩ .

(٢) ش ك ١/٣٣ .

(٣) ش ك ١/٢٣ (المتن) يبدو أنّ بروز هذه ٱلنّظريّة كان على يد ٱلزّمخشريّ ومن ٱلْممكن جدّاً أنّه ٱستفادها من استعمال محدود جداً لابن جنّي من نحـــو (علم ٱلرّفع) و (علم النّصب) ، ينظر : العلامة الإعرابيّة : ٢٣٦ .

(٤) شك ١/٢٠ .

(٥) القرائن ٱلنّحويّة : ٣٩ .

(٦) شك ١/٢٠ .

إختيار ٱلدّالة أساسٍ صوتيٍّ ونلك بإشارته إلى كون حروف ٱلمدّ أخفّ الحروف ومعها أبعاضها لطبيعة ٱلحال ٱلمشتركة .

قال الرّضي محدّداً دلالات ٱلعلامات الإعرابيّة : " ٱلرَّفْعُ عَلَمُ كَوْنِ ٱلاسْمِ عُمْدَةَ ٱلكَلَامِ ، وَلَا يَكُونُ فِي غَيْرِ ٱلعُمَدِ ، وَٱلنَّصْبُ عَلَمُ ٱلفَضْلَةِ فِي ٱلأَصْلِ ثُمَّ يَدْخُلُ فِي ٱلعُمَدِ تَشْبِيهاً بِٱلفَضَلَاتِ ... أَمَّا ٱلجَرُّ فَعَلَمُ ٱلإِضَافَةِ أَيْ: كَوْنُ ٱلاسْمِ مُضَافاً إِلَيْهِ مَعْنىً وَلَفْظاً " (١)

ويعطي الرّضيّ لِلرفع وٱلنّصب وٱلجر ٱصطلاحاً يَشملُ جميع تلك ٱلعلامات؛ إذ قال : " ٱلرَّفْعُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : ٱلضَّمُّ ، وَٱلأَلِفُ ، وَٱلوَاوُ .. وَٱلنَّصْبُ أَرْبَعَةٌ : ٱلفَتْحُ، وَٱلكَسْرُ ، وَٱلأَلِفُ ، وَٱليَاءُ ... وَٱلجَرُّ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : ٱلكَسْرُ ، وَٱلفَتْحُ ، وَٱليَاءُ .. " (١) .

ويعتمد ٱلرّضيّ في هذا ٱلجمع على أساسٍ صوتيٍّ أيضاً ، وهو طبيعة ٱلتّهيئة ٱلمخرجيّة لِلضّمّ مع حركة ٱلفكّ ٱلأسفل ، يقول ٱلرّضيّ : " وإِنَّمَا قِيلَ لِعَلَمِ ٱلفَاعِلِ رَفْعٌ؛ لِأَنَّكَ إِذَا ضَمَمْتَ ٱلشَّفَتَيْنِ لِإِخْرَاجِ هٰذِهِ ٱلحَرَكَةِ ٱرْتَفَعَتَا عَنْ مَكَانِهِمَا ، فَٱلرَّفْعُ مِنْ لَوَازِمِ مِثْلِ هٰذَا ٱلضَّمِّ وَتَوَابِعِهِ، فَسُمِّيَ حَرَكَةُ ٱلبِنَاءِ ضَمّاً وَحَرَكَةُ ٱلإِعْرَابِ رَفْعاً ؛ لِأَنَّ دَلَالَةَ ٱلحَرَكَةِ عَلَى ٱلمَعْنَى تَابِعَةٌ لِثُبُوتِ نَفْسِ ٱلحَرَكَةِ أَوَّلاً ؛ وَكَذٰلِكَ نَصْبُ ٱلفَمِ تَابِعٌ لِفَتْحِهِ كَأَنَّ ٱلفَمَ كَانَ شَيْئاً سَاقِطاً ، فَنَصَبْتَهُ ، أَيْ : أَقَمْتَهُ بِفَتْحِكَ إِيَّاهُ ؛ فَسُمِّيَ حَرَكَةُ ٱلبِنَاءِ ، فَتْحاً ، وَحَرَكَةُ ٱلإِعْرَابِ نَصْباً، وَأَمَّا جَرُّ ٱلفَكِّ ٱلأَسْفَلِ ، وَخَفْضِهِ، فَهُوَ كَكَسْرِ ٱلشَّيْءِ ، إذا (خطأ : الالف زائدة) ٱلمَكْسُورُ يَسْقُطُ وَيَهْوِي إِلَى أَسْفَل فَسُمِّيَ حَرَكَةُ ٱلإِعْرَابِ جَرّاً وَخَفْضاً ، وَحَرَكَةُ ٱلبِنَاءِ كَسْراً ؛ لِأَنَّ ٱلأَوَّلَيْنِ أَوْضَحُ ، وَأَظْهَرُ مِنَ ٱلمَعْنَى ٱلمَقْصُودِ مِنْ صُورَةِ ٱلفَمِ مِنَ ٱلثَّالِثِ " (٢) ويُشير الرّضيّ إلى وجود ٱلعلامات ٱلسّابقة في بعض ٱلكلمات لكنّها لاتعطي دلالة وظيفيّة؛ وذلك عندما تكون تلك ٱلكلمات غير خاضعة لنظام ٱلتّصرف ٱلإعرابيّ ، أي : عند ٱلبناء، حيث قالَ : " وَمِنَ ٱلضَّمِّ وَٱلرَّفْعِ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهٍ أَمَّا كَوْنُ الرّفع أَعَمَّ فَلِوُقُوعِهِ عَلَى ٱلضَّمِّ ، وَٱلأَلِفِ وَٱلوَاوِ ، وَأَمَّا كَوْنُهُ أَخَصَّ فَلِأَنَّ ٱلضَّمَّ قَدْ يَكُونُ عَلَمَ ٱلعُمْدَةِ كَمَا فِي (جَاءَ ٱلرَّجُلُ) ، وَقَدْ لَا يَكُونُ كَمَا فِي حَيْثُ ، وَكَذَا ٱلكَلَامُ فِي ٱلنَّصْبِ وَٱلجَرِّ " (٢) .

وٱلرّضيّ لايقدم هذه ٱلنّظريّة بديلاً عن نظريّة ٱلعامل بل إنّ ٱلإعراب لمّا كان (على حدّ تعبير بعض ٱلباحثين) علامة على ٱلمعاني ٱلنّحويّة وقرينة تميّز بعضها عن بعض

---

(١) ش ك ١ / ٢٤ .

(٢) ش ك ١ / ٢٤ .

وترجعه إلى ٱلْمحور الّذي تنتمي إليه ؛ فإنّ ذلك قد يبدو منافياً لإعتبارهم ٱلْعوامل سبباً للإعراب ، إلّا أنّ اعتمادهم ٱلْعامل لا ينجرّ عنه ثنائيّة في تعليل الإعراب ؛ إذْ ليس العامل في نظرهم سوى ما به يتقوّم ٱلْمعنى " (١) .

ويقصر الرّضيّ هذه ٱلدّلالات على طائفة خاصّة من ٱلْكلمات إذ لا تصلح لغيرها، وتلك ٱلطّائفة هي ٱلْأسماء ، قال ٱلرّضيّ : "وَمَحَلُّ هٰذَا ٱلْمَعْنَى إِنَّمَا يَكُونُ فِي ٱلْاسْمِ ، لِأَنَّهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي ٱلْكَلَامِ لَابُدَّ أَنْ يَعْرِضَ فِيهِ مَعْنَى كَوْنِهِ عُمْدَةَ ٱلْكَلَامِ أَوْكَوْنِهِ فَضْلَةً " (٢) ، وَٱلْحركات عند ٱلرّضيّ لمّا كانت أخفّ من حروف ٱلْمدّ، فهي لأجل هذا " ٱلْأَصْلُ فِي ٱلْإِعْرَابِ " (٣) ، ومثلما اعتمد علاقة ٱلتّبعيض بينهما للوقوف على وظيفتهما ٱلْقطعيّة ؛ فإنّه يعتمد هذا ٱلْمبدأ ٱلصّوتيّ في تعليل إنابة حروف ٱلْمدّ عن ٱلْحركات في ٱلْعمل كمميّزات نحويّة للمعاني ٱلّتي يمكن أنْ تجمع بها بعض ٱلْبنى ٱلْخاصّة من نحو ٱلْأسماء ٱلسّتّة وٱلْمثنى وٱلْجمع ٱلْمذكر ٱلسّالم .

ويحاول الرّضيّ أنْ يربط بين ٱلْحركات ومميّزاتها ربطاً صوتيّاً، فيعطي أقوى ٱلْحركات للأهمّ في تكوين ٱلْجمل وهي ٱلْعمد ، وأمّا في ٱلْبقيّة فيعتمد على مبدأ ٱلتّطريز أو ٱلتّغاير ٱلصّوتيّ ، يقول ٱلرّضيّ : " جُعِلَ ٱلرَّفْعُ ٱلَّذِي هُوَ أَقْوَى ٱلْحَرَكَاتِ لِلْعُمَدِ ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : ٱلْفَاعِلُ وَٱلْمُبْتَدَأُ وَٱلْخَبَرُ ؛ وَجُعِلَ ٱلنَّصْبُ لِلْفَضَلَاتِ سَوَاءٌ أَقْتَضَاهَا جُزْءُ ٱلْكَلَامِ بِلَا وَاسِطَةٍ كَغَيْرِ ٱلْمَفْعُولِ مَعَهُ مِنَ ٱلْمَفَاعِيلِ وَكَٱلْحَالِ وَٱلتَّمْيِيزِ أَوِ ٱقْتَضَاهَا بِوَاسِطَةِ حَرْفٍ كَٱلْمَفْعُولِ مَعَهُ وَٱلْمُسْتَثْنَى غَيْرِ ٱلْمُفَرَّغِ وَٱلْأَسْمَاءِ ٱلَّتِي تَلِي حُرُوفَ ٱلْإِضَافَةِ أَعْنِي حُرُوفَ ٱلْجَرِّ ... ثُمَّ أُرِيدَ أَنْ يُمَيَّزَ بِعَلَامَةٍ مَا هُوَ فَضْلَةٌ بِوَاسِطَةِ حَرْفٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنَ ٱلْحَرَكَاتِ غَيْرُ ٱلْكَسْرِ ؛ فَمُيِّزَ بِهِ مَعَ كَوْنِهِ مَنْصُوبَ ٱلْمَحَلِّ ، لِأَنَّهُ فَضْلَةٌ " (٤) .

ومن هنا يبدو هذا ٱلرّبط الصّوتيّ محمّلاً ببعض ٱلْمعايير والقيم ٱلْاجتماعيّة .

ويبدو الرّضيّ في ٱلْقسم الاخير من النّصّ وكأنّه يقدّم لنا ٱلْمفهوم ٱلْحديث للمميّز ٱلنّحويّ (٥) ، إذ ارتقى بهذا ٱلْمفهوم إلى استخدام ٱلْألفاظ ٱلْاصطلاحيّة الخاصّة كما في قوله : " ثُمَّ أُرِيدَ أَنْ يُمَيَّزَ " و " فَمُيِّزَ بِهِ " .

---

(١) النّظريّة ٱللّسانيّة والشّعريّة : ٣٢ (بتصرف) .

(٢) ش ك ١ / ٢٠ .

(٣) ش ك ١ / ٢٦ ، (بحكم علاقة التّبعيض بينهما ، ينظر : صفة المدّ في ٱلْفصل الثّاني) .

(٤) ش ك ١ / ٢٠ .

(٥) في : الألسنية العربية : ٢ / ١٢ ، ٱلْمميّز النّحويّ : إشارة شكليّة تحدّد بالدّليل المادّيّ الحسّيّ العلاقات ٱلنّحويّة ، وفي : ٢ / ١٣ : " فالمميّز النّحويّ : رمز في غاية الإيجاز يحول دون اختلاط المعاني ويمنع الالتباس ويصنف المفردة المضبوطة بالحركة في باب من أبواب النّحو " .

ومن مظاهر علميّة هذه الأفكار ما نجده في الدّرس الحديث من ميلٍ واضحٍ إليها حتّى أنّ بعضهم إدّعاها لنفسه مع أنّ شرح الكافية كان أحد مصادر بحثه (١)، الّذي قدّم فيه نظريته، ولم يستطع أن ينتظر إلى ما بعد المقدمة لعرضها إذ يقول: " لقد أطلتُ تتبع الكلام، أبحث عن معانٍ لهذه العلامات الإعرابيّة، ولقد هداني اللّهُ ـ وله خالص الإخيات والشّكر ـ إلى شيء أراهُ قريباً وأبادر اليك الآنَ بتلخيصه: (١) إنّ الرّفع علمُ الإسناد ... (٢) إنّ الجرعلمُ الإضافة ... (٣) إنّ الفتحةَ ليست بعلم على إعراب، ولكنّها الحركة الخفيفة المستحبَّةُ، الّتي يُحبُّ العرب أنْ يختموا بها كلماتِهم ... (٤) إنّ علامات الإعراب في الإسم لاتخرجُ عن هذا ... (٢)

ومع كلّ هذا الجدّ والإجتهاد، فإنّه لا يتعدّى ما أتى به الزّمخشريّ وتبعه فيه ابنُ الحاجب وما أتى به الرّضيّ الّذي عمل على توسعة أفكارهما وانْضاجها بشكل واضحٍ لتشمل أقسام الكلام العامّة (العمد والفضلات) الّتي لمْ يشمل بعضها عمل إبراهيم مصطفى، فهو لم يضع في اعتباره ما يدل به على الخبر، وأسقط دلالة النّصب، لقوله: " إنّ الفتحة ليست بعلم على إعراب " مع أنّ طبيعة العمليّة الاستقرائيّة لاتعارض كون الفتحة علامة على شيءٍ محدّد، يعضّده ارتباط هذه الحركة بأبواب معيّنة مِن أبواب الدّراسة النّحويّة، فيمكن أنْ يكون بحسب ألفاظ (إحياء النّحو) النّصب علم لِمَا ليس بإسنادٍ ولا مضافاً إليه.

ولا يفوتني أنْ أذكر تفرقة الرّضي لِمَا يحدث هنا من تغيير في أحرف العلّة وما يحدث عند الإعلال، إذ يقول: " قَوْلُهُ: (لِلتَّخفيف)، احْتِرَازٌ عَنْ تَغْيِيرِ حَرْفِ الْعِلَّةِ فِي الأَسْمَاءِ السِّتَّةِ نَحْوَ: أبُوكَ وَأَبَاكَ وَأَبِيكَ، وِفِي الْمُثَنَّى وَجَمْعِ السَّلامَةِ الْمُذَكَّرِ نحو مُسْلِمَانِ، وَمُسْلِمَيْنِ، وَمُسْلِمُونَ وَمُسْلِمِينَ، فَإنَّ ذَلِكَ لِلإعْرَابِ لا لِلتَّخْفِيفِ " (٣).

---

(١) وهو د. إبراهيم مصطفى في كتابه: إحياء النّحو، وقد ذكر شرح الكافية في (حاشية ص ٧٣، ١٧٤).

(٢) إحياء النّحو: المقدّمة: (و ـ ز)، وقد تبعه في هذا تلميذه، د. مهدي المخزوميّ في النّحو العربيّ: ٦٧ وما بعدها، وينظر: العربيّة وعلم اللغة البنيوي: ٦٥ ـ ٦٦، والعلامة الإعرابيّة: ١٤٤ وما بعدها.

(٣) ش ش ٣/ ٦٧.

فالتّغيير الصّوتيّ هنا يعد مقتضى من مقتضيات ٱلنّظام النّحوي، أمّا في ٱلإعلال فهو مقتضى النّظام المقطعيّ (أو التّخفيف) كما بيّنتُ في ٱلإتّجاه ٱلثّالث من ٱلفصل الثّاني .

٢ـ ٱلتّنوين علامة ٱلتّمام النّحوي : ٱلتّنوين إحدى ثاني أهمّ الظّواهر ٱلصّوتيّة ٱلموقعيّة ٱلّتي تحدث في مستوى ٱلتّركيب ٱلجمليّ ، يتمّ فيها توظيف صوت ٱلنّون للعمل مميّزاً نحويّاً ؛ ومن ٱلمتعارف في ٱلدّرس ٱلنّحويّ ٱلعربيّ أنّ أبرز وظائفه أنّه يعمل على حصر ٱلكلمات ٱلّتي يلتحق بها في ٱلاسميّة ، وتذكر كتب النّحو دلالات أخرى لهذا ٱلمميّز وهي : (١)

١ـ دلالة ٱلتّنكير ،

٢ـ دلالة ٱلتّمكّن ،

٣ـ دلالة ٱلتّعويض عن ٱلمضاف ،

٤ـ وعندما يلحق جمع ٱلإناث فهو للمقابلة مع ٱلنّون في جمع السّلامة ٱلمذكر (وسيأتي رأي الرّضيّ : إنّ هذه ليست من الدّلالات) .

وأقدّم تصوّر الرّضيّ لطبيعة عمل هذا ٱلمميّز على ٱلشّكل ٱلآتي :ـ

آـ إنّ لِلتّنوين دلالة عامّة يشترك فيها مع نوني ٱلتّثنية وٱلجمع ، وهي دلالة ٱلتّمام النّحوي ، قال الرّضيّ : " ... فَٱلنّونُ فِي جَمْعِ ٱلْمُذَكرِ قَائِمٌ مَقَامَ ٱلتّنوينِ ٱلّتِي فِي ٱلْوَاحِدِ فِي ٱلْمَعْنَى ٱلْجَامِعِ لِأَقْسَامِ ٱلتّنْوِينِ فَقَطْ ، وَهُوَ كَوْنُهُ علامَةَ تَمَامِ ٱلْاَسْمِ " (٢)، ويحدّد الرّضيّ في موضع بعيد ما يقصده من علامة تمام الاسم بأنّه تمام نحويّ حين يقول : " وَمَعْنَى تَمَامِ ٱلْاَسْمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَالَةٍ لَا يُمْكِنُ إِضَافَتُهُ مَعَهَا ، وَٱلْإِسْمُ مُسْتَحِيلُ ٱلإِضَافَةِ مَعَ ٱلتّنوِينِ وَنُونَيْ ٱلتّثْنِيَةِ وَٱلْجَمْعِ وَمَعَ ٱلْإِضَافَةِ ، لِأَنّ ٱلْمُضَافَ لَا يُضَافُ ثَانِيَةً " (٣) ؛ فَالتّنوين يشير إلى تمكّن ٱلكلمةَ في وَظيفتها ٱلنّحويّة وغير مفتقرة فيها إلى مابعدها ؛ ولهذا فٱلاسم مع ٱلتّنوين مستحيل ٱلإضافة ، لأنّ ٱلإضافة إنّما تكون مع ٱفتقار ٱلاسم ؛ فإذا ٱنتفى هذا ٱلافتقار ٱنتفت ٱلإضافة .

---

(١) ينظر : شرح المفصل : ٩/ ٢٩ـ ٣٤ ، المقتضب : ١/ ١٧ـ ٢٠ .

(٢) ش ك ١/ ١٤ .

(٣) ش ك ١/ ٢١٨ . يبدو أنّ د. غالب المطلبي كان سبّاقاً الى عرض فكرة التمام النحوي عند علماء العربية ، وقد ذكر أسبقية سيبويه الى هذه الفكرة . ينظر بحثه : ظاهرة التنوين في العربية الأصول والوظيفة ، مجلة كلية التربية / الجامعة المستنصرية ، ٤/ ١٩٩٥ .

وقد عبّر عن هذه ٱلْفكرة في شرح الشّافية بقوله في ٱلْوقف : " وَٱلتَّنْوِينُ كَحَرْفِ ٱلْكَلِمَةِ ٱلأَخِيرِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا عَلَى حَرْفٍ سَاكِنٍ مُفِيدٍ لِلْمَعْنَى فِي ٱلْكَلِمَةِ ٱلْمَتْلُوَّةِ " (١)

ب ـ ٱلدّلالات ٱلْجزئيّة لِلتّنوين : ويقدّمها ٱلرّضيّ على وفق التّصوّر الآتي :ـ

" وَأَمَّا ٱلتَّنْوِينُ فَٱخْتَصَّ مِنْ جُمْلَةِ أَقْسَامِهَا ٱلْخَمْسَةِ بِٱلاسْمِ مَالَيْسَ لِلتَّرَنُّمِ ، فَهِيَ إِذَنْ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ : أَحَدُهَا لِلتَّنْكِيرِ نَحْوَ : صَهٍ وَمَهٍ وَدَجٍ ، وسِيبَوَيْهٍ ، قِيلَ : وَيَخْتَصُّ بِٱلصَّوْتِ، وَٱسْمِ ٱلْفِعْلِ ، أَمَّا ٱلتَّنْوِينُ فِي نَحْوِ : رُبَّ أَحْمَدٍ وَإِبْراهِيمٍ، فَلَيْسَ يَتَمَحَّضُ لِلتَّنْكِيرِ ، بَلْ هُوَ لِلتَّمَكُّنِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّ ٱلاسْمَ يَنْصَرِفُ ، وَأَنَا لاأَرَى مَنْعاً مِنْ أَنْ يَكُونَ تَنْوِينٌ وَاحِدٌ لِلتَّمَكُّنِ وٱلتَّنْكِيرِ مَعاً ، فَرُبَّ حَرْفٍ يُفِيدُ فائِدَتَيْنِ كَٱلأَلِفِ وٱلْوَاوِ فِي مُسْلِمَانِ وَمُسْلِمُونَ ؛ فَنَقُولُ : ٱلتَّنْوِينُ فِي رَجُلٍ يُفِيدُ ٱلتَّنْكِيرَ أَيْضاً ، فَإِذَا سَمَّيْتَ بِٱلاسْمِ تَمَحَّضْتَ لِلتَّمَكُّنِ ؛ وَإِنَّمَا ٱخْتَصَّ تَنْوِينُ ٱلتَّنْكِيرِ بِٱلأَسْمَاءِ لِمِثْلِ مَاذَكَرْنَا فِي لَامِ ٱلتَّعْرِيفِ ،

وَثَانِيهَا لِلتَّمَكُّنِ ، وَمَعْنَاهُ كَوْنُ ٱلاسْمِ مُعْرَباً ، فَلَايُمَكَّنُ إِلَّافِي ٱلاسْمِ ... وَإِنَّمَا حُذِفَتْ عَلَامَةُ ٱلإِعْرَابِ مِنْ غَيْرِ ٱلْمُنْصَرِفِ مَعَ كَوْنِهِ مُعْرَباً ؛ لِمُشَابَهَتِهِ لِلْفِعْلِ ٱلَّذِي أَصْلُهُ ٱلْبِنَاءُ ،

وَثَالِثُهَا لِلتَّعْوِيضِ عَنِ ٱلْمُضَافِ إِلَيْهِ كَحِينَئِذٍ ، وَمَرَرْتُ بِكُلٍّ قَائِماً ؛ وَسَيَجِيءُ أَنَّ ٱلْمُضَافَ لَايَكُونُ إِلَّا ٱسْماً ،

وَرَابِعُهَا لِمُقَابَلَةِ نُونِ جَمْعِ ٱلْمُذَكَّرِ ٱلسَّالِمِ فِي جَمْعِ ٱلْمُؤَنَّثِ ٱلسَّالِمِ نَحْوَ مُسْلِمَاتٍ عَلَى ٱلأَعْرَفِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَلَامَعْنَى لَهُ إِلَّافِي ٱلاسْمِ ؛ وَإِنَّمَا قَالُوا : إِنَّهُ تَنْوِينُ مُقَابَلَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ لِلتَّمَكُّنِ لَمْ تَثْبُتْ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (مِنْ عَرَفَاتٍ) (البقرة ـ ١٩٨) وَلَوْ كَانَتْ لِلتَّنْكِيرِ لَمْ تَثْبُتْ فِي ٱلأَعْلَامِ، وَلَيْسَتْ عِوَضاً عَنِ ٱلْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَلَا لِلتَّرَنُّمِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّاأَنْ يُقَالَ هِيَ فِي جَمْعِ ٱلْمُؤَنَّثِ فِي مُقَابَلَةِ ٱلنُّونِ فِي جَمْعِ ٱلْمُذَكَّرِ ؛ لِأَنَّ هٰذَا مَعْنًى مُنَاسِبٌ أَلَا تَرَى إِلَى جَعْلِهِمْ نَصْبَ هٰذَا ٱلْجَمْعِ تَابِعاً لِلْجَرِّ كَمَافِي جَمْعِ ٱلْمُذَكَّرِ ". (٢)

وٱلْمهم من هذه ٱلدّلالات دلالتا ٱلتّنكير وٱلتّمكّن؛ إذ لهما مقدار غير قليل من ٱلْجدّيّة ٱلْمنهجيّة، وقد جلبتا ٱنتباه ٱلْمحدثين ممّن توقّف عند هذه ٱلظّاهرة (٣)

---

(١) ش ش ٢ / ٢٧٤.

(٢) ش ك ١ / ١٣ ـ ١٤.

(٣) ينظر : احياء النحو : ١٦٥.

وقد بَدا أمرهما مع ٱلرّضيّ مثل ذلك فقد توقف عندها وأشار إلى خاصّيّة مهمّة فيهما هي أنّه يُمكن أنْ يُجمع التّنوين هاتين الدّلالتين في السّياق نفسه فلا مانع بـرأي ٱلرّضيّ من أنْ يكون تنوين واحد ذا دلالتين ويؤكد نظرته هذه في غير ٱلموضع ٱلمذكور سابقاً فيقولُ : " ٱلتّنْوِينُ فِي كُلِّ ٱسْمٍ مُتَمَكِّنٍ غَيْرِ عَلَمٍ يُفِيدُ ٱلتَّمَكُّنَ وَٱلتَّنْكِيرَ مَعاً "(١) فإلى كون ٱلاسم متمتّعاً بخاصّية التّصرف الإعرابيّ يَدُلُّ ٱلتّنوين على كونه نكـرة أي : شَياعَهِ في أمّته وكَوْنَهُ بعضاً مَجْهُولاً مِنْ جملة .

أمّا في جمع ٱلإناث فإنّ ٱلرّضيّ يرى فيه رأياً آخر غيرَ ماتعارفَ عليه السّابقون إذْ يقولُ في (تنوين عرفاتٍ) : " وٱلْأَوْلَى عِنْدِي أَنْ يُقَالَ : إِنّ ٱلتَّنْوِينَ لِلصَّرْفِ وَٱلتَّمَكُّنِ "(٢) ، فالاسم مستمر في قسم ٱلإسْمية على ٱلمستفاد من دلالة الصّرف(٣) ، وكذلك فٱلاسم يمتلك ٱلخاصّية الإعرابية .

٣ـ حَالَةُ ٱلْوَقْـفِ : ٱلعلاقة بين ٱلوقف وٱلنّحو وطيدةٌ جداً ، وقد ربطه ٱلرّضيّ ربطاً واضحاً بالنّحو عندما أخرجه من أنْ يكون من الأبنية أو من أحوالها ، فقد جعله مع قسمي ٱلإدغام وٱلتقاء ٱلسّاكنين ممّا كان بين كلمتين ، فيما أُصطلح عليه بـ (لاأبنية وَلاَ أحوال أبنية) (كما في ٱلمصطلحات) ، ممّا يعني الربط الواضح مع مستوى ٱلتّركيب ٱلجمليّ .

ولابُدّ لي أنْ أعرض لمفهوم ٱلرّضيّ من ٱلوقف ٱلّذي ٱختلف فيه مع ٱبن ٱلحاجب ، حيث يقول ٱلرّضيّ عن ٱلوقف : " ٱلسُّكُوتُ عَلَى آخِرِ ٱلْكَلِمَةِ مُخْتَاراً لِتَمَامِ ٱلْكَلامِ "(٤) بينما يقولُ ٱبنُ ٱلحاجب : " ٱلوَقْفُ قَطْعُ ٱلْكَلِمَةِ عَمَّا بَعْدَهَا "(٥) ، ويعني ذلك أنّ ٱلرّضيّ يرتكز في تعريفه على تمام ٱلتّركيب ، وذلك يعني أكثر ٱلتصاقاً بٱلجانب ٱلنّحويّ من كلام ٱبن ٱلحاجب ٱلّذي كما يقول ٱلرّضيّ : " يُوْهِمُ أَنَّـهُ لَايَكُونُ ٱلْوَقْفُ عَلَى كَلِمَةٍ إِلَّا وَبَعْدَهَا شَيْءٌ "(٥) ، وذلك يعني أكثر ٱعتباراً لجانب ٱلبِنية منه لجانب ٱلتَّركيب .

---

(١) ش ك ٢/١٢٩ .
(٢) ش ك ١/١٤ .
(٣) وهو ٱستعمال سيبويه كما فهم في: نشأة النّحو ٱلعربيّ : ١٣٠ .
(٤) ش ش ٢/٢٧١ .
(٥) الشّافية : ٢٣٣ .

ويقرر ٱلرّضيّ أنّ هذه ٱلحالة (أي : حالة ٱلوقف) ذات تأثيرات سلبيّة في ٱلصّوت ٱلأخير وحركته بما تسبّب من خلل بالدّلالة ٱلنّحويّة لعمل ٱلمميّزات النّحويّة (ٱلحركات والتّنوين)وذلك؛ لأنّ ٱلوقف يكونُ موضع ٱلإستراحة وتؤدّي مشارفة هذه ٱلإستراحة إلى إضعافٍ واضح في إخراج ٱلصّوت ٱلأخير في ٱلسّلسلة ٱلصّوتيّة وقد عَدَّ ٱلرّضيّ حالة ٱلوقف إحدى مواضع التّغييرات ٱلصّوتيّة؛ لأجل ذلك، ورأى أيضاً أنّ ٱلأواخر هي ٱلمحل ٱلّذي يظهر فيه ٱلتّخفيف (١) .

وما يتصوّره ٱلرّضيّ لهذه ٱلحالة قد وافقه عليه ٱلمحدثون عند ملاحظاتهم لمظاهر ٱلتّطورات ٱلصّوتيّة بمختلف أبعادها ؛ من ذلك ما رآه نولدكه (٢)، من أنّ ظاهرة ٱلوقف قد عجّلت بٱلتّغيير ٱلصّوتيّ ٱلّذي سمح بضياع ظاهرة ٱلإعراب ؛ لِأَنَّ هذه ٱلنّهايات ٱلإعرابيّة تسقط بحسب ٱلإستعمال ٱللغوي ٱلكلاسيكيّ حينما تكون واقعة في آخر ٱلكلمة . ويوافقه على ذلك أيْضاً فَنْدريس (٣) ؛ إذْ يَرى أنّ هذه ٱلظّاهرة مظهر من مظاهر ٱلبلى ٱلصّوتيّ ٱلّذي يعمل على ٱختزال طول ٱلكلمة وهدم ٱلإعراب . وإذا كان ٱلإسْتحباب ٱلمقطعيّ عند ٱلعرب قد سعى إلى جعل ٱلإسكان مظهراً بارزاً من مظاهر ٱلوقف ؟ فإنّه قد برزت إلى جنب هذا ٱلمظهر مظاهر أخرى يتجلّى فيها بوضوح ٱلميل نحو ٱلحفاظ على ٱلحركة ٱلإعرابيّة حرصاً على بيان ٱلمعنى ٱلوَظيفيّ للكلمة . وتلك ٱلمظاهر هي: ٱلرّومُ وٱلإشْمَامُ والتّضعيف (٤) . قال ٱلرّضيّ : " ٱعْلَمْ: أَنَّ ٱلْمَقْصُودَ بِٱلرَّوْمِ وَٱلإشْمَامِ وَالتَّضْعِيفِ ثَلاثَتِها شَيءٌ وَاحِدٌ . وَهُوَ بَيَانُ أَنَّ ٱلحَرْفَ ٱلْمَوْقُوفَ عَلَيْهِ كَانَ مُتَحَرِّكاً فِي ٱلوَصْلِ بِحَرَكَةٍ إعْرَابِيّةٍ أَوْ بِنَائِيَّةٍ، فَٱلّذِي أَشَمَّ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِهَيْئَةِ ٱلْحَرَكَةِ وَٱلّذِي رَامَ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِصُوَيْتٍ ضَعِيفٍ ، فَهُوَ أَقْوَى فِي ٱلتَّنْبِيهِ عَلَى تَحَرُّكِ ٱلْحَرْفِ مِنَ ٱلإشْمَامِ . وَٱلّذِي ضَعَّفَ؛ فَهُوَ أقوى تَبْيِيناً لِتَحَرُّكِ ٱلْحَرْفِ فِي ٱلْوَصْلِ مِمَّنْ رَامَ ؛ لِأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِٱلْحَرْفِ ، وَذَلِكَ بِبَعْضِ ٱلْحَرَكَةِ . وَإِنَّمَا قُلْنَا : إِنَّهُ نَبَّهَ بِتَضْعِيفِ ٱلْحَرْفِ عَلَى كَوْنِهِ مُتَحَرِّكاً فِي ٱلْوَصْلِ ؛ لِأَنَّ

---

(١) ينظر: ش ش ٢ / ٢٧٤ ، ٣ / ١٧٤ ، وينظر: سرّ الصّناعة : ١٧٦/١ .

(٢) اللغات ٱلسّاميّة: ٨٠ .

(٤) في (أوجه الوقف)، ينظر: شرح المفصل : ٦٧/٩ .

(٣) اللغة : ٤٢٣ .

ٱلْحَرْفَ ٱلْمُضَعَّفَ فِي ٱلْوَصْلِ لَايَكُونُ إِلَّا مُتَحَرِّكاً ، إِذْ لَايُجْمَعُ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ " (١).
ويبدو أنّ تدخل ٱلْمتطلبات التّعليميّة كان له أثر واضح على مايبدو في حالة الـروم والْإشمام، وهذه ٱلظّاهرة مختلفة ٱلْإتّجاهات، فبعضها ٱتّجه إلى حركة ٱلْأخير، وبعضها الآخر ٱتّجه إلى ٱلْحرف نفسه .

وأرى أنّ ٱلرّضيّ يدعو في ٱلْحكم على قوّة هذه ٱلْمظاهر إلى ٱلْإعتماد على ٱلْمعيار ٱلصّحيح ألا وهو مدى تعلّقه ببيان ٱلْحركة عند ماأتبع ٱلنّصّ ٱلسّابق بقوله :
" هَذَا مَاقِيلَ ، وَٱلَّذِي أَرَى أَنَّ ٱلرَّوْمَ أَشَدُّ تَبْيِيناً ، لِأَنَّ ٱلتَّضْعِيفَ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مُطْلَقِ ٱلْحَرَكَةِ ، وَبِٱلرَّوْمِ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ وَخُصُوصِهَا ، وَأَيْضاً ، فَإِنَّ ٱلرَّوْمَ ـ ٱلَّذِي هُوَ بَعْضُ ٱلْحَرَكَةِ ـ أَدَلُّ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ مِنَ ٱلتَّضْعِيفِ ٱلَّذِي يُلَازِمُ ٱلْحَرَكَةَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ ، أَيْ: فِي حَالِ ٱلْوَصْلِ دُونَ حَالِ ٱلْوَقْفِ " (٢).

فٱلرّوم بدلالته على ٱلْحركة ٱلْخاصّة يكون أكثر بياناً أوقوّة في معرفة الوظيفة النّحويّة لِلْكلمة ٱلْموقوف عليها مِنَ التّضعيف ٱلّذي يُعطي دلالة تحرّك ٱلْحرف ليس إلّا ، وهو رأيٌ أكثرُ دقةً من ٱلرّأي ٱلسّابق الّذي نظر إلى مقدار ٱلْجهد ٱلْمبذول في كلّ حالة من هذه ٱلْمظاهر ٱلْوقفيّة (٣) ، ويبدو لي أنّ كلا ٱلرّأيين قد بيّن ماقاله ٱلرّضيّ في تردّد هذه ٱلْمظاهر عند الاستعمال، فكان ٱلْأثقل وٱلْأقلّ دلالة على ٱلْحركة أقلّ ٱستعمالاً من ٱلْباقيين ، يقول ٱلرّضيّ : " وَٱلتَّضْعِيفُ أَقَلُّ ٱسْتِعْمَالاً مِنَ الرَّوْمِ وَٱلْإِشْمَامِ، لِأَنَّهُ إِتْيَانٌ بِٱلْحَرْفِ فِي مَوْضِعٍ يُحْذَفُ فِيهِ ٱلحركة ، فَهُوَ تَثْقِيلٌ فِي مَوْضِعِ ٱلتَّخْفِيفِ " (*) .

ويُزاد على هذه ٱلْمظاهر مظهرٌ آخر يبرز فيه ٱلْميل نحو ٱلْحفاظ على بيان ٱلْوظيفة النّحويّة ، وهو (ٱلْوقف بِالنّقل) ، قال ٱلرّضيّ : " وَهُوَ قَلِيلٌ كَقِلَّةِ ٱلتَّضْعِيفِ ، إِلَّا فِي ٱلْهَمْزَةِ " (٤) وذلك مراعاةً لطبيعة ٱلْهمزة ٱلصَّوْتِيَّة؛ "وَذَلِكَ، لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ بَعْدَ ٱلسَّاكِنِ كَانَتْ أَخْفَى ، لِأَنَّ ٱلسَّاكِنَ خَافٍ ، فَيَكُونُ خَافٍ بَعْدَ خَافٍ ، فَإِذَا حَرَّكْتَ

---

(١) ش ش ٢/٣١٤-٣١٥ ، وينظر: الكشف: ١/١٢٢ .
(٢) ش ش ٢/٣١٥
(٣) والرأي السّابق هو رأي سيبويه ، ينظر: الكتاب : ٤/١٦٨-١٦٩ .
(٤) ش ش ٢/٣٢١ ، وينظر مجالس ثعلب : (٢/٥٥٣) يكون في الهاء والهمزة ، لانهما خفيان .
(*) ش ش ٢/٣١٥ .

ماقبلها كان أبين لها "(١) ويقول الرضيّ أيضاً : " وإنّما قلّ هذا لتغيير بناء الكلمة في الظاهر بتحرك العين الساكن مرّةً بالضمّ ، ومرّةً بالفتح ، ومرّةً بالكسر ، وإن كانت الحركات عارضةً ، وأيضاً لاستكراه انتقال الإعراب الذي حقّه أن يكون على الأخير إلى الوسط ، وإنّما سهّل لهم ذلك الفرار من الساكنين ، والضنّ بالحركة الإعرابيّة الدالة على المعنى "(٢) .

ويبدو تداخل متطلّبات الأنظمة الثلاثة (الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ) واضحاً في كلامه وقد ترجّحت كفّة الصوتي والنحوي هنا بل إنّ الأمر تجاوز إلى تحمّل صعوبة النّطق بالبناء المرفوض (أي : كسرٍ فضمٍ، وضمٍ فكسرٍ) النّاتج عن نقل الحركة بسبب طبيعة صوت الهمزة على ما رأى الرّضيّ فقال : " ولكراهتهم ذلك في الهمزة (يقصد : خفاءها) جوّزوا فيها النّقل مع الأداء إلى الوزن المرفوض ، نحو : هذا الرِدُءُ ومن البُطِءِ ، ولم يجوّزوا ذلك في غيرها ، فلم يقولوا : هذا عِدُل ولا من قُفِل ، بل من كان ينقل في نحو بكرٍ إذا اتّفق له مثل عِدْل وقُفْل أتبع العين الفاء في الرّفع والنّصب والجرّ ، فيقول : هذا العِدِل والقُفُل ، ورأيت العِدِل والقُفُل ، ومررت بالعِدِل والقُفُل " (٣)

وبعد ، فإنّ حالة الوقف يبرز فيها غلبة النّظام الصوتي لما كان من شيوع الإسكان الذي يعني إهمالاً واضحاً للمميّزات النحويّة ، قال الرّضيّ : " والإسكان أكثر في كلامهم من الرّوم والإشمام والتّضعيف والنّقل "(٤) .

ويعلّل الرّضيّ هذا السّلوك بما ينسجم مع الميل نحو الحدّ الأدنى من الجهد ، حيث قال : " وإنّما حذف التّنوين في الرّفع والجرّ ، لأنّك قصدت كون الكلمة في الوقف أخفّ منها في الوصل ، لأنّ الوقف للاستراحة ومحلّ التّخفيف الأواخر ، لأنّ الكلمة تتثاقل إذا وصلت إلى آخرها "(٥) ، ولأجل هذا يتمّ إسقاط التّنوين وإسقاط الحركة من المنوّن في حالة النّصب التي يقول فيها : " فتخفيف الكلمة غاية التّخفيف يحصل من حذف التّنوين ، وذلك بقلبها ألفاً إذ الألف أخفّ الحروف ، وكذلك في المثنّى ، وجمع السّلامة المذكر يحصل التخفيف فيها بحذف حركة النّون فقط " (٥) .

---

(١) ش ش ٢ / ٣١١ .

(٢) ش ش ٢ / ٣٢١ .

(٣) ش ش ٢ / ٣٢١ـ ٣٢٢ .

(٤) ش ش ٢ / ٢٧٢ .

(٥) ش ش ٢ / ٢٧٤ .

ٱلبحث الثّاني

علاقة النّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام الصّرفيّ

١ـ ٱلْحَرَكاتُ وٱلْبِنَى ٱلصّرفيّةُ : إنّ ما تتمتّع بها ٱلحروف ٱلصّحاح في نظام ٱلكتابة ٱلعربيّة أمام ضعف موقف ٱلحركات فيه ، قد يوحي بضعف موقف ٱلأخيرة ٱلوظيفيّ أيضاً ، لكنّ ٱلحقيقة ٱلمدركة عكس ذلك ؛ فهذه ٱلأصوات (ٱلحركات) تؤدّي وظيفة خطيرة في أكساب ٱلبنية ٱلصّرفيّة هويتها ٱلّتي تتمايز بها عن غيرها ؛ لأنّ ٱلصّحاح لا تعطي غير بنىً كليّة ، ذات معانٍ كليّة تجريديّة وتأتي ٱلحركات لتحوّل تلك ٱلمجردات ٱللفظيّة إلى مدركات كلامية متعلّقة ؛ ويبدو لي أنّ ٱلرّضيّ قد أدرك خطورة ما تقوم به الحركات هنا ، وهذا ٱلإدراك وإنْ تجلّى تطبيقاً في عمليات ٱلاشتقاق إلاّ أنّنا لانعدم لَهُ موقفاً نظريّاً يتجلّى في بعض مقولاته ٱلّتي كثيراً ما يستعمل فيها تعبير "لِلتَّنْبِيهِ عَلَى ٱلْبِنْيَةِ" (١) عندما يريد ٱلإشارة إلى وظيفة إحدى ٱلحركات يعلّل به بقاءها في محالٍّ تقتضي تغيرها أوسقوطها ، ومنه أيضاً قوله : "لِأَنَّ فُعْلاً يَلْبَسُ بِفِعْل ، فَجَازَ إِبْقَاءُ ٱلضَّمِّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَى أَصْلِ ٱلْبِنْيَةِ وَفِي غَيْرِهِ لَا يَلْبَسُ بِنْيَةٌ بِبِنْيَةٍ" (٢) ، ويقول أيضاً (مشيراً إلى أثرها في الأوزان الصّرفيّة) : "ٱلْحَرَكَاتُ إِذَا غُيِّرَتْ تَغَيَّرَ ٱلْوَزْنُ ، وَبِإِبْدَالِ ٱلْحَرْفِ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَٱلْإِبْقَاءُ عَلَى ٱلْوَزْنِ أَوْلَى" (٣) .

٢ـ ٱلتّغيير ٱلصّرفيّ ـ ٱلصّوتيّ (Morphphonemic) : أرى أنّ أعمق إدراك لِلعلاقات ٱلصّوتيّة ـ ٱلصّرفيّة وصل إليه الرّضيّ وعبّر عنه في وقت مبكر في شرح الشّافية وفي أولى كلماته عن حدّ ٱبن ٱلحاجب لِلتّصريف ٱلّذي قال فيه : "ٱلتَّصريفُ عِلْمٌ بِأُصُولٍ تُعْرَفُ بِهَا أَحْوَالُ أَبْنِيَةِ ٱلْكَلِمِ ٱلَّتِي لَيْسَتْ بِإِعْرَابٍ" (٤) فقد قال ٱلرّضيّ : "أَقُولُ : قَوْلُهُ (بِأُصُولٍ) ، يَعْنِي بِهَا ٱلْقَوَانِينَ ٱلْكُلِّيَّةَ ٱلْمُنْطَبِقَةَ عَلَى ٱلْجُزْئِيَّاتِ ، كَقَوْلِهِمْ مَثَلاً : كُلُّ وَاوٍ أَوْيَاءٍ إِذَا تَحَرَّكَتْ وَٱنْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قُلِبَتْ أَلِفاً ، وَٱلْحَقُّ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْأُصُولَ هِيَ ٱلتَّصْرِيفُ ، لَا ٱلْعِلْمُ بِهَا" (٥) .

---

(١) ش ش ١/ ١٠ ، ٨١ ، ٣/ ١٠٠ .
(٢) ش ش ٣/ ١٩٧ .
(٣) ش ش ٣/ ٨٥ـ ٨٦ .
(٤) ش ش ١/ ١ (المتن) .
(٥) ش ش ١/ ١ـ ٢ .

إذ إنّ الاصل الّذي ذكره هو أحد ٱلْقواعد ٱلصّوتيّة ٱلّتي تمّ لي رصدها عند دراسة ظاهرة الاعلال ، فٱلتّصريف في حسابات ٱلرّضيّ ماهو إلّا مجموعة ٱلْقواعد أو ٱلْقوانين ٱلصّوتيّة الّتي تُعطي للبِنَى هيئاتها النّهائيّة ، كما هو واضح في ظاهرة الاعلال ، وعلى ما يكون عليه أحد أنماط ٱلْقواعد ٱلتّحويليّة الّتي أوضحتها في التمهيد لهذا الفصل .
ولمزيد من ٱلْإحساس بمتانة العلاقة بين ٱلصّوت وٱلصّرف عند الرّضيّ يرجع إلى (مصطلح أحوال ٱلْأبنية ، وٱلْبحث ٱلْخاص بمواضع ٱلدّراسة الصّوتيّة) .

وأزيد على ما سبق ما كان من تغليب ٱلْجانب الصّرفيّ على ٱلْاعتبارات الصّوتيّة، وذلك فيما يؤدّي ٱلتّغيير ٱلصّوتيّ فيه إلى ٱللّبْس ففي نَحْو كساء ورداء يقول ٱلرّضيّ : " أقُولُ : إنّمَا تُقْلَبُ ٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ ألِفاً ثُمّ هَمْزَةً لِمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ فِي قَلْبِ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ ألِفاً لِتَحَرُّكِهِمَا وَٱنْفِتَاحِ مَاقَبْلَهَا ثُمّ يَجْتَمِعُ ٱلسَّاكِنَانِ ، فَلَا يُحْذَفُ ٱلْأَوَّلُ مَعَ كَوْنِهِ مَدّةً ، لِئَلّا يَلْتَبِسَ بِنَاءٌ بِبِنَاءٍ ، بَلْ يُقْلَبُ ٱلثّانِي إلَى حَرْفٍ قَابِلٍ لِلْحَرَكَةِ مُنَاسِبٍ لِلْأَلِفِ ، وَهُوَ ٱلْهَمْزَةُ ، لِكَوْنِهِما حَلْقِيَّيْنِ " (١) .

فمقتضى ٱلْقطعيّة أنْ يتمّ ٱلتّخلص من أوّل ٱلسّاكنين إذا كان مدّة ، ولكنّ هذا ٱلمقتضى قد عُطّل لِأنّ ٱلْحذف يؤدّي إلى ٱللّبْس ببناء ٱلْمقصور فَقُلب إلى همزة لأجل هذا .

ويربط ٱلرّضيّ هذا بحدود ٱلْبِنْية فيقول : " إنّمَا كَانَ لِتَطَرُّفِهِمَا ، إذ ٱلآخِرُ مَحَلُّ ٱلتَّغْيِيرِ " (٢) ، وعلى هذا فإنّ ٱلتّغييرات الصّوتيّة لا ينبغي لها أنْ تنتهك خصوصيّات ٱلْبِنَى ٱلصّرفيّة ، وهو اعتبار يراعى في مجمل ٱلتّغييرات الّتي تعتري ٱلْأبنية .

ويوقفنا ٱلرّضيّ على مواضع أخرى يجري فيها تعطيل ٱلْقوانين ٱلصّرفيّة لاعتبارات صوتيّة بحتة من نحو قوله : " إنّ ٱلْغَالِبَ أنْ يُجْمَعَ فَعْل ٱلْمفتوح ٱلْفاء السّاكن ٱلْعين في ٱلْقِلّةِ عَلَى أفعل، إلّا أنْ يَكونَ أجْوَفَ وَاوِيّاً أوْ يَائِيّاً ، فَإنّ ٱلْغَالِبَ فِي قِلّتِهِ أفْعَال : كثَوْب وأثْوَاب وسوط وأسواط وبَيْت وأبْيَات وشَيْخ وأشْيَاخ ، وذلك لِأنّهم لو قَالُوا فيه أيضاً أفْعُل نحو أسوط ، وأبْيُت لِتَثْقُلَتِ ٱلضَّمَّةُ عَلَى حَرْفِ ٱلْعِلّةِ وإنْ كانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ " (٣)
وإن وجدنا في بعضها إطراداً لِلقانون الصّرفيّ فقد جاء أفْعُل قليلاً نحو أقْوُس وأثْوُب وأيْر وأعْيُن . (٤) .

---

(١) ش ش ٣ / ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٢) ش ش ٣ / ١٧٤ .
(٣) ش ش ٢ / ٩٠ .
(٤) ش ش ٢ / ٩٠ .

والمسؤول عن هذا كراهيّة التّتابع النّاتج لصوت المدّ المركّب فيسلك بالبنية سلوكاً يتجنّب فيه هذه .

وفي السّياق نفسه يقدّم الرّضي مثالاً آخر، إذ الغالب في كثرة فَعْل أنْ يكون على فُعُول، وفِعَال ككُعُوب وكِعَاب ... وأمّا الأجوف، فإنْ كان واويّاً ففُعُول فيه قليل ، والأكثر الفِعَال لاستثقال الضّمّة على الواو في الجمع وبعده الواو ... ولمّا استبدّ الواويّ بأحد الجمعين المذكورين، استبدّ اليائيّ بالآخر، أعني فُعُولاً ، فلم يجئ فيه فِعَال، وأيضاً لو قيل فيه بِيَات كحِيَاض، لالتبس الواويّ باليائيّ (١) ، ويرصد الرّضيّ موضعاً آخر يكون فيه الجانب الصّوتيّ عاملاً مهمّاً لإيجاد مجموعة من الصّيغ المهموزة ، وقد كانت ولاعهدلها بالهمز من نحو قائم وقائل وغيرهما ، حيث يقول الرّضيّ :

" وَقَدْ تُقْلَبُ الْوَاوُ وَالْيَاءُ أَيْضاً قَرِيبَيْنِ مِنَ الطَّرَفِ وَقَبْلَهُمَا أَلِفٌ زَائِدَةٌ أَلِفاً بِشَرْطِ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَى الْعِلَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ (٢) لِلانْقِلابِ مُقْتَضٍ آخَرُ، وذَلِكَ لِضَعْفِ الْعِلَّةِ ، إِذْ نْ بِسَبَبِ فَصْلِ الأَلِفِ بَيْنَ الْوَاوِ وَالْيَاءِ وَبَيْنَ الْفَتْحَةِ، وبِعَدَمِ كَوْنِهِمَا في الطَّرَفِ ، وذَلِكَ الْمُقْتَضَى، إمَّا مُشَابَهَةُ الْفِعْلِ كَمَا يَجِيءُ وَآدَاوُهُ مَعْنَاهُ وَعَمَلَهُ كَمَا فِي قَائِمٌ وَبَائِعٌ ، وإمَّا اكْتِنَافُ حَرْفِ (الأَصَحُّ : حَرْفَيْ) الْعِلَّةِ لِأَلِفِ الْجَمْعِ الأَقْصَى، فَيُسْتَثْقَلُ لِأَجْلِ حَرْفَيِ الْعِلَّةِ، وكَوْنِ الْجَمْعِ أَقْصَى الْجُمُوعِ ، وذَلِكَ فِي بَوَائِعَ وأَوَائِلَ وعَيَائِلَ فِي جَمْعِ بَائِعَةٍ وَأَوَّلٍ وَعَيِّلٍ " (٣) .

إذ يتعامل الرّضيّ مع هذه الظّاهرة الصّوتيّة على وفق اعتبارات صرفيّة ، ويجعل الرّضيّ للبنى الفعليّة وعلمها قوّة تساعد القانون الصّوتيّ في عمله بالبنى الاسميّة عند مشابهتها للفعل، والحقيقة في مثل هذه البنى يمكن أنْ تكون في قول هنري فليش الّذي ذكرته في قرب نهاية الفصل السّابق في ظاهرة الإعلال، حيث يذهب فيه إلى وجود توتر شديد عند إصدار أصوات المدّ، وتتميّز العربيّة بقوّة هذا التّوتر، فيسبب بروز صوت الهمزة في نهاية المدّ، وأزيد إليه هنا أنّ هذا البروز يعمل على إسقاط نصف المدّ التّالي، وحلول الهمزة محله .

---

(١) ش ش ٢ / ٩٠ ـ ٩١ .
(٢) وهي : تحرّك الواو أو الياء وانفتاح ماقبلها .
(٣) ش ش ٣ / ١٠١ .

وبسبب العلاقة المتبادلة بين النظامين التي يتغلب في معظمها النظام الصوتي، ظهرت بنى متعددة وقفت على الاشارة المفصلة إليها عند دراستي للظواهر التعاملية في الفصل السابق، منها ماكان بسبب الإدغام الذي يحدث بين الصوتين المتقاربين، وماكان من مظاهر المماثلة الأخرى كالمماثلة التناسبية، والاتباع، وماكان من المماثلة الجزئية، وحدوث التقريب الصوتي، والتجانس، والإمالة، وقد أدى ذلك إلى بروز أوزان جديدة، قال الرضي (ردا على كلام ابن الحاجب فيما كان من عدم إبدال وزن افتعل عند إبدال التاء) : " وَهٰذَا مِمَّا لَا يُسَلَّمُ ، بَلْ تَقُولُ : اضْطَرَبَ عَلَى وَزْنِ افْطَعَلَ ، وَفَحَصْطُ وَزْنُهُ فَعَلْطُ، وَهَرَاقَ وَزْنُهُ هَفْعَلَ، وَقَبِيحٌ وَزْنُهُ فُعَيْلِجٌ ، فَيُعَبَّرُ عَنْ كُلِّ الزَّائِدِ الْمُبْدَلِ مِنْهُ بِالْبَدَلِ ، لَا بِالْمُبْدَلِ مِنْهُ ".(١)

والإدغام هو المسؤول عن وجود أوزان من نحو اَفَّعَّل وافَّاعَل التي يتتابع في أولها مثالان، فتجلب الهمزة (الزائدة الصوتية) ليتم النطق بالساكن الأول في المدغم .

وأذكر أيضاً ماكان من عمل المخالفة والقواعد الخاصة بظاهرة الإعلال، وأيضا ماكان من القلب المكاني بوجود بنى مزدوجة .

---

(١) ش ش ١/١٨ .

++++++++++
+++++++++

ٱلْبحث ٱلثّالث

علاقة ٱلْأصوات بٱللهجات وٱلقراءات ٱلْقرآنيـــّـــة

يتمّ ٱلنّظر إلى هذه العلاقة ضمن مجموعة منٱلظّواهر ويعقبها ٱلْخـــــروج بٱلنّتائج في آخر ٱلْفصل.

١ ـ ٱلْميلُ إلى ٱلْكسْر : ومظاهره نجدها متمثّلة في :

آ ـ ٱلْإمَالة (وقد سبق مصطلح الإمالة) ويقول ٱلرّضيّ : " وَلَيْسَتِ ٱلْإمَالَةُ لُغَـــةَ جَمِيعِ ٱلْعَرَبِ ؛ وَأَهْلُ ٱلْحِجَازِ لَايُمِيلُونَ ، وَأَشَدُّهُمْ حِرْصاً عَلَيْهَا بَنُو تَمِيـــمٍ " (١)؛ ويعبّر بعض ٱلْمحدثين عن ٱلصَّوت ٱلْممال بـ " صَوْت لين نصف ضيق " (٢) فغير ٱلْحجاز على مايبدو ينطقونَ ٱلْأَلفَ مع رفع ٱلْجزء ٱلْأماميّ من ٱللســـان إلى مادون نطق ٱلْياء أو ٱلْكسرة .

ب ـ كَسْرِ حَرْفِ ٱلْمُضَارَعَةِ : قالَ الرّضيّ : " وَٱعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ ٱلْعَرَبِ إلاَّ أَهْـــلِ ٱلْحِجَازِ يُجَوِّزُونَ كَسْرَ حَرْفِ ٱلْمُضَارَعَةِ سِوَى ٱلْيَاءِ فِي ٱلثّلاثِيّ ٱلْمَبْنِي لِلْفَاعِــلِ ؛ إذَا كَانَ مَاضِيًا عَلَى فَعِلِ بِكَسْرِ ٱلْعَيْنِ ؛ فَيَقُولُونَ : أَنَا إِعْلَمُ، وَنَحْنُ نِعْلَـــمُ، وَأَنْتَ تِعْلَمُ ، وَكَذَا فِي ٱلْمِثَالِ ٱلْأَجْوَفِ وَٱلنَّاقِصِ وَٱلْمُضَاعَفِ نَحْوَ إِيْجَلُ، وإخَالُ، وإشْقَى، وإعَضُّ " (٣)، ومع ٱلْياء لاتكسر إلاّ إذا كان ٱلْفاء واواً حتّى يتـــمّ ٱلتّخلص منها بقلبها ياءً كما في ييجل وهي لغة جميع ٱلْعرب إلاّ ٱلْحجازيين (٤)؛ وقد وقفتْ بعض الدّراسات على " أنّ ٱلْأصل في ٱلصَّوت الصَّائت من هــذا ٱلْمقطع هو ٱلْفتح ، ثم اعترى هذا ٱلْأصل تطوّر حين مالتْ هذه ٱللغـــات إلى ٱلْكسر ، بيد أنّ ٱللّهجة ٱلْحجازيّة قد حافظتْ على ٱلْأصل وظلّـــت آثاره جزئيّاً في بعض ٱللّغات ٱلسّاميّة ٱلْأخرى " (٥).

ويعلّل ٱلرّضيّ هذه الظّاهرة تعليلاً صرفيّاً بقوله : " وَإنّمَا كُسِرَتْ حُـــرُوفُ ٱلْمُضَارَعَةِ تَنْبِيهاً عَلَى كَسْرِ عَيْنِ ٱلْمَاضِي " (٦)، وذكر ٱلرّضيّ هذا ٱلسّـــلوك

---

(١) ش ش ٣ / ٤ . (*)

(٢) في ٱلْبحث ٱلصّوتيّ : ٧٨ .

(٣) ش ش ١ / ١٤١، وعُرِفت بتلتلة بهراء ، اللهجات والقراءات : ١١٥، وينظـــر مجالس ثعلب : ١ / ٨١ .

(٤) ينظر: ش ش ١ / ١٤١ .

(٥) مقطع المضارعة: ١١٩ (الملخص) .

(٦) ش ش ١: ١٤١/ .

منحوياً للسّابقين في بعض ٱلألفاظ هي : إبىٰ وإحبُّ نِحِبُّ بِحِبُّ تِحِبُّ (١) ، ومن غير ٱلثّلاثيّ ،إذ كسروا أيضاً تِسْتَغْفِرُ وتِحْرَنْجِمُ ، يقول الرّضي فيه : " تَنْبِيهًا عَلَى كَسْوِ نِ ٱلْمَاضِي مَكْسُورَ ٱلْأَوّلِ ،وَهُوَ ٱلْهَمْزَةُ "(٢).

وينسجم مع هذه ٱلظّاهرة ٱختيار بعضِ ٱلعرب كسر أوّل ٱلْمصغّر من ذوات ٱلياء نحو نِبيب وشِييخ،خوفاًعلى ٱلياء من ٱنقلابها واواً لضمة ماقبلها،وتقصّياً من ٱستثقال ياء بعد ضمة لوبقيتا كذلك،وهذا كماقيل في ٱلْجمع بِيُوت وشِيوخ بكسر ٱلْفاء ـ وقُرِئَ بِهِ في ٱلْكتاب ٱلْعزيز(٣)،وقد ذكرٱلرّضيّ قراءةً ٱنعكست فيها هذه ٱلظّاهرة،وذلك في قراءة (أَمّنْ لَا يِهِدّي) (يونس ـ ٣٥) بكسر ٱلْياء وٱلْهاء على ٱلإتباع،ولم ينسبها .(٤)

ج ـ وأوردَ طائفة من ٱلْقراءات وٱلاستعمالات ٱللّهجيّة تمثّل ٱلْميل نحو ٱلْكسر ،فذكر ان كسر ميم مِنْذُ و مِنْذُ لغة سليميّة ،(٥) وأيضاً إِيّانَ بكسر ٱلْهمزة ،(٦) وفي (مدّ وعضّ وعزّ) قال ٱلرّضيّ : " مِنْهُمْ مَنْ يُبْقِي عَلَى ٱلْكَسْرِ،وَهُوَ ٱلْأَصْلُ،وَهُمْ كَعْبٌ وَغَنِيٌّ،فَيَقُولُون : مُدِّ وَعَضِّ وَعِزِّ " (٧) .

وجاء ٱلْكسرفي قراءة (ألم ِاللّهُ) (آل عمران ـ ١) وقرأ بها عمروبن عبيد، وأجازها ٱلْأخفش قياساً لاسماعاً بناءً على أنّ ٱلْحركة لِلسّاكنين،وليستْ للنقل(٨)

وذكرٱلرّضيّ عن أُبي عَمْرو ٱختيارَ ٱلْكسر في ٱلسّاكنين (وهو ٱختيار ٱلْفُصحى) في قوله تعالى (عَلَيْهِمِ ٱلذِّلّةُ) (البقرة ـ ٦١) و(آل عمران-١١٢)و (بِهِمِ ٱلْأَسْبَابُ) (البقرة ـ ١١٦)،وٱختار غيره ٱلضّمّ،وسيأتي .

وذكرأيضاً أنّه جاء في ٱلشّواذ (ذَاتَ ٱلْحِبُكِ)(الذّاريات ـ ٧) بكسر ٱلْحاء وضم ٱلْباء ،وهو لايُسَلّمُ بمقترح ٱبن جني في تركّب الحِبُك من ٱلْحِبِك وٱلْحُبُك ، لأنّهُ يبعد تركيب اسم من مفرد وجمع فالحِبِك جمع الحِبَاك والثانية إنْ ثبت فهو مفرد (٩).

---

(١) ش ش ١/١٤١ـ ١٤٢.

(٢) ش ش ١/١٤٣.

(٣) ش ش ١/٢٠٩.

(٤) ش ش ٣ / ٢٨٥،

(٥) ش ك ٢/١١٨.

(٦) ش ك ٢/١٤٦.

(٧) ش ش ٢/٢٤٣.

(٨) ش ش ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧، وهي في المصحف:(أَلَمّ . ٱللّهُ ...) (آل عمران ١-٢).

(٩) ش ش ١/٣٨ـ ٣٩.

ومما أورده الرّضيّ ويحمل على هذه الظّاهرة ماجاء في الشّواذ في قوله تعالى : (فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ) (البقرة ـ ٢٨٠)إذ قُرِئت (فَنَظْرَةٌ إلى مَيْسُرِهِ) (١)، وذكر أيضا قراءة (حتّى مَطْلِعِ الفَجْرِ) (٢) (القدر ـ ٥) عن سيبويه بكسر لام مَطْلَع .

د . ومن ظاهرة الميل نحو الكسر مانسبه الرّضيّ من كسر حركة الضّمير حيث قال : " وبعض بني تميم من بني عدّي يحذفون حركة الهاء ويحركون الأوّل بالكسر فيقولون : ضَرَبْتِهْ وأَخَذْتِهْ " (٣) وذلك في الوقف خاصة . وقد نقل عن أبي الخطاب عن ناس من العرب : إدعِهْ واغزِهْ من دعوت وغزوت وقد علّل الرّضيّ هذا السّلوك فقال : " كأنهم سكنوا العين المتحركة بعد حذف اللام للوقف ، توهّماً منهم أنّهم لم يحذفوا شيئاً للوقف كما قلنا في لم أبَلْهْ في الجزم " (٤) واورد ايضا : " إنّ ناساً من بكر من وائل يكسرونها (يعني : الهاء) في الواحد والمثنى والجمعين ، نحو منهِ ومنهِما ومنهِم ومنهِنَّ إتباعاً للكسر " (٥) .

ويبدو واضحاً أنّ ذلك كان بسبب الانسجام الصوتي الّذي عبّر عنه بالاتباع وقد جاء الضمير في نحو لديه وبه بإشباع الكسر وهي لغة غير أهل الحجاز ويقول عنها الرّضيّ : " وعلته أنّ الهاء حرف خفيف فهو إذن حاجز غير حصين فكأنّ الواو الساكنة وليت الكسرة او الياء فقلبت ياء وكسرت الهاء لاجل الياء بعدها " (٥)، وورد أنّ بعض القراء أختار هذه اللغة اذ قال الرضي : " وابن كثير يصل مطلقاً نحو عليهي ومنهو ونحوها " (٦)وقال أيضاً : " ... عليكمو واليهمي على ماهو قراءة ابن كثير " (٧) .

٢ ـ الميل نحو الضّمّ :

آ ـ أبرز مظاهرها ماكان من النّطق الخاص بأهل الحجاز في (ألف التفخيم)، وهو أحد المتفرعات المستحسنة حيث يُنحى فيها بالألف نحو الواو (ينظر ـ الأصوات المتفرّعة)، وقال الرّضيّ : " قيلَ وقُرِىءَ في الشّواذ :(يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبُوا) (البقرة ـ ٢٧٦) بضم الباء " (٧) .
وقد علّق عليها قائلاً : " لَمْ يَغرّ هذا القاريءُ إلّا كِتابَتُهُ بالواوِ " (٧) .

ب ـ وفي حركة الضّمير، وقد سبق اختيار بكرمن وائل للكسر، وهنا فإنّ " أهْلَ الحِجازِ يَضُمّونَ في الواحِدِ والمُثَنّى والجَمْعِ : لَهُو وغُلامَيْهُما وغُلامَيْهُنَّ وغُلامَيْهُم وبِغُلامِهُما وبِغُلامِهُمْ وبِغلامِهُنّ ... وغيرُ أهْلِ الحِجازِ يَكْسِرونَ الهاءَ في المُثَنّى والجَمْعَيْنِ

---

(١) ش ش ١ / ٧٠ ، وقد اختلف القراء في قراءتها ، ينظر : السبعة : ١٩٢ .
(٢) ش ش ١ / ٧١ ، وهي في المصحف :(حتّى مَطْلَعِ الفَجْرِ) ، وينظر : الكتاب ٤ / ٩٠ ، وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو ينظر : السبعة : ٦٩٣ .
(٣) ش ش ٢ / ٢٤٨ ، وينظر: ٢ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .
(٤) ش ش ٢ / ٢٩٨ .
(٥) ش ش ٢ / ١٢ .
(٦) ش ك ٢ / ١٢ ، وينظر اختياره هذا في السبعة : ١٣٢ .
(٧) ش ش ٢ / ٢٧٨ .
(٨) ش ش ١ / ٣٩ .

مُطْلَقاً،وَهُوَ ٱلأَشْهَرُ [1]، وذكر أنّ ٱلْحجاز تقول بٱلإشباع بهُو وله يهُو وغيرهم يكسرونها [2]، وذكر ٱلرّضيّ أيضاً أنّ قارِيء ٱلْكوفة حمزة يَخُصّ ضمّ ٱلْهاء في جمع ٱلْمذكر ثلاث كلمات (عَلَيْهِمُ وإِلَيْهِمُ وَلَدَيْهُم)،وهو سلوك حاول بعض ٱلْعلماء تعليله بأنّ أصل ٱلْياء ٱلف،وردّ ٱلرّضيّ بأنّه لوكان ٱلأمركذلك لقرأ في ٱلْواحد،وٱلْمثنّى وٱلْجمع أي: (عليهُ وعليهُما وعليهُن)،وبحسب ٱعتقاد ٱلرّضيّ فإنّه لم يقرأ بذلك إلاّ إتّباعا للأثر [1] .

جـ ـ أورد ٱلرّضيّ عن حمزة في ٱلْتقاء السّاكنين الضّمّ في (عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ)(البقرة-٦ ٢٤)، النساء ٧٧)،وقد ٱختاره بعض ٱلْقرّاء في قوله تعالى : (بِهِمُ ٱلأَسْبَاب) (ٱلْبقرة ـ ١٦ ١ ١)،و (عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَال) [3]، وجاء أيضاً في (مِنْ دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْن) (ٱلْقصص ـ ٢٣) [1]، و (قُمُ ٱللَّيْلَ) (ٱلْمزّمّل ـ ٢) [4] [5] .

د ـ وجاء في بعض الشّواذ قوله تعالى : (تُرْزَقَانُه)(يونس ـ ٣٧) ، و(أَتَعِدَانُنِي) (الاحقاف ـ ١٧) [6]، بضمّ نون ٱلْمثنّى في ٱلْفعل ،وتقول هذيل: ٱللَّذُونَ في ٱلرّفع [7]،وقريء في قوله تعالى :(ذُرِّيَّةً ضِعَافاً)(ٱلنّساء ـ ٩)، ضُعافى وضَعافى، أورد ذلك عن ٱلْكشاف [8]،وممّا ذكره أنّ تميماً تقول (أَمْسُ) رَفْعاً [9]،

٣ـ ٱلْميلُ نحو ٱلْفتح :

آ ـ ٱلْفتح ٱختيار ٱلْحجاز مقابلة مع ٱلإمالة عند غيرهم وأبرزهم تميم [10] .

ب ـ وفي ٱلتقاء ٱلسّاكنين قُري ء في ٱلشّواذ (قُمَ ٱللَّيْلَ) (المزمل ـ ٢) بفتح ٱلْميم،

---

(١) ش ك ٢ / ١٢ .

(٢) ش ك ٢ / ١١ .

(٣) ش ش ٢ / ٢٤٢

(٤) ش ش ٢ / ٢٣٨ و ٢٤٢ .

(٥) ش ك ٢ / ١٧٣ .

(٦) ش ك ٢ / ٢٣٠ .

(٧) ش ك ٢ / ٤٠ .

(٨) ش ش ٢ / ١٧٥ .

(٩) ش ك ٢ / ٦٦ و ١٤٤ .

(١٠) ش ش ٣ / ٤ .

وقرأ ٱلْكسائيّ : (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)(الفاتحة ـ ١ـ٢) (١) .

جـ ـ وذكر الرضي قراءات اخرى تفضل الفتح على غيره وهي :

" قَرَأَ ٱلْحَسَنُ (وَيُهْلَكُ ٱلْحَرْثَ)(ٱلْبقرة ـ ٢٠٥) بِفَتْحِ ٱللَّامِ شَاذٌّ " (٢) وقد " قُرِىءَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) (طه ـ ٨١) عَلَى ٱلْوَجْهَيْنِ " (٣) وذلك لكون مضارعه على ٱلوجهين كما يرى ٱلرضي ، وقُرِىءَ أيضاً : (إِنَّ ٱللَّهَ يَدْفَعُ) و (يُدَافِعُ)(الحج ـ ٣٨) (٤) ، وجاءَ عَلَى لغة بني ٱلْحَرْث بن كعب الآية : (إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) (طه ـ ٦٣)، وذكر الشّاهد : (إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا ...) (٥) ، وأورد ٱلرّضيّ ٱلقراءة بالفتح وٱلكسرفي قوله تعالى : (فَنَعِمَّا هِيَ) (البقرة ـ ٢٧١) ، وأيضاً ما قرأ به يحيى بنُ وثّاب في الشّاذ : (نَعْمَ عُقْبَىٰ ٱلدَّارِ)(الرّعد ـ ٢٤) بفتح الفاء وسكون ٱلعين (٦) .

ومنها أن سعيداً بنَ جبير قرأ : (أَلَا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ) (ٱلْفرقان ـ ٢٠) ، وكذا قُرِىءَ في ٱلشّواذ : (أَنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الانفال ـ ٤٢) بٱلْفتح (٧) .

ومّما أورده بفتح ٱلْهمزة قراءتنا قوله تعالى : (إِنْ تَضِلَّ) (ٱلْبقرة ـ ٢٨٢) فقد قرأ بفتح ٱلْهمزة وبكسرها فقال الرّضيّ : " وَقَدْ قَالُوا : إِنَّهَا بِمَعْنَىً وَاحِدٍ : أيْ بِمَعْنَى الشرط (٨) .

ومنها ما ذكره في قوله تعالى : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَى) (البقرة ـ ٨٣) فيمن قرأ بالألف (٩) ، وقد سبق في الاية (ذُرِّيَّةً ضِعَافًا) ذكر قراءة ضَعافى .

د ـ ذكر ٱلرّضي أنّ قَلَىَ يَقْلَىَ عامريّة ضعيفة ، أمّا قَلِيَ يَقْلَى ـ كَتَعِب ، يَتْعَب ـ فيُمكن أنْ يكون متداخلاً ، وأنْ يكون طائيّاً ، لأنّهم يجوّزون قلب ٱلياء ألفاً في كلّ ما آخره ياءٌ مفتوحةٌ فتحةً غير إعرابيّة مكسور ماقبلها نحو بَقَى في بَقِيَ ، ودُعَى في دُعِيَ وناصاة في ناصية (٢) ، وقد فضّل بعضهم في يَوْجل أن يُقلب الواو ياءً (أي : يَيْجَل) " وَآخَرِينَ يَفْضُلُوا (كذا) ٱلْفَتْحَ فَيَقْلِبُونَهَا أَلِفًا ، وَهِيَ لُغَةٌ فِي كُلِّ مِثَالٍ وَاوِيٍّ وَهِيَ قَلِيلَةٌ " (١٠) .

---

(١) ش ش ٢ / ٢٣٨ .
(٢) ش ش ١ / ١٢٥ .
(٣) ش ش ١ / ١٨٢ .
(٤) ش ش ١ / ٩٩ .
(٥) ش ك ٢ / ١٧٢ .
(٦) ش ش ٢ / ٣١٢ .
(٧) ش ك ٢ / ٣٥١ .
(٨) ش ك ١ / ٢٥٣ .
(٩) ش ك ٢ / ٢١٩ .
(١٠) ش ش ١ / ١٤١ .

٤ـ ٱلتّخفيف : وهي عمليّة أسقاط حركة عين ٱلكلمة وعلى ٱلأغلب تكون هذه ٱلحركة كسرةً أو ضمّة ؛ إذ إنّه ورد في قليل من أمثلتها سقوط الفتحة ؛ وسقوط هذه ٱلحركة كما يرى يعتمد على مبدأ التّحقيق النّطقي، ويرى رابين (١) أنّ سقوط هاتين ٱلحركتين يعود لأسباب نبريّة نتيجة ضعف ٱلنّبر عليهما ؛ وذلك مما تميّزت به تميم عن ٱلحجاز، وقد توصّل د. إبراهيم أنيس (٢) في بحث له عن صيغة ٱلاسم الثّلاثيّ ٱلمجرّد، وبأعتماد نظرة تاريخيّة مقارنة : أنّ الأصل هو ٱلسّكون، وأنّ ٱلمتحرّكة هي صيغ حديثة، وهي نتيجة مخالفة (٢) لتصوّرات جميع علماء ٱللغة ٱلعربيّة ومنهم ٱلرّضيّ .

وقد أورد الرّضيّ من أمثلة هذا السّلوك ما يأتي :

١ـ تتابع ضمّتين : بُـزُل وحُمُر مخفف عند تميم (٣)، ودُهُن يجوز أن يخفف عند بني تميم كما في عُنُق، وفي قُذُل وقُدُن (٤) "إنْ شِئْتَ خَفَفْتَهُ فِي لُغَةِ تَمِيمٍ بِإِسْكَانِ ٱلْعَيْنِ " (٥)، وقال الرّضيّ : " وَلِتَوَالِي ٱلثِّقْلَيْنِ أَيْضاً خَفَّفُوا نَحْوَ عُنُقٍ وَإِبِلٍ بِتَسْكِينِ ٱلْحَرْفِ ٱلثَّانِي فِيهِمَا، وَهَذَا ٱلتَّخْفِيفُ فِي نَحْوِ عُنُقٍ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي إِبِلٍ ؛ لِأَنَّ ٱلضَّمَّتَيْنِ أَثْقَلُ مِنَ ٱلْكَسْرَتَيْنِ حَتَّى جَاءَ فِي ٱلْكِتَابِ ٱلْعَزِيزِ وَهُوَ حِجَازِيٌّ رُسْلَنَا وَرُسْلَهُم، وَهُوَ فِي ٱلْجَمْعِ أَوْلَى مِنْهُ فِي ٱلْمُفْرَدِ لِثِقَلِ ٱلْجَمْعِ معنىً " (٦)

وفي بِيْض يُخفف أيضاً على ما ذكر ٱلرّضيّ الّذي أعقب ذلك بقوله : " مَنْ خَفَّفَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَسَرَ ٱلضَّمَّ لِتَسْلَمَ ٱلْيَاءُ فَتَقُولُ عَيْنَ مَا قَالُوا : بِيضٌ فِي جَمْعِ أَبْيَضَ " (٧)، وفي (ذُبّ) قال : " أَصْلُهُ ذُبُبٌ، وَٱلْإِدْغَامُ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِ بَنِي تَمِيمٍ فِي تَخْفِيفِ نَحْوِ عُنُقٍ، وَإِلَّا فَحَقُّ فُعُلٍ أَنْ لَا يُدْغَمَ " (٨)

فسقوط ٱلحركة ٱلثّانية يسمح بإمكانيّة ضياع ٱلحدود ٱلفاصلة بين ٱلصّوتين فيرفع بهما رفعةً واحدة .

---

(١) ينظر: اللهجات العربية الغربية : ١٧٥ و ١٧٦ .

(٢) عن: أثر القراءات : ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٣) ش ش ٢ / ١٥٧ .

(٤) ش ش ٢ / ٩١ .

(٥) ش ش ٢ / ١٢٥ .

(٦) ش ش ١ / ٤٤ .

(٧) ش ش ٢ / ١٢٨ .

(٨) ش ش ٢ / ١٢٩ .

٢ـ تتابع كسرتين : ذكر ٱلرّضيّ هذا ٱلسّلوك في نحو إِبِل غير أنّ تتابع ٱلكسرتين أخفّ من تتابع ٱلضّمتين (وقد سبق) .

٣ـ تتابع (فتحة وكسرة ، فتحة وضمة ، ضمة وكسرة ، كسرة وفتحة) .

قال الرّضي في ٱنْطلق ولم يَلْدَهُ : " شَبَّهَ طَلِقَ فِي لُغَةِ تَمِيمٍ ، فَسَكَّنَ ٱللَامَ .. وَكَذَا ٱلْكَلَامُ فِي لَمْ يَلْدَهُ " (١) ، وفي نحو عَضُد قال الرّضيّ : " قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ مِثْلَهُ يَجُوزُ عِنْدَ تَمِيمٍ فِي ٱلْفِعْلِ أَيْضاً نَحْوُ كَرْمَ ٱلرَّجُلُ فِي كَرُمَ " (٢)

وممّا ذكره لهذه ٱلظّاهرة ٱلمثل : لَمْ يُحْرَمْ مَنْ فُصْدَ لَهُ ، وقال أبو النّجم وهو تميميٌّ :

لَوْ عُصْرَ مِنْهُ ٱلْمِسْكُ وَٱلْبَانُ ٱنْعَصَرْ .

وكذا قولهم غُزْيَ بالياء دون ٱلْواو في غُزِي لعروض سكون ٱلزّاي ، فليس ٱلتّخفيف في مثله لكراهة ٱلْانتقال من الأخف إلى ٱلأثقل كما كان في كَتِف وعَضُد ، كيف وٱلْكسرة أخفّ من الضّمّة وٱلْفتحة أخفّ من ٱلْكسرة ، بل إنّما سكن كراهة توالي ٱلثّقلين في ٱلثّلاثي ٱلمبني على ٱلْخفّة ، فسكن ٱلثّاني ، لِامتناع تسكين الأوّل ، ولأنّ ٱلثّقل من ٱلثّاني حصل ، لأنّه لأجل التّوالي . (٣)

ويرى الرّضيّ أنّ ٱلبنية ٱلأوّليّة لـ (وَدٌّ) هي وَتِدٌ ، إذ قال : " وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ وَدٌّ فِي وَتِدٍ ، خَفَّفَهُ بَنُو تَمِيمٍ بِحَذْفِ كسرة التّاءِ ، وَلَمْ يَجُزْ فِي لُغَتِهِمْ وَقْدْ بِسُكُونِ ٱلتَّاءِ مُظْهَرَة " (٤) ، وقال (معلّقاً على قول ٱبن ٱلحاجب وقد جاء وَدٌّ في تميم) : " أَيْ : فِي لُغَةِ تَمِيمٍ ، وَهِيَ إِسْكَانُ كَسْرَةِ عَيْنِ فَعِل نحو كَبْدٍ في كَبِدٍ " (٥)

ومنها أيضاً قوله : " وَإِنَّمَا جُمِعَ مَعِدَة وَنَقِمَة على فِعَل بِكَسْرِ ٱلْفَاءِ وَفَتْحِ ٱلْعَيْنِ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِيهِمَا عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ وَغَيْرِهِمْ مِعْدَة وَنِقْمَة كَكِسْرَة

---

(١) ش ش ٢ / ٢٣٨ .

(٢) ش ش ١ / ٤٢ .

(٣) ش ش ١ / ٤٣ ـ ٤٤ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٦٨ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٦٩ .

نحو كِتْف في كَتِفٍ " (١) ، وفي " نَحْوِ كَلِمَةٍ وخَلِفَةٍ فَلَا يَجيئُ عَلَى وَزْنِ كِسْرة إلّا عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ " (١) .

ومن مظاهر انعكاس هذه الظاهرة على المستوى القرائي ماذكره من قوله : " قُرِئَ في الشَّواذِ : (أَنْ يُمِلَّ هُوَ) (البقرة – ٢٨٢) فَجَعَلَ لَهُوَ كَعَضْدٍ وَهُوَ قَبِيحٌ ... " (٢)

ويُبرز هذا أنّ هذه الظاهرة لاتخضع للبنية المفردة بل لمستوى سياقيّ أوسع، وهو بين كلمتين، إذن فالتتابع الصوتيّ هو المسؤول عن هذا السّقوط للأبنية .

وذكر الرّضيّ أيضاً (وهو ماينطبق عليه الكلام السّابق) إنّ الكسائيّ وغيره قرأ (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُم) (الحج – ٢٩) بإسكان لام الأمر " وَاسْتَقْبَحَ ذَلِكَ الْبَصْرِيُونَ " (٣)

ومنه أيضاً قال الرّضيّ : " وَقَدْ شُبِّهَ بِفَعِلِ المَفْتُوحِ الفَاءِ المَكْسُورِ العَيْنِ نَحْوَ قَوْلِهِمْ : وَلْيَضْرِبْ وفَلْتَضْرِب – أَعْنِي وَاوَ العطفِ وَفَاءَهُ مَعَ لامِ الأَمْرِ وحَرْفِ المُضَارَعَةِ – وذلك لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ – وقُرِئَ بِهِ في الكِتَابِ العَزِيزِ ، وَشُبِّهَ بِهِ نَحْوَ : ثُمَّ لْيَفْعَلْ، وهُوَ أَقَلُّ .. وَكَذَا شُبِّهَ بِفَعُلٍ فَعِلَ قولهم: فَهْوَ وفَهْيَ وَوَهْوَ وَوَهْيَ وَلَهْوَ وَلَهْيَ لِمَاقُلْنَا فِي وَلْيَفْعَل ، وَكَذَا أَهْوَ وَأَهْيَ ... " (٤) ، وجاء عليه قوله تعالى : (وَلْيُوفُوا) (الحج – ٢٩) (٥) .

وقد أورد الرّضيّ طائفة أخرى من الألفاظ الّتي بأن فيها السّلوك الصّوتيّ المتبع مع الثّلاثي فقد جاء قولهم : أراك مُنْتَفْخاً ، وقال الشّاعر :

فَبَاتَ مُنْتَصْباً وَمَاتَكَرْدَسا (٦) .

وجاء في جمع الإناث على مايقول الرّضي، إنّه : " أَهْلُ الحِجَازِ يَعْدِلُونَ مِنْ حَرَكَةِ الوَسَطِ إلى السُّكون لئلا يكون إزالة ثِقَلٍ بِثِقَلٍ آخرَ هي الفُصْحَى " (٧) ، وذلك في الجمع الأجوف الذى قال عنه : " وتَفْتَحُ هُذَيْلٌ العَيْنَ المُعْتَلَّةَ كَجَوَزَاتٍ وبَيَضَاتٍ ... وقُرِئَ فِي الشّوَاذِ (ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ) (النور – ٥٨) " (٨) .

---

(١) ش ش ٢ / ١٠٨ .
(٢) (٣) ش ش ٢ / ٢٧٠ .
(٤) ش ش ١ / ٤٤ – ٤٥ وينظر ش ش ٢ / ٢٦٩ – ٢٧٠ .
(٥) ش ش ٢ / ٢٦٩ .
(٦) ش ش ١ / ٤٥ .
(٧) ش ك ٢ / ١٨٩ .
(٨) ش ك ٣ / ١٨٩

وروى الرّضي أنّ ذلكَ فعل تميمٍ في(١) هذه ٱلألفاظ،وقد جاء رَضَات (٢) أيضـاً وعلّل هذا السّلوك بخفة ٱلْفتحة على حرف ٱلْعلّة وبكونها عارضة .

٥ـ ٱلْإدغام (إدغام ٱلْمتماثلَيْن) :

آ ـ ذكر ٱلرّضيّ أنّ لُغةَ ٱلْحجاز:لَمْ يَكْعَعْ في تكَعَّ وتكِعّ وبٱلْكسر أشهر،وقال : " وَمَنْ فَتَحَ،فَلِأَنَّهَا قَدْ تَتَحَرَّكُ فِي لُغَةِ أَهْلِ ٱلْحِجَازِ ، نَحْوَ : لَمْ يَكْعَعْ " (٣)

ويقولون أيضاً في ٱلأمر وٱلْجزم : ارْدُدْ،ولَمْ يَرْدُدْ،بفَكِّ ٱلْإدغام بينما تقول تميم : لَمْ يَرُدَّ،وَرُدَّ،وجاء على لغة تميم في ٱلْقرآن ٱلْكريم قوله تعالى : (لاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ) (ٱلْبقرة ـ ٢٨٢)،ويعتقد ٱلرّضيّ أنّ تميماً لم يعتدّوا بٱلْإسكان أوجعلـوا ٱلثّاني كٱلْمتحرّك،وسكّنوا الأوّل للإدغام،وٱلتقى ساكنان فلو حرّك ٱلْأوّل لنقـض ٱلْغرض " (٤) .

ب ـ عند تميم رُدَّ،وعَضَّ،وفَرَّ يجب الادغام (٥) ،وكذا في ذُبَّ (٦) ، وَوَدَّ (٧) .

جـ ـ وافق ٱلتميميون ٱلْحجازيين على ما ذكرا ٱلرّضيّ في رَدَدْتُ،ورَدَدْنا،ورَدَدْنَ،وذلـك لِلزوم سكون ٱلثّاني،وزعم الخليل أنّ أناساً من بكر بن وائل وغيرهم يَقُولُـون : رَدَّنَ ورَدَّنَ وكذا رَدَّتُّ،لعروض ٱلضّمائر،ويحرّكون بٱلْفتح لِلسّاكنين ، ولكـن هذه اللغة لاتروق كما يبدو لِلسّيرافيّ ٱلّذي ذكر عنه ٱلرّضيّ : " هٰذِهِ لُغَـةٌ رَدِيئَةٌ فَاشِيَةٌ فِي عَوَامِ أَهْلِ بَغْدَادَ " (٨) .

وزاد بعضهم ألفاً بعد الإدغام فيقول : رَدّاتُ ورَدّانَ ليبقى ماقبل هـذه ٱلضّمائر ساكناً كما في غير ٱلْمدغم على ما يرى الرّضيّ .

د ـ وأورد الرّضيّ في إدغام ٱلْمُتماثلين قراءة أبي عمرو (شَهْرُرَّمَضَانَ) (البقرة ـ ١٨٥) و(خُذِ ٱلْعَفْوَ وَّأْمُرْ) (الأعراف ـ ٩٩)،ولكنّ ٱلرّضيّ يذهب فيه إلى أنّه إخفاء لا إدغام (٩) .

---

(١) ش ش ٣ / ١١٠ .
(٢) ش ك ٢ / ١٩٠ .
(٣) ش ش ١ / ١٣٤ .
(٤) ش ش ٢ / ٢٣٩ .
(٥) ش ش ٣ / ٢٨٤ .
(٦) ش ش ٢ / ١٢٩
(٧) ش ش ٣ / ٢٦٨ .
(٨) ش ش ٢ / ٢٤٦ .
(٩) ينظر ش ش ٣ / ٢٤٧ ـ ٢٤٨،ومصطلح الاخفاء .

هـ ــ ويذكر ٱلرّضيّ سلوكاً آخرفي هذا ٱلإدغام حيث يقول : " جاءَ في لُغَةِ سُلَيْم قَلِيلاً ــ وَرُبَّمَا ٱسْتَعْمَلَهُ غَيْرُهُمْ ــ حَذْفُ ٱلْعَيْنِ فِي مِثْلِهِ أَيْضاً،وَذٰلِكَ لِكَرَاهَتِهِمْ ٱجْتِمَاعَ ٱلْمِثْلَيْنِ،فَحَذَفُوا مَاحَقُّهُ ٱلْإِدْغَامَ ــ أَعْني أَوَّلَ ٱلْمِثْلَيْنِ فَتَعَذَّرَ ٱلْإِدْغَامُ فَإِنْ كَانَ مَاقَبْلَ ٱلْأَوَّلِ سَاكِنَاً أَوْجَبُوا نَقْلَ حَرَكَةِ ٱلْأَوَّلِ إِلَيْهِ،نَحْوَ: أَحَسْنَ،وَيُحِسْنُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) (الأحزاب ــ ٣٣) عَلَى أَحَدِ ٱلْوُجُوهِ، وإِنْ كَانَ مُتَحَرِّكَاً جَازَ حَذْفُ حَرَكَةِ ٱلْأَوَّلِ،وَنَقْلُهَا إِلى مَاقَبْلَهُ،إِنْ كَانَتْ كَسْرَةً أَوْضَمَّةً قَالُوا: ظِلْتُ بِفَتْحِ ٱلْفَاءِ وَكَسْرِهَا ــ وَكَذَا لَبُبْتُ وَلُبْتُ ــ بِفَتْحِ ٱلْفَاءِ وَضَمِّهَا، وَذٰلِكَ لِبَيَانِ وَزْنِ ٱلْفِعْلِ كَمَا بَيَّنَّا في ضَمَّ وَقُلْتُ وَكَسْرَةِ بِعْتُ "(١)،ولاحظ ٱلرّضيّ أنّ هذا ٱلحذف يكون في ٱلماضي أكثرمنه في ٱلمضارع وٱلأمر ٠

٦ ــ ٱلمُماثلة ٱلصّوتيّة : وتدرج مظاهرها تحت ما يأتي :

آ ــ إدغام ٱلمتقاربَيْن : ولتحليل مظاهرها عِنْد الرّضيّ صَنَعْتُ ٱلجدول الآتي :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٤٥٠

جدول رقم (٧) لحالات ٱلإدغام في ٱللهجـــات

ينظر لحالات الادغام: ش ش ٣ /٢٦٤-٢٩٢.

	حالات ٱلإدغام	المخرج −	المخرج +	الصّفات الصوتية: الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفة / التفضيل	الملاحظـــات
٠١	ح > ع	حلقيّ	حلقيّ	+	−				أبو عمرو (فَمَنْ زُحْزِحَّعَنِ ٱلنَّارِ)(آل عمران ١٨٥
٠٢	ج > ت	غاريّ	اسنانيّ ـ لثويّ	−	+				أبوعمرو (ذِي ٱلْمَعَارِجِ تَّعْرُجُ)(ٱلْمعارج ٤
٠٣	ش > س	غاريّ	أسنانيّ لثويّ					− تفشي + صفير	أبوعمرو: (ذِي ٱلْعَرْشِ سَّبِيلاً) (الأسراء ٤ قال : الرّضيّ: الصّوتان من حروف التفشي والصّوت .
٠٤	س > ش	أسنانيّ لثويّ	غاريّ					− صفير + تفشي	أبوعمرو : (ٱلرَّأْسُ شَّيْباً) (مريم ـ ٤)
٠٥	ض > ش	بين أضراسيّ	غاريّ	−	+			− إطباق	قراءة (لِبَعْضِ شَّأْنِهِمْ) (النور : ١٢
٠٦	ر > ل	لثويّ	لثويّ					− تكرير	قراءة (ٱغْفِرلِّي)(ابراهيم ـ ٤١)
٠٧	ط > ت	اسنانيّ لثويّ	اسنانيّ-لثويّ					− إطباق	بعض العرب : حطتهم > حتُّهم
٠٨	ث > ج	أسنانيّ لثويّ	غاريّ	+	−				قراءة (وَجَبَت جُّنُوبُها) (الحج: ٣٦
٠٩	ف > ب	شفويّ أسنانيّ	شفويّ	+	−			التأفيف	قراءة (نَخْسِف بِّهِم) (سبأ : ٩)
١٠	ت > د	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ- لثويّ	+	−				بعضهم (عُدُّه ، جِدْتُ > جِدُّ ، تميم : ودٌّ اصلها وَتْدٌ .
١١	ت > ط	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ لثويّ					+ إطباق	في : خَبَطُّه حمزة (اسطَّاع) (آل عمران : ٩٧)
١٢	ت > ص	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ ـ لثويّ			−	+	+ إطباق	اَصَّبَّرَ شاذ
١٣	ت > ض	أسنانيّ لثويّ	بين أضراسيّ	+	−	−	+	+ إطباق + استطالة	اضَّرب
١٤	ض > ط	بين أضراسيّ	أسنانيّ-لثويّ	−	+	+	−	− استطالة	قال بعضهم : مُطّجع في مضطجع.
١٥	ظ > ط	أسنانيّ	أسنانيّ ـ لثويّ	−	+	+	−		حفظْتُ > حفظْطُ > حفطُّ .

ملاحظات حول جدول حالات ٱلإدغام في ٱللهجات

(١) ٱلتّنازل عن صفة ٱلجهر بلغ (٢٨٪)،وعن ٱلهمس (٣ر٣٣٪) من مجموع ٱلحالات ٱلبالغ (١٥) حالةً ، أمّا صفتا ٱلشّدّة وٱلرّخاوة فقد بلغ ٱلتّنازل نسبة طفيفة إذ لكلّ منهما (٣ر١ ٪) .
وهذا يؤدّي إلى ٱلقول : إنّ نظام ٱلتّمايز يعتمد عند ٱلأداء على صفتيْ ٱلشّدّة وٱلرّخاوة أكثر مّما يعتمد على صفتي ٱلجهر والهمس .

(٢) ٱلتّنازل ٱلواضح عن صفات ٱلفضيلة (ٱلتّفشي ، وٱلصّفير وٱلإستطالة ، وٱلتّكرير وٱلإطباق ،وٱلتّأفيف)؛إذْ وصل إلى (٥٠٪) من مجمل ٱلحالات،وهذا يبرز هو ان هذه ٱلصّفات في تمايز أصواتها عند متكلمي ٱللهجات عند ٱلأداء؛

(٣) وجود حالات إدغام وبين ٱلصّوتين تباعد مخرجيّ كمافي:(ج > ت ، ش > س س > ش ، ت > ج) ويبدو أنّ ٱلصّفة ٱلمشتركة قد قامت بمهامه؛ وأزيد على حالتيْ ٱلتّبادل في (ٱلسّين والشّين) أنّه يُمكن تبرير حدوثهما بٱمتداد منطقة التّفشي إلى ٱلمخرج (ٱلأسنانيّ ـ ٱللثويّ)؛وهو مخرج ٱلسّين،فإذا تضيقت تلك ٱلمنطقة عند هذا ٱلمخرج بشكل كبير أدّى ذلك إلى حدوث ٱلسّين ، وٱلعكس أيضاً عند تحوّل ٱلسّين إلى ٱلشّين .

(٤) قيام معظم ٱلحالات على ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ يؤدّي إلى ٱلقول بوجود تساهل واضح في نقطة ٱلمخرج ،ودورها في عملية ٱلتّمايز ؛ إذ يبدو أنّ ٱلتّعويل في ذلك على مايمكن أنْ أُشبه بمنطقة مخرجيّة؛ إلّا ماكان فيحالتي ٱلإدغام (ت > د و ت > ط) إذْ يحافظ عليهما؛ لأنّ ٱلإدغام تمّ في ٱلمقابل ٱلمجهور أو ٱلمطبق .

ب ـ ٱلمماثلة ٱلتناسبيّة : سبق أن أشرتُ إلى أنّ هذا ٱلمصطلح وضعته لِلدّلالة على مفهوم ٱلرّضيّ في ٱلإدغام في (ستّ) وفي (مَحّم) وقد سبق الكلام عن ٱلأولى ؛ لِأنّها من ٱلفصحى، أمّا ٱلآن فالكلام عن ٱلثّانية (أيْ : مَحّم) ٱلتي أصلها مَعَهُم، وهي ممّا ٱمتازتْ به تميم عن غيرها، قال ٱلرّضيّ :

" كانَ ٱلقياسُ ٱلأوّلُ: أيْ قَلْبُ ٱلأوّلِ إلى ٱلثّاني ، أنْ يُقالَ مَهُّم ، بِقَلْبِ ٱلعَيْنِ هاءً ، وقِيَاسُ ٱلعَارِضِ ، وهُوَ كَوْنُ ٱلثّاني : أيْ ٱلهاءُ أدْخَلَ في ٱلحَلْقِ وأَثْقَلَ أنْ يُقْلَبَ ٱلثّاني إلى ٱلأوّلِ، فيُقالَ : مَعَّم فَٱسْتُثْقِلَ كِلاهُمَا ، ولِهَذَا كانَ تَضْعِيفُ ٱلهاءِ نَحْوَ فَهَّ وكَهَّ ٱلسَّكْرانُ ، وٱلعَيْنِ نَحْوَ دَعَّ وكَعَّ قَلِيلاً جِدّاً ، وٱسْتُثْقِلَ أيضاً تَرْكُ ٱلإدْغامِ، لِأنَّ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُما مُسْتَثْقَلَةٌ لِنُزُولِها فِي ٱلحَلْقِ، فكَيْفَ بِهِما مُجْتَمِعَيْنِ مَعَ تَنافُرِهِما ، إذِ ٱلعَيْنُ مَجْهُورَةٌ ، وٱلهاءُ مَهْمُوسَةٌ فَطَلَبُوا حَرْفاً مُناسِباً لَهُمَا أخَفَّ مِنْهُما، وهُوَ ٱلحاءُ : أمّا كَوْنُهُ أخَفَّ فَلِأنَّهُ أعْلَى مِنْهُما فِي ٱلحَلْقِ، ولِذلِكَ كَثُرَ نَحْوَ مَحَّ ودَحَّ وزَحَّ، بخلاف فَعَّ وكَعَّ وكَهَّ وقَهَّ ، وأمّا مُناسَبَتُهُ لِلْعَيْنِ، فَلِأنَّهُما مِنْ وَسَطِ ٱلحَلْقِ، وأمّا ٱلهاءُ فبٱلهَمْسِ وٱلرَّخاوَةِ ، فلِذا قَلَبَ بَعْضُ بَنِي تَمِيمٍ ٱلعَيْنَ وٱلهاءَ حاءَيْنِ وأدْغَمَ أحَدَهُما فِي ٱلآخَرِ نَحْوَ مَحُّمْ ومَحّاءُ لاءِ ، فِي مَعَهُمْ ومَعَ هَؤُلاءِ ... " (١) (*)

ج ـ ٱلإتبـاع : (قد سبق مصطلح الأتباع) وهو جنوح أصوات ٱلمدّ ٱلمتجاورة لِلتّماثل : أي إلى ٱلٱنسجام فيما بينهما حتّى لا ينتقل ٱللسان من ضمّ إلى كسر إلى فتح أو بٱلعكس في أثناء ٱلأداء تسهيلاً ،(٢) ويعرف عند ٱلمحدثين (Vowel Harmony) وأيضاً (Vowel Assimilation)

(أي ٱلٱنسجام ٱلمدّيّ) ، وهي كثيرة الشيوع في مستوى ٱللهجات وٱلقراءات حتّى أنّ معظم ٱلأمثلة ٱلّتي وقفتُ عليها عند ٱلرّضيّ تكاد تقتصر عليهما فلذا فإنّنا أُسجّل هنا سلوكاً واضحاً لِلهجات وٱلقراءات للميل نحو ٱلٱنسجام ٱلمدّيّ ٱلّذي من مظاهره ما سبق أنْ وقفتُ عليه في الميل نحو ٱلكسر من أنّ ناساً مِن بكر بن وائل يكسرون في نحو مِنْهِ ومِنهِمَا ومِنْهِم ومِنهِنَّ إتباعاً للكسر ،(٣) ويقول بعضُ تميم :

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ . (التعليق: ينظر المماثلة التناسبية في الفصل الثاني: ١٠٤) .

(٢) ينظر: في الاصوات اللغوية : ٥٥ .

(٣) ش ك ٢/ ١١ .

(*) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

مُذْ وعَضَّ وعِزِّ بالاتباع فيها، وأورد الرّضيّ أيضاً قراءة (فِي إِمِّهَا) (القصص ـ ٥٩) بالاتباع بكسر ٱلْهمزة (٢).

د ـ ٱلْمماثلة ٱلْجزئيّة : ومن أمثلة هذه الظّاهرة الّتي رصدها الرّضيّ قول حاتم : هكذا فَزْدِي أَنَهْ، أي فَصْدي. قال الرّضيّ : "أمّا ٱلإِبْدَالُ فَلِأَنَّ ٱلصَّادَ مُطْبَقَةٌ، مَهْمُوسَةٌ، رِخْوَةٌ، وَقَدْ جَاوَرَتِ ٱلدَّالَ بِلَا حَائِلٍ مِنْ حَرَكَةٍ وَغَيْرِهَا، وَالدَّالُ مَجْهُورَةٌ، شَدِيدَةٌ، غَيْرُ مُطْبَقَةٍ ... فَغَيَّرُوا ٱلْأَوَّلَ لِضُعْفِهَا بِٱلسُّكُونِ، بِأَنْ قَرَّبُوهَا مِنَ ٱلدَّالِ، بِأَنْ قَلَبُوهَا زَاياً خَالِصَةً، فَتَنَاسَبَتِ ٱلْأَصْوَاتُ، لِأَنَّ ٱلزَّايَ مِنْ مَخْرَجِ ٱلصَّادِ، وَأُخْتُهَا فِي ٱلصَّفِيرِ، وَهِيَ تُنَاسِبُ ٱلدَّالَ فِي ٱلْجَهْرِ وَعَدَمِ ٱلْإِطْبَاقِ" (٣)

وَيُنظر في هذه الظّاهرة مصطلح المضارعة حيث سُمع من ٱلعرب مضارعة الصّاد للزّاي في نحو لفظ ٱلصّاد وَٱلصادر وٱلصّراط.

وقال الرّضيّ (في مَصْدَر) : "قَبِيلَةُ كَلْبٍ تَقْلِبُ ٱلسِّينَ ٱلْوَاقِعَةَ قَبْلَ ٱلْقَافِ زَاياً، كما يَقْلِبُهَا غَيْرُهُم صَاداً؛ وذلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا تَبَايَنَ ٱلسِّينُ وَٱلْقَافُ لِكَوْنِ ٱلسِّينِ مَهْمُوسَةً وَٱلْقَافِ مَجْهُورَةً أَبْدَلُوهَا زَاياً لِمُنَاسَبَةِ ٱلزَّايِ لِلسِّينِ فِي ٱلْمَخْرَجِ وَالصَّفِيرِ وَلِلْقَافِ فِي ٱلْجَهْرِ" (٤)

ومنها أيضاً ما ذكره في إشراب ٱلْجيم وَٱلشّين ٱلْواقعتين قبل ٱلدّال صوت ٱلزّاي في نحو أَجْدَرَ وَأَشْدَق ٱلّذي نقل ٱلرّضيّ فيه عن سيبويه (*) قوله : "إِنَّ ٱلْبَيَانَ أَكْثَرُ وَأَعْرَفُ وَهٰذَا عَرَبِيٌّ كَثِيرٌ"، يخصّ به حالة ٱلشّين ويبرر الرّضيّ ذلك بأَنّ ٱلشّين تُشابه الصّاد والسّين ٱللّذين يُقلبان زاياً، وذلك لكونها مهموسة رخوة مثلهما، أمّا في حالة ٱلْميم فيعتقد ٱلرّضيّ أَنّ ٱلْجيم حُملت على ٱلشّين لأنّها من مخرجها، وَلا يجوز أَنْ يجعل ٱلشّين وٱلْجيم زاياً خالصة كالصّاد وٱلسّين، لأنّهما ليستا من مخرجها (٤)، وكلاهما في الأصوات ٱلْمتفرّعة، وهما من ٱلمستهجنة.

وذكر الرّضيّ من ٱلأمثلة الأخرى للمماثلة ٱلْجزئيّة أنّ تاء ٱلضّمير تقلب طاء عند ما يسبقها حرف مطبق (ٱلصّاد أو ٱلضّاد أو الظّاء)، فيحدث معها ما يحدث في

---

(٢) ش ش ٣ / ٢٦٣.

(٣) ش ش ٣ / ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٤) ش ش ٣ / ٢٣٣ ويُنظر : سر الصناعة : ٢٠٠.

(١) ش ش ٢ / ٢٤٣.

(*) يُنظر : الكتاب ٤ / ٤٧٩.

صيغة افتعل (وقد سبق ذكرها)،قال الرضيّ : " هذه لغة تميم وليست بالكثيرة أعني جعل الضمير طاءً،إذا كان لام الكلمة صاداً أو ضاداً ،وكذا بعد الطاء والظاء نحو فحصط برجلي،وحِصط عنه : أي حدثتُ،أحطّ وحفِظّ ،وانما قل ذلك ،لأن تاء الضمير كلمة تامة ،فلا تُغيَّر " (١)

وسبب ذلك عند الرضيّ " لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها ،وهذه الحروف مجهورة مُطبقة ،فاختاروا حرفاً مُستعلياً من مخرج التاء،وهو الطاء،فجعلوه مكان التاء ، لأنه مناسب للتاء في المخرج،والصاد،والضاد،والظاء في الإطباق " (٢) ، إن ما يحدث مع الطاء هو مماثلة كليّة لا جزئيّة،لأن التاء هو طاء بلا إطباق والعكس . قال الرضيّ : " بأن تجعل في التاء إطباقاً،فيصير طاءً " (٣) .

وعلى مثال ماسبق تحدث المماثلة الجزئية في نحو (فزت)،إذ تكسب الزاي الجهر للتاء فتحولها إلى المقابل المجهور أي تصبح دالاً فتتناسب مع الزاي في الجهر ومع التاء في المخرج (٤) ، وقد جاء هذا السلوك على مثال مايحدث في صيغة الافتعال التي سبق ذكرها .

وقال الرضيّ : " وقد شذّ قلبُ تاءِ الافتعال دالاً بعد الجيم ،لأن الجيم وإن كانت مجهورة ،والتاء مهموسة إلا أنها أقرب إلى التاء من الزاي والدال ؛ فيسهل النطق بالتاء بعد الجيم،ويصعب بعد الزاي والدال ،قال :

فقلتُ لصاحبي لاتحبِسانا بنزع أصوله واجدزَّ شيحا

ولا يقاس على المسموع منه " (٥) ، موازنةً بين وجوب القلب في ادّكر وازْدَجروشذوذه في اجدَزّ

ويمتلك الرضيّ في عموم هذه الظاهرة (أعني:ظاهرة المماثلة) تفرقة واضحة تعدّ في صميم الإدراك المنهجيّ في الدرس الصوتيّ،ويتمثل ذلك عندما وصف قلب التاء دالاً في اجدَمَعَ بأنه : " لتناسب الصوت كما في صُويق بخلاف دَولج " (٦) فما يحدث هنا بسبب التناسب (يمكن أن يكون قريباً من مفهوم المماثلة كما هي عند المحدثين) بين

---

(١) ش ش ٢٢٦/٣ـ ٢٢٧،وينظر ٢٨٧/٣ـ ٢٨٨ .
(٢) ش ش ٢٢٦/٣ .
(٣) ش ش ٢٨٧/٣ .
(٤) ش ش ٢٢٧/٣ .
(٥) ش ش ٢٢٨/٣ ، وسر الصناعة : ٢٠١/١ (للبيت) .
(٦) ش ش ٢٢٩/٣ .

ٱلْأَصوات:ٱلتَّاء ،وٱلدّال،وٱلصّوت السّابق ٱلْمجهور،أَمّافي نحو دولج فمفهوم ٱلرّضيّ يقوم على ٱلْعلاقة ٱلْمخرجيّة بين ٱلتَّاء وَٱلدّال،وإنّ ٱلذّي حدث هو اكتساب التاء ٱلْجهر لسبب ما ، ولم يستدع هذا ٱلْقلب صوتٌ مجاوِرٌكما في (فزتُ).

ومن أمثلة ٱلظّاهرة ماتمتّعت به لهجة ٱلْحجاز من ٱلنّطق ٱلْخاص بٱلْألف عند ما يمال به إلى ٱلْواو ٱلّتي عُرِفتْ بألف التفخيم على ظاهرةٱلْأصوات ٱلمتفرّعة ٱلْمستحسنة .

ومنها ماحدث عند بعض ٱلْعرب في إدغام ٱلنّون ، إذْ قال ٱلرّضيّ : " وَبَعْضُ ٱلْعَرَبِ يُدْغِمُهَا فِي ٱللَامِ وَٱلرَّاءِ مَعَ الغنّة أيضاً ضنّاً بفضيلة النُّونِ ؛ فَلَا يَكُونُ ٱلْإِدْغَامُ إِذَنْ إِدْغَاماً تَامّاً " (١) .

٧ـ ظَاهرة ٱلْإِبْدَال : وقفَ الرّضيّ عند دراسته لهذه ٱلظّاهرة على مظاهر لهجيّة تفوق كثيراً ماعدّه من ٱلْفصحى مِمّاوقفتُ على رصده في الجدول الرقم (٦)

وللوقوف على طبيعة ٱلتّطورات الصّوتيّة الخاصة بهذه الظاهرة فقد عملت الجدول رقم (٨) على ٱلشّكل ٱلْآتي :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٧٣ .

جدول رقم (٨) لحالات الابدال في اللهجـــات

ينظر لحالات الإبدال : ش ش ٣/ ٢١٥ـ ٢٣٣ .

	حرف البدل ومخارجه	الحرف المبدل منه	مخرج المبدل منه	الصفات المكتسبة (+): الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفات المتنازل عنها (-): الصفة الفضيلة	الملاحظات
٠١	ش (غاريّ)	ك	طبقيّ			-	+	+تفشي	شين الكشكشة بدل من كاف المؤنث .
٠٢	ث (أسنانيّ)	ف	شفوي أسنانيّ					-تأفيف	ثروغ الدّلو وفروغه .
٠٣	ب (شفوي)	م	شفـويّ					- غنة	في : ما أسبك ؟
٠٤	ح (حلقي)	خ	طبقيّ						قال : يَنْفَحْنَ مِنْهُ لَهَباً مَنْفُوحا / السّنخ > السّنح . (أي ينفخن ... منفوخاً)
٠٥	ر (لثوي)	ل	لثوي					+ تكرير	نثر الدّرع ونثله .
٠٦	ف شفويّ ، أسنانيّ	ث	أسناني					+تأفيف	ثُمّ وفُمّ / وجدث وجدف .
٠٧	ك (طبقيّ)	ق	لهويّ						عربيٌّ كحٌّ وقحٌّ .
		ت	أسناني لثويّ						عصيكا (الرّضي : يجوز أنْ يكون وضع الضّمير المنصوب مقام المرفوع) .
٠٨	ع (حلقيّ)	ء	حنجريّ						عنعنة تميم : (أعَنْ ترسّمتَ ...)
٠٩	ء (حنجريّ)	ع	حلقيّ						عُباب بحرٍ > أُباب بحرٍ .
١٠	ي (غاريّ)	ج	غاريّ			-	+	+لـين	شجرة وشجيرة > شيره وشييرة .
١١	م (شفويّ)	ل	لثويّ					+ غنة	(لَيْسَ مِنَ امبرِّ امصيام في امسـفر .)
		ن	لثويّ						البنان > البنام / طامه الله على الخير أي طانه .
		ب	شفويّ			-	+	+ غنة	بنات بخرٍ > بنات مخر / رتباً > راتماً / كثب وكثم .
١٢	ن (لثويّ)	ل	لثويّ					+ غنة	لعلّ > لعنّ .
١٣	ت (أسنانيّ لثـويّ)	س	أسنانيّ ، لثويّ			+	-	- صفير	طسوس > طسوت / النّاس > النّات / أكياس > أكيات
		ب	شفويّ	-	+				ذعالب > ذعالت .
		ص	(أسنانيّ لثويّ)			+	-	- صفير - إطباق	لصّ > لصت ، وجمعوه على لصوت .
		ط	(أسنانيّ لثويّ)					- إطباق	فسطاط > فستاط .

	حرف البدل ومخارجه	الحرف المبدول منه	مخرج المبدل منه	الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفة الفضيلة	الملاحظات
				الصفات المكتسبة (+) التنازل عنها (—)					
١٤	هـ (حنجري)	ء	حنجريّ			—	+		أنرت الثّوب > هنرت الثّوب ، وهرحت الدابة أي: أرحتها، وهردت أي: أردتُ ، إيّاك > هيّاك، وطيء تقلب إنْ الشّرطية إلى هِنْ ، وحكى قطرب: هزيدٌ منطلقٌ ؟ وقال : فقلن هذا الذّي، أي: أذا وأيا > هيا (للنّداء) .
١٥-	ل (لثوي)	ض	بين أضراسيّ					- استطالة وإطباق	في : أضطجع > الطجع .
		ن	لثويّ					— غنة	أصيلان > أصيلال
١٦-	ط أسنانيّ- لثويّ	ت	أسنانيّ لثويّ					+إطباق	فحصت > فحصط ، فندتميم (المماثلة) .
١٧	د أسنانيّ لثوي	ت	أسنانيّ- لثويّ	+	—				فزتُ > فزدُ ، (المماثلة) .
١٨	ج (غاريّ)	ي	(غاريّ) المشدّدة والخفيفة			+	—	— لين	الأيّل > الأجّل
						+	—	— لين	أمسجتْ وأمسجا > أمسيت وأمسيا .
١٩	ز أسنانيّ- لثويّ	س	أسنانيّ لثويّ	+	—				السّراط > الزّراط .
		ص	أسنانيّ لثويّ	+	—			— إطباق	الصّراط > الزّراط ، فصدي > فزدي، (قول حاتم). صقر > زقر (كلبية) .

– ملاحظات حول جدول حالات الإبدال في اللهجات :

١– جرى الحفاظ على صفات : الجهر ، والهمس ، والشّدة ، والرّخاوة ؛ إذ جاء التّنازل عنها بنسبة واطئة، وهي على التّوالي (٥% ، ١٧%، ٢٠%، ٢٠%) من مجموع حالات الإبدال البالغ (١٩) حالة .

وبالجملة فإنّ هذا يجعل لهذه الصّفات أثراً مهماً في التّمايز عند الأداء .

٢ـ جرى تنازل عن الصّفات ٱلفضيلة (أي : ٱلتّأفيف ، وٱلتّكرير ، وٱلإطباق ، وٱلصّفير ، وٱلاستطالة ، وٱللين وٱلغنّة) بنسبة ٥٠٪ويبدو أنّ ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ بين ٱلصّوتين عاملاً فعّالاً في هذا ٱلتّنازل (ينظر الحالات : م > ب / س > ت / ص > ت / ط > ت / ض > ل / ن > ل / يّ > ج / يْ > ج / ص > ز) .

٣ـ وجود حالات إبدال وبين ٱلصّوتين تباعد مخرجيّ كما في :(خ > ح / ت > ك / ل > م / ن > م / ب > ت) .

ويبدو ان الصفة المشتركة قد قامت مقام ٱلمخرج في التّقارب فحدث ٱلإبدال ،وهذه ٱلنّقطة تؤكّد دور ٱلصّفات (كما في ٱلنّقطة الأولى) في عمليّة التّمايز .

٤ـ جاء معظم ٱلحالات مقترنة بٱلتّقارب ٱلمخرجيّ بين ٱلصّوتين (وهذا يؤدّي إلى ٱلقول بعدم ٱلإعتبار لِلنّقطة ٱلمخرجيّة والتّعويل على منطقة المخرج) .

ـ موازنة بين ملاحظات جدولي الادغام والابدال في اللهجات :

١ـ تبرز صفتا ٱلرّخاوة وٱلشّدّة عاملاً فعّالاً في ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ عند ٱللهجات ؛ فلم يُتنازل عنهما في ٱلحالتين إلّا بمقدار طفيف ؛ أمّا صفتا ٱلجهر وٱلهمس فليستا بذلك ٱلإعتبار لورود التنازل عنهما بمقدار واضح في حالة الادغام .

٢ـ ٱلتّنازل واضح جداً عن ٱلصّفة ٱلفضيلة بـ (٥٠٪) لكل من ٱلحالتين ،ويبدو أنّها ليست بتلك الهالة ٱلّتي وضعها ٱلرّضيّ فيها في عمليات ٱلإدغام .

٣ـ ٱلإعتبار بالمنطقة ٱلمخرجيّة ٱلضّيّقة في عمليّة ٱلتّمايز ٱلمخرجيّ دون ٱلإعتماد على ٱلنّقطة ٱلمخرجيّة؛لإشتراك ٱلحالتين بوجود ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ بين ٱلصّوتين .

٩ـ ٱلسّلوك ٱلصّوتي لِلّهجات وٱلبنية ٱلصّرفيّة :

آـ تفريعات لهجة تميم : لقد أدّى تباين ٱلسّلوك ٱللّهجي تجاه ٱلحركات إلى تفضيل بعضها داخل ٱلبنية أوماكان في ٱلظّواهر ٱلّتي سبق أن عرضتها في هذا ٱلبحث ٱلّتي تكاد تكون جميعها بياناً لموقف ٱللّهجات من ٱلحركات سوى ماكان من ظاهرة ٱلإبدال ،وبعض مظاهر ٱلمماثلة ؛ أقول:لقد أدّى هذا ٱلتّباين إلى تأثير خطير في ٱلدّرس ٱلصّرفيّ ٱلعربيّ ٱلذي يتداخل فيه ٱلاعتبارات ٱللّهجيّة مع اعتبارات ٱللغة ٱلفصحى (على ما وضحته في الأسس ٱلفكرية ٱلّتي هي ٱلمنهج النّظرى للرّضيّ) ؛ وهو مالم يغب عن إدراك ٱلرّضيّ ؛إذ جعل في بعض وقفاته ٱلإستطراديّة على كلام ٱبن ٱلحاجب ما يمكن أن تكون فقرة خاصّة في تفريعات لهجة تميم .

فغي ٱلأوزان ٱلصّرفيّة ،وعلى ماقدمه تبدو تميم أكثر تطرّفاً من قبائل ٱلعرب في نظامها ٱلصّرفيّ ؛ ولكن ٱلحقيقةَ أنّ هذه القبيلة ربّماتكون أكثر محافظة على ٱلأصول التّاريخيّة للبِنْية اللغويّة بحسب ماقدّمه الدّكتور إبراهيم أنيس (وقد ذكرته في ظاهرة التّخفيف). وقال ٱلرّضيّ (والكلام خاصّ بوزن الثّلاثيّ) : "وَجَمِيعُ هٰذِهِ ٱلتَّفْرِيعَاتِ فِي كَلَامِ بَنِي تَمِيم ، وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْحِجَازِ فَلَا يُغَيِّرُونَ ٱلْبِنَاءَ وَلَا يُفَرِّعُونَ [1] " ويمتلك ٱلرّضيّ في هذا ٱلجانب تصوّراً واضحاً عمّا عُرف في الدّرس الحديث بالتحوّل الدّاخليّ ٱلّذي يَبرز عند ٱلمستشرق ٱلشّهير هنري فليش (في كتابه: ٱلعربيّة ٱلفصحى) من خلال قوله بإمكانيّة ردّ بعض ٱلأوزان إلى بعض، وبإمكانيّة وجود أصل يتولّد عنه ؛ إذ قال الرّضيّ: "يَعْنِي بِرَدِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ أَنَّهُ قَدْ يُقَالُ فِي بَعْضِ ٱلْكَلِمِ ٱلَّتِي لَهَا وَزْنَانِ أَوْأَكْثَرُ مِنَ ٱلْأَوْزَانِ ٱلْمَذْكُورَةِ قَبْلُ : إِنَّ أَصْلَ بَعْضِ أَوْزَانِهَا ٱلْبَعْضُ ٱلْآخَرُ كَمَا يُقَالُ فِي فَخْذٍ – بِسُكُونِ ٱلْخَاءِ – إِنَّهُ فَرْعُ فَخِذٍ بِكَسْرِهَا " [1] ،وآتي على فكرته في التّفريع بشيء من ٱلتّلخيص وٱلبَساطة؛ إذ إنّها لم تَخْلُصْ من تداخلٍ شديدٍ لِكثرة ٱستطراداته بذكر أوزان أُخرى لِلأفعال وٱلأسماء [٣] ،يذكر ٱلرّضيّ أنَّ فَعِلاً (ٱلحلقيّ ٱلعين) فِعْلا كَانَ كَشَهِدَ أو ٱسْماً كَفَخِذٍ يَطّرد فيه ثلاثة تفريعات أطراداً لاينكسر، وٱثنان من هذه ٱلفروع يشاركه فيهما ما ليس عينه حلقيّاً، وهي :

١ـ فِعِل (إتباع فائه لعينه) ويختصّ به ٱلحلقيّ ،وقد يجيء منه من فَعَل بكسر فتح مابعد ٱلحلقيّ إتباعاً لكسر ٱلحلقيّ ،كما قيل في خَبَق على وزن هِجَفّ لِلطّويل : خِبِق ؛ وَأَمَّا أهلُ ٱلحجاز، فنظروا إلى أنّه حق حروف ٱلحلق إمّا فتحها أو فتح ماقبلها .

٢ـ فَعْل (بفتح ٱلفاء ،وسكون ٱلعين) نحو شَهْد في ٱلفعل وفَخْذ في ٱلاسم ، وهوأوّل ٱللغتين ٱللتين يشترك فيهما ٱلحلقيّ وغيره ؛ وفي غير ٱلحلقيّ جاء عَلْم في ٱلفعل وكَبْد في ٱلاسم .

---

(١) ش.ش ١/ ٤٠ .

(٣) ينظر في الآتي: ش.ش ١/ ٤٠ـ ٤٧ .

قال ٱلرّضيّ : وانّما سكّنوا ٱلعين كراهة ٱلٱنتقال من ٱلٱخفّ أي ٱلفتح إلى ٱلأثقل منه أي ٱلكسر في ٱلبناء ٱلمبني على ٱلخفّة :أي بناء الثّلاثيّ ٱلمجرد ،فسكّنوه ؛ لأنّ ٱلسّكون أخفُّ من ٱلفتح،ولمثل هذا قالوا في كَرُمَ ٱلرَّجُلُ : كَرْمَ ،وفي عَضُد : عَضْد ،بٱلإسكان،وقولهم : لَيْسَ مِثْل عَلْمٍ في عَلِمٍ . ش ش ١/٤٢

٣- فِعْل (بكسر ٱلفاء، وسكون ٱلعين) ثاني ٱللغتين ٱللّتين يشترك بهما ٱلحلقيّ مع غيره نحو شِهْد وفِخْذ في ٱلحلقيّ وكِبْد وكِتْف في غيره ، ولم يُسمع في غير ٱلحلقيّ في ٱلفعل ، وحكي فطرب في ٱلمبنى لِلمفعول نحو : ضِرْب زيدٌ . كما قيل : قِيْل وبِيْع ورِدَّ،و هو شاذ ،ونبّه ٱلرّضيّ إلى أنّ ٱلحلقيّ منه يمكن أنْ يكون فرع فِعِل ٱلمكسور ٱلفاء وٱلعين كما تقول في إِبِل : إِبْل ،أو يجوز حدوث قلب مكانيّ بين ٱلحركة وٱلحرف:أي نقل حركة ٱلعين إلى ٱلفاء كراهة ٱلٱنتقال من ٱلأخفّ إلى الأثقل (أي : فَعِل ←—— فِعْل)،وكرة حذف أقوى ٱلحركتين ، أيٱلكسرة، وٱلذي من غير ٱلحلقيّ لا يكون إلّاعلى ٱلوجه ٱلثّاني؛لأنّه لا يجوز فيه فِعِل بالاتباع .
و قد ذكرتُ في ٱلتّخفيفإنّ ٱلرّضيّ يذكر هذا التخفيف في غير الثّلاثيّ،وفي ما يتجاوز به إلى مستوىٱلسلسلة ٱلصّوتيّة .
ويقول ٱلرّضيّ في (فُعُل وفُعْل) :ولقائل أنْ يقول : بل ٱلسّاكن ٱلعين فيمثله فرع لمضمومها كما هو كذلك في عُنُق ٱتّفاقا .
وبدا لي أنّ ما يقترحه ٱلرّضيّ في ٱلخفة وٱلثقل هو ٱلمسؤول عن مجانفة ٱلصّواب في ٱلقول بفرعية المخفف،وخاصّةً أنّ ٱلرّضيّ يردّ به على من ذهب إلى ٱلٱعتماد في فرعيتها على قلّة ٱلٱستعمال فعُسْر ويُسْر بٱلسّكون أشهر منها بٱلضّمّ ، فيكون ٱلضّمّ فرع ٱلسّكون .

قال الرّضيّ : " فَٱلجَوَابُ:إِنَّ ثِقَلَ ٱلضَّمَّتَيْنِ أَكْثَرُ مِنَ ٱلثِّقَلِ ٱلحَاصِلِ في سَائِرِ ٱلأُصُولِ ٱلمَذْكُورَةِ ،فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَحْمِلَ تَضَاعُفُ ٱلثِّقَلِ في بعض ٱلكَلِمَاتِ عَلَى قِلَّةِ ٱسْتِعْمَالِهَا مَعَ كَوْنِهَا أَصْلاً " (١) ويعزّز ذلك بقوله: " وَإِذَا كَانَ ٱلٱسْتِثْقَالُ فِي ٱلأَصْلِ يُؤَدِّي إِلَى تَرْكِ ٱسْتِعْمَالِهِ أَصْلاً كَمَا فِي نَحْوِ يَقْوُلُ وَيَبْيِعُ،وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَى فَمَا ٱلمُنْكَرُ مِنْ أَدَائِهِ إِلَى قِلَّةِ ٱسْتِعْمَالِهِ) (١) .
ويختم ٱلرّضيّ وقفته هذه بأنّ (فَعْل) إذا كان حلقياً ساكناً جاز تحريكه بٱلفتح نحو ٱلشَّعْر وٱلشَّعَر،وٱلبَحْر وٱلبَحَر،ومثلها لغتان عند ٱلبصريين في بعض ٱلكلمات

---

(١) ش ش ١/٤٦.

وليست إحداهما فرعاً عن الأخرى؛ أمّا الكوفيون فجعلوا المفتوح العين فرعاً لساكنها ورأوا هذا قياساً في كل فَعْل شأنه ما ذكرنا ، وذلك لمناسبة حرف الحلق للفتح ، وتبرز هذه المناسبة عند الرّضي فيما كان من التّقارب المخرجيّ بين الفتحة ، وحرف الحلق لكون الفتحة بعض الألف (الحلقيّ) ؛ " فَيَكُونُ قَبْلَهَا جُزْءٌ مِنْ حَرْفٍ مِنْ حَيِّزِهَا " (١)

وفيما توالت فيه فتحتان رأى الرّضيّ أنّ الحذف لا يتمّ لخفة الفتحة ، وما جاء فيه ذلك فشاذٌ ضرورة نحو قوله :

وَمَا كُلُّ مُبْتَاعٍ وَلَوْ سَلْفَ صَفْقُهُ بِرَاجِعِ مَاقَدْ فَاتَهُ بِرَدَادِ (٢) .

ب ـ تَخْفِيفُ الْهَمْزَة من أبرز المظاهر اللهجيّة ، ما كان من التّخلّص من نطق الهمزة عند الحجازيّين ، ولا سيّما قريش ، وقد لخّص الرّضيّ سبب هذا السّلوك بقوله : " اعْلَمْ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَمَّا كَانَتْ أَدْخَلَ الْحُرُوفِ فِي الْحَلْقِ ، وَلَهَا نَبْرَةٌ كَرِيهَةٌ تَجْرِي مَجْرَى التَّهَوُّعِ ، ثَقُلَتْ بِذَلِكَ عَلَى اللِّسَانِ الْمُتَلَفِّظِ بِهَا ، فَخَفَّفَهَا قَوْمٌ ، وَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَلَا سِيَّمَا قُرَيْشٌ ، رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) على ما سبق في مصطلح النَّبْر ... وَحَقَّقَهَا غَيْرُهُمْ ، وَالتَّحْقِيقُ هُوَ الأَصْلُ كَسَائِرِ الْحُرُوفِ وَالتَّخْفِيفُ اسْتِحْسَانٌ " (٣) .

وما يقوله الرّضيّ في أصالة التّحقيق مقبولٌ من النّاحية التّاريخيّة ، إذ ثبت أنّ الهمزَ أصلٌ في السّاميّة ، وقد مالت اللهجات السّامية إلى التّخلّص منه أيضاً ويبدو أنّ الحجازيّة تبعتها في هذا الصّوت الاحتباسيّ الحنجريّ (٤) ، الّذي تبنّته الفصحى ، فجُعِل لأجل هذا نمطاً صوابيّاً يروم النّاطقون العرب إبرازَه ممّا أدّى إلى بروز تغييرات تدخل في ، ضمن ما يُعرف بالتّفصح أو مراعاة المستوى الصّوابي وسآتي على ذكرها قريباً بعون الله . والمتأمّل هذا الصّوت ووظيفته الفينولوجيّة في العربيّة يجد أنّه في أغلب مواقعه وهي سوى (همزة القطع) لا يشكل فونيماً مميّزاً للمعاني ، فنحن لا نجدُ فرقاً في المعنى بين

---

(١) ش ش ١ / ١١٩ .

(٢) ش ش ١ / ٤٤ ، والبيت في شرح شواهد الشافية ، وهو الجزء الرّابع من ش ش (٤ / ١٨) وعنه أنّ ابن عصفور ذكره في الضّرائر .

(٣) ش ش ٣ / ٣١ ـ ٣٢ .

(٤) ينظر : اللهجات العربية الغربية : ٢٣٦ ، في اللهجات العربية : ٧٧ ، القراءات القرآنية : ١٨

كلمتيّ:قائل،وقايل،وحمراء،وحمرى،وأمّا ماكان من نحو سال من سأل وسال لسيل ٱلماء فنيه ولي أنّ سياق ٱلْكلام هو ٱلمسؤول عن ٱلْمعنى ٱلْمراد لا ٱلْهمز .

فالحقيقة أنّ ٱلْهمزَ كما يبدو وما هو إلّا سلوك نبّري في ٱلْكلمة ٱلْعربيّة عبّرعنه بهـــذا ٱلرّمز،وإنّ التّسمية ٱلقديمة للهمز(أيْ النّبر)موفقةٌ جدّاً في ٱلْوقوف على حقيقة هـــذا ٱلصّوت .

ويمكنني من هذا أنْ أفسّر تبادله مع أصوات ٱلمدّ بأنّ ٱلْحجازيّة تميل إلى نوعٍ آخـــر من ٱلنّبر وهو النّبر ٱلطّوليّ أمام غيرها ٱلّتي مالتْ إلى ٱلنّبر ٱلتّوتريّ ٱلّذي يمثّله نطق ٱلْهمزة (١) ، وفي كلتا ٱلْحالتين فٱلْعربيّة تتمتّع بثبات عام في نظامها ٱلنّبـــريّ ٱلْخاص بٱلْبنية ٱللّغوية (ٱلْمفردة) ،وقد وقفتُ على نضج فكرة الرّضيّ هنا فـــي (مصطلح ٱلنّبر ، فينظر)وتُعرَف هذه ٱلْعمليّة بين ٱلْفونيمات في الدّرس ٱلْحديـــث بٱلْفونيم ٱلرّئيسيّ وٱلتّحييد (Archiphoneme and Neutralization) (٢)

ولهذا فوظيفة ٱلْهمزة هنا تتحدّد بأنّها وظيفة تباينيّة وليست تمييزية ويعرف(أندريه مارتينيه) ٱلْوظيفة التباينيّة فيقول "إنّ ٱلصّوت ٱللّغويّ يساعد في أنْ يُسهِّلَ علـــى ٱلسّامع عمليّة تحليل ٱلْكلام إلى وحدات متعاقبة "(٣)،وهذه ٱلْوظيفة " غالباً ماتكون منوطة بالنّبر في أكثر ٱللّغات المعروفة "(٤)،وذلك ينسجم مع كون الهمز أحد أنواع ٱلنّبر (كما قدّمتُ)،وقد " كانت ٱلْعرب تنبر بأشكال مختلفة منها ٱلْهمز والمدّ "(٥) وكانت النتيجة في عمليات الاستبدال ههنا بروز بُنىً مخففة إلى جانب ٱلْبنى ٱلْمهموزة، وممّا يمكن أن يكون تأكيداً للوظيفة التّباينيّة الخاصّة بالهمزة ماذكره ٱلرّضي تخلّصـــاً من ٱلتقاء السّاكنين وأولهما لين (وعند الدرس الحديث هو القطع الرابع ص م ص) على نحو مايحكى عن أبي أيوب ٱلسّجستانيّ في الشواذ (وَلَا ٱلضَّأَلِّينَ) (الفاتحة ـ ٧) ودأبّة وشأبّة،وما قرأ به عمرو بن عبيد:(عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَأَنٌّ) (الرّحمٰن ـ ٣٩) بٱلْهمز وٱلتحريك،وقد قُرِئ أيضًا :(يُضَاهِئُونَ)(ٱلتّوبة ـ ٣٠)،و(بِٱلسُّؤْقِ وَٱلْأَعْنَاقِ) (ص ـ ٣٣) كما مرّ في ٱلْاتّجاه ٱلثّالث من ٱلْفصل ٱلثّاني ، ومنه ماأورده عن ٱلْحجاج في قولـــه :

---

(١) ينظر : القراءات القرآنية ١٠٥ و ١٠٩ .

(٢) الفونيم ٱلرّئيسيّ : أسرةٌ من ٱلْفونيمات أُبطل ٱلتّمييز بينها في مواقع معينـــة ، فقد اختلت وصارت فونيماً واحداً،ومثال ذلك إبطال التّمييز بين الطّاء والتّاء فـــي صيغة الافتعال ،والتاء والهاء في نحو:قادمة والتّحييد مصطلح هذه العمليـــة اي : ابطال التميز بين اكثر من فونيم في مواقع معينة (ينظر : دراسة الصّوت : ٢١٧،وايضا:أسس علم اللغة : ٨٩،حاشية (١) ،مدرسة براغ اللغوية : ٢٨-٢٩،

(٣) عن نظرة في الاعلال : ١٧٩ (٤) نفسه : ١٧٩-١٨٠، (٥) نفسه : ١٨٠

يادارُ سَلْمَى ياسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي فخندِفٍ هَامَةُ هٰذَا الْعَأْلَمِ ،

وأيضاً،ماحكاه اللحيانيّ في بأز (١) وأنشد أبو علي (٢) :

لَحَبَّ الْمُؤْقِدِيْنَ إِلَيَّ مُؤْسَى

وفي اعتقاد الرّضيّ أنّ هذا " لَيْسَ فِرَاراً مِنِ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ،وَلٰكِنْ لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيْ الْأَلِفِ وَالْهَمْزَةِ " (٣)

ويمكن أن أفسر هذا في ضوء المبالغة أو الإسراف في المدنيّة على ما يقول فندريس (٤) أو التّفصح مراعاة للمستوى الصّوابيّ،وقد أبرزت نماذج القراءات مبالغة في ذلك فقد ذكر الرّضيّ عن قرّاء أهل الكوفة وابن عامر تحقيق الهمزتين والمعروف أنّه " لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ تَلْتَقِي هَمْزَتَانِ،فَتُحَقَّقَا " (٥)،وكذلك نقل الرّضي : " إِنّ أَهْلَ التَّحْقِيقِ يَعْنِي غَيْرَ أَهْلِ الْحِجَازِ يُخَفِّفُونَ إِحْدَاهَا،وَيَسْتَثْقِلُونَ التَّحْقِيقَ فِيهِمَا ،كَمَا يَسْتَثْقِلُ أَهْلُ الْحِجَازِ تَحْقِيقَ الْوَاحِدَةِ " (٦)،وممّا نقل الرّضيّ في السّلوك تجاه الهمز ما كان من قراءة أبي عمرو الّذي يحذف أولى المتفقتين (في الحركة) نحو : (أَوْلِيَاءُ أُولٰئِكَ) (الاحقاف ـ ٣٢) و (جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (محمد ـ ١٨) و (مِنَ السَّمَاءِ إِنْ) (الشّعراء ـ ١٨٧)،ونقل عن ورش وقنبل في ثانية المتفقتين قلبها حرف مدٍّ صريحاً أي:ألفاً،إن انفتحت الأولى وواواً إن انضمّت وياء إن انكسرت (٧).

وجاءت قراءة الكسائيّ بتخفيف ما أوله همزة الاستفهام من (رأى) المتّصل به التّاء والنّون أي : أرأيتَ ← أريتَ (٨) .

ومنه أيضاً ،قال الرّضيّ : " وَقَدْ تُسَهَّلُ الْهَمْزَةُ مِنَ اللاءِ بين الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ ،لِكَوْنِهَا مَكْسُورَةً عَلَى مَا هُوَ قِرَاءَةُ وَرْشٍ:(اللاءِ يَئِسْنَ) (الطّلاق ـ ٤) ،وقد يُقال : اللايْ بياءٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَ الْأَلِفِ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ كَقِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو وَالْبَزِّيِّ " (٩)،وقرأ الأخفش : (واللاءِي يأتين من نسائكم) (البقرة ٢٢٦) (١٠).

وما أدخل في باب المبالغة في التّحقيق ما اشتهر من تميم من (العنعنة) ، قال الرّضي " وَتَكُونُ الْعَيْنُ بَدَلاً مِنَ الْهَمْزَةِ في أَنْ وَهِيَ عَنْعَنَةُ تَمِيمٍ ،قال :

---

(١) ش ش ٣/ ٢٠٥ .

(٢) ش ش ٣/ ٣٠٦ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٠٤،وينظر:٢/ ٢٥٠ .

(٤) اللغة :٨٠ .

(٥) الكتاب : ٣/ ٥٤٩ .

(٦) ش ش ٣/ ٦٥ .

(٧) ش ش ٣/ ٦٥ـ ٦٦ ،وينظر: السبعة:١٣٨ـ١٤٠ .

(٨) ش ش ٣/ ٣٧ ،وينظر: السبعة: ٢٥٧ .

(٩) ش ك ٢/ ٤١،وينظر: ٢/ ٤٠٤ .

(١٠) ش ك ٢/ ٤١ .

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً   مَاءُ ٱلصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْك مَسْجُومُ (١)

ويبدو أنَّ ٱبنَ دريد قد أدرك هذه ٱلْمبالغة من تميم ، حيثُ قال : " لِأَنَّ بِنِي تَمِيم يُحَقِّقُونَ ٱلْهَمْزَةَ فَيَجْعَلُونَهَا عَيْناً فيقُولُونَ:هذا خِبَاعُنَا ؛ يُريدون : خباؤُنــا " (٢) وذكر لـيتمان ، إنَّ هذه ٱلظَّاهرة عريقة في السَّاميات،وقد سمع (٣) من أهل ٱلْحبشـة .

ويقيم ٱلرّضيّ هذه ٱلظَّاهرة من خلال ٱلْعلاقة ٱلْمخرجيّة،يقول : " ... ومَنْ قــال : إنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ ،فَلِقُرْبِ مَخْرَجَيْهِما ،وَلِذَا أُبْدِلَ مِنْهُ ٱلْعَيْنُ ،نَحْوَ قَوْلِهِ : أَعَنْ تَرَسَّمْتَ (٤) " وهي في نظرة لاتعدو أنْ تكون موطناً من ٱلْمواطن ٱلّتي تتجلّى فيها ظاهرة ٱلْإبـدال ٱلّتي يسعى ٱلرّضيّ فيها دائماً لإبراز العلاقة ٱلْمخرجيّة بين الصّوتين .

٩ـ ٱلسّلوك الصّوتيّ للهجات والوقف :

على ماقدّمتُ في ٱلْبحث الأوّل من هذا ٱلْفصـــل فإنَّ ٱلْوقف يعدّ من المواقع ٱلّتي تبرزفيها ٱلتّغييرات ٱلصّوتيّة ،وقد ذكرت أسباب ذلك عن ٱلرّضيّ وٱلْمحدثين ، و مظاهر ٱلْوقف هي :

أ ـ ٱلْإسْكانُ : لُغة ربيعة،إذ يجيزون إجراءَ ٱلْمنصوب ٱلْمنون مجرى ٱلْمرفوع وٱلْمجرور ، قال ٱلشّاعر :

وَآخِذُ كُلِّ حَيٍّ عُصُــمْ (٥)

ب ـ ٱلْهمز : قال ٱلرّضيّ : " يَعْنِي قَلْبَ أَلِفِ ٱلْمَقْصُورِ،وَقَلْبَ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْأَلِفَاتِ ،سَوَاءٌ كَانَتْ لِلتَّأْنِيثِ ،أَوْ لِلْإِلْحَاقِ كَمِعْزَى،أَوْلِغَيْرِهَا نَحْوَ يَضْرِبُهَا ، فَإِنَّ بَعْضَ ٱلْعَرَبِ يَقْلِبُهَا هَمْزَةً " (٦) ،ويعلّله بقوله : " وَذٰلِكَ لِأَنَّ مَخْرَجَ ٱلْأَلِفِ مُتَّسِعٌ ،وَفِيـهِ ٱلْمَدُّ ٱلْبَالِغُ ، فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهِ خَلَّيْتَ سَبِيلَهُ،وَلَمْ تَضُمَّهُ بِشَفَةٍ وَلَا لِسَانٍ وَلَا حَلْقٍ كَضَمِّ غَيْرِهِ ،فَيَهْوِي ٱلصَّوْتُ إِذَا وَجَدَ مُتَّسَعاً حَتَّى يَنْقَطِعَ آخِرُهُ فِي مَوْضِعِ ٱلْهَمْزَةِ ،وَإِذَا تَفَطَّنْتَ،وَجَدْتَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ " (٦) ، أعتقدُ أنَّ مايعبّر عنه ٱلرّضيّ هنا يمكنُ أنْ يكون تعبيراً آخر عن رأي هنرى فليش،في وجود توتر في نهاية الصّوائت يمتــاز في ٱلْعربيّة بقوّته ٱلّتي،أشرتُ إليها فيما سبق .

جـ ـ قلب الألف ياءً : قال ٱلرّضيّ : " اعْلَمْ،أَنَّ فزارةَ وناساً من قَيْسٍ يَقْلِبُونَ كُلَّ أَلِفٍ فِــي ٱلْآخِرِ يَاءً سَوَاءٌ كَانَتْ لِلتَّأْنِيثِ كَحُبْلَى أَوْلَا كَمُثَنَّى ؛ كَذَا قَالَ ٱلنُّحَاةُ وَخَصَّ ٱلْمُصَنِّفُ بِأَلِفِ حُبْلَى،وَلَيْسَ بِوَجْهٍ " (٧) .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣،البيت في مجالس ثعلب: ١ / ٨١،الخصائص: ٢ / ١١ .
(٢) عن لهجة تميم : ٨٨ .
(٣) نفســه : ٨٩ .
(٤) ش ش ٣ / ٢٠٨ .
(٥) ش ش ٢ / ٢٧٢ و ٢٧٩ .
(٦) ش ش ٢ / ٢٨٥ .
(٧) ش ش ٢ / ٢٨٦،وينظر: ٣ / ٢١٠ .

وقال الرضي (معللاً) : " وإنَّمَا قَلَبُوهَا يَاءً لِأَنَّ ٱلْأَلِفَ خَفِيَّةٌ . . . فَيُبْدِلُونَهَا إِذَنْ فِي ٱلْوَقْفِ حَرْفاً مِنْ جِنْسِهَا أَظْهَرَ مِنْهَا ، وَهِيَ ٱلْيَاءُ " (١) .

والّذي جرى في ٱلْحقيقة أنّه يتمّ عند ٱبتداء ٱلنّطق بٱلألف رفع مقدّمة ٱللسان إلى موضع إصدار شبهة ٱلصّامت (يْ) فكأنَّ صَوْتَ ٱلْأَلِفِ قد جُزّئ إلى جزئين (ٱلْفتحة + يْ) وطيء تفصّلها وقفاً ووصلاً (١) .

د ـ قلب ٱلألف واواً : وذلك كما يفيد ٱلرّضيّ ؛ لأنَّ الواو أبين من الياء " وَٱلْقَصْدُ ٱلْبَيَانُ ، وَٱلْيَاءُ أَكْثَرُ مِنَ ٱلْوَاوِ فِي لُغَةِ طَيِّءٍ فِي مِثْلِهِ . . . وَٱلَّذِينَ يَقْلِبُونَهَا وَاواً يَدَعُونَ ٱلْوَاوَ فِي ٱلْوَصْلِ بِحَالِهَا فِي ٱلْوَقْفِ " (١) .

ويعلّل ٱلرّضيّ ٱلحالتين السّابقتين فيقول : " وَإِنَّمَا قُلِبَتْ وَاواً أَوْيَاءً لِتَشَابُهِ ٱلثَّلَاثَةِ فِي ٱلْمَدِّ وَسَعَةِ ٱلْمَخْرَجِ " (١) .

والّذي أرى أنّ الّذي يحدث هنا مثل ما حدث مع الياء غير أنّ الّذي يرتفع في هذه ٱلْحالة هو مؤخرة ٱللسان إلى نقطة إصدار ٱلواو الاحتكاكيّة (وْ) .

هـ ـ إشباع ٱلحركة ٱلإعرابيّة : وهو عمل أزد ٱلسّراة فيما زعم عنهم أبو ٱلخطاب ، إذ قال ٱلرّضيّ : " زعم أبو ٱلخطاب أنّ أزدَ ٱلسّراةِ يَقُولُونَ : هٰذَا زَيْدُو ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدِي ، كَمَا يُقَال : رَأَيْتُ زَيْدَا ، حِرْصاً عَلَى بَيَانِ ٱلْإِعْرَابِ " (٢) .

وعند ٱلرّضيّ أنّ هذا ٱلوقف يتمّ عن طريق ٱلقلب ، أي قلب ٱلتنوين واواً أو ياءً أو ألفاً ، وليس كما قدّمته في العنوان ؛ ويبدو لي أنّ أزد ٱلسّراة كانت تميل إلى ٱلمقاطع ٱلمفتوحة عند ٱلوقف ، فتعمل على إسقاط ٱلتّنوين ، وتشبع ٱلحركة ٱلسّابقة .

و ـ الترنم : وهو ٱلوقف ٱلخاص بتميم على قوافي الشّعر ، إذ تأتي بصوت ٱلنّون عند ٱلقوافي ٱلمطلقة ، فتعمل على غلقها وعرف اصطلاحاً بـ (تنوين الترنّم) ، قال ٱلرّضيّ : " وَهُوَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ لِتَرْكِ ٱلتَّرَنُّمِ ، لِأَنَّهُ يُؤْتَى بِهِ إِشْعَاراً بِتَرْكِ ٱلتَّرَنُّمِ عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ فِي رَوِيٍّ مُطْلَقٍ ، وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلْأَلِفَ وَٱلْوَاوَ وَٱلْيَاءَ فِي ٱلْقَوَافِي تَصْلُحُ لِلتَّرَنُّمِ بِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْمَدِّ ، فَيُبْدَلُ مِنْهَا ٱلتَّنْوِينُ لِمُنَاسَبَتِهِ إِيَّاهَا ، إِذَا قُصِدَ ٱلْإِشْعَارُ بِتَرْكِ ٱلتَّرَنُّمِ ، لِخُلُوِّ ٱلتَّنْوِينِ مِنَ ٱلْمَدِّ ، وَهٰذَا ٱلتَّنْوِينُ يَلْحَقُ ٱلْفِعْلَ أَيْضاً وَٱلْمُعَرَّفَ بِٱللَّامِ ، قَالَ :

أَقِلِّي ٱللَّوْمَ عَاذِلَ وَٱلْعِتَابَنْ وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَنْ " (٣)

---

(١) ش ش ٢/٢٨٦ (٢) ش ش ٢/٢٨٠ (٣) ش ك ١/١٤ .

يقول في ذلك الجندي : " ويظهر والله أعلم ـ أنّ لهجة تميم كانت النغمة الموسيقية عندها هابطة، وكانت القافية تميل؛ إذ ذاك إلى الغناء في أصواتها وحركاتها، وذلك يلائم الطابع العام للهجتها، حيث كانت تميل إلى السرعة في نطقها، وتتلمس أيسر السبل إلى ذلك ، ولهذا تركت الترنم والإنشاد "(١).

وقد بدا لي من خلال وقوفي على آراء النحاة ههنا أنّ التسمية الإصطلاحية كانت تعني الترنم لا تركه فمثلاً قال ابن يعيش فيه : " يُسْتَعْمَلُ فِي الشِّعْرِ وَالْقَوَافِي لِلتَّطْرِيبِ مُعَاقِباً بِمَا فِيهِ مِنَ الْغُنَّةِ لِحُرُوفِ الْمَدِّ وَاللِّينِ ، وَقَدْ كَانُوا يَسْتَلِذُّونَ الْغُنَّةَ فِي كَلامِهِمْ "(٢)، على أنّ الرأي الأصوب هنا، ما قاله الرضيّ لأنّهم لو كانوا كما يقول ابن يعيش، لأشربوا أصوات المدّ صوت الغُنّة لا أن يسقطوا بعضها ويؤتوا بالنون كاملة؛ لأنّ هذا الإشراب يوفّر لهم الترجيع والامتداد في الصوت .

ز ـ إبدال الياء جيماً : قال الرضيّ : "وَيُبْدِلُ نَاسٌ مِنْ تَمِيمٍ مَكَانَ الْيَاءِ فِي الْوَقْفِ شَدِيدَةً كَانَتْ الْيَاءُ أَوْ خَفِيفَةً لِخَفَاءِ الْيَاءِ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَقُرْبُ الْجِيمِ مِنْهَا فِي الْمَخْرَجِ مَعَ كَوْنِهِ أَظْهَرَ مِنَ الْيَاءِ، فَيَقُولُ : تَمِيمِجٌّ وعَلِجٌّ في تميميّ وعَليٍّ قوله :

خَالِي عُوَيْفٌ وأَبُو عَلِجِّ ... الْمُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِّ
وَبِالْغَدَاةِ فِلَقَ الْبَرْنِجِّ ... يُقْلَعُ بِالْوَدِّ وبالصِّيصِجِّ

مِنْ بَابِ إِجْرَاءِ الْوَصْلِ مَجْرَى الْوَقْفِ عِنْدَ النُّحَاةِ ... وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ فِي الْيَاءِ الْخَفِيفَةِ :

يَا رَبِّ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حِجَّتِجْ ... فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بِجْ
أَقْمَرُ نَهَّاتٌ يُنَزِّي وَفْرَتِجْ " (٣)

والعلاقة المخرجيّة بينما تسمح بمثل هذا التطور، وتؤكد سلوك نصف المدّ سلوك الصوامت (٤).

ح ـ الإبقاء على تاء التأنيث : وذلك في نحو رحمة، وروي الرضيّ أنّه جرى معاملة الأسمية كما تعامل الساكنة، وقال : " زَعَمَ أَبُو الْخَطَّابِ ، أَنَّ نَاساً مِنَ الْعَرَبِ يَقِفُونَ عَلَى الْإِسْمِيَّةِ أَيْضاً بِالتَّاءِ قَالَ:

---

(١) اللهجات العربيّة في التراث: ٢ / ٥٢٣ .(٢) شرح المفصل: ٩ / ٣٣ .
(٣) ش ش ٢ / ٢٨٧، والأبيات الاولى في شرح الشواهد (ش ش ٤ / ٢١٢ ـ ٢١٣)وهو من شواهد سيبويه والأبيات الثانية فيه أيضا : ٤ / ٢١٦، ويُنظر: التصريف الملوكي: ٥٠ .
(٤) ينظر: جدول الخارج : ٧٢ (المخرج السادس) ، دراسة الصوت : ٢٧١ .

أَللّٰهُ نَجَّاكَ بِكَفَّيْ مُسْلِمَتْ   مِنْ بَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَتْ
صَارَتْ نُفُوسُ ٱلْقَوْمِ عِنْدَ ٱلْغَلْصَمَتْ   وَكَادَتِ ٱلْحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أَمَتْ (١)

ط ـ هاءُ ٱلسّكت: تقف تميم على هذي بٱلهاء، أي هذِهِ، وعند قيس وٱلحجاز وقفاً ووصلاً، ويقول ٱلرّضيّ : " إِنَّ بَعْضَهُمْ يَقْلِبُ تَاءَ ٱلْجَمْعِ أَيْضاً فِي ٱلْوَقْفِ هَاءً لِكَوْنِهَا مُفِيدَةً مَعْنَى ٱلتَّأْنِيثِ كَإِفَادَتِهَا مَعْنَى ٱلْجَمْعِ فَيُشَبِّهُ بِتَاءِ ٱلْمُفْرَدِ حَكَى قُطْرُبُ: كَيْفَ ٱلْبَنُونَ وَٱلْبَنَاهْ " (٢) .

وجاء أيضاً ٱلوقف بٱلهاء على (أنا، إذ نقل ٱلرّضيّ قول حاتم ٱلطّائيّ : هٰكَذَا فَزْدِي أَنَهْ (٣) ، وكذا في (مَهْ (٤))، فكأنّه حذف ٱلألف وألحق هاء ٱلسّكت (٥)

ي ـ ٱلوقف على مهموز ٱلآخِر : سبق أنْ وقفتُ على تقديم ٱلرّضيّ بأنَّ نقل ٱلحركة هو ٱلمظهر ٱلبارز هنا، وإنْ أدّى إلى ٱلوزنين ٱلمرفوضين، وهنا يذكر أنَّ من بني تميم من يتفادى هذين ٱلوزنين بأنْ يتبع ٱلعين ٱلفاء " فَيَقُولُ : هٰذَا ٱلْبُطُوْ وَرَأَيْتُ ٱلْبُطُوْ وَمَرَرْتُ بِٱلْبُطُوْ ، وهٰذا ٱلرِّدِيْ وَمَرَرْتُ بِٱلرِّدِيْ وَرَأَيْتُ ٱلرِّدِيْ " (٦)

وٱختار آخرون قلب ٱلهمزة إلى حرف علة مجانس للحركة ٱلإعرابيّة، فكأنّهما أكثر حرصاً على بيان ٱلإعراب، حيثُ قالَ ٱلرّضيّ : " فَيَقُولُ: هٰذَا ٱلْوَثْوْ وَٱلْبُطْوْ وٱلرِّدْوْ، وَمَرَرْتُ بِٱلْوَثْيْ وَٱلْبُطْيْ وَٱلرِّدْيْ ... " (٦) .

أمّا ٱلنّصب فلا يقولُ إلّا رأيتُ ٱلوثَا وٱلبطَا وٱلرِّدَا، لأنّه لا يمكن تسكين ماقبل الالف، ومنه أيضاً : قال ٱلرّضيّ : " بَعْضُ ٱلْعَرَبِ ـ أَعْنِي مِنْ أَهْلِ ٱلتَّحْقِيقِ ـ يُرُونَ ٱلْمَفْتُوحَ مَاقَبْلَهَا بِحَرَكَةِ نفسها حرصاً على ٱلْبَيَانِ لِعَدِّهِمُ ٱلْفَتْحَةَ كَٱلْعَدَمِ ، فَلَا تَقُومُ بِٱلْبَيَانِ حَقَّ ٱلْقِيَامِ ، فَيَقُولُونَ : هٰذَا ٱلْكَلَوْ ، ورأيتُ ٱلْكَلَاء وَمَرَرْتُ بِٱلْكَلَيْ " (٧) ، ولم يفعلوا ذلك مع ٱلضّمّة وٱلكسرة .

ونفهم ممّا سبق أنّ هناك سلوكاً عند مجموعة من ٱللّهجات المحققة للتّخلص من ٱلهمز .

---

(١) ش ش ٢٨٩/٢ ـ ٢٩٠، ينظر الكتاب : ١٦٧/٤ .
(٢) ش ش ٢٩٠/٢ ـ ٢٩١ .
(٣) ش ش ٢٩٤/٢، وينظر: ٢٣٢/٣ .
(٤) ش ش ٢٩٥/٢ ـ ٢٩٦ .
(٥) ش ش ٢٩٦/٢ و ٢٩٧ .
(٦) ش ش ٣١٢/٢ .
(٧) ش ش ٣١٣/٢ .

أمّا ٱلْوقف هنا عند أهل ٱلتّخفيف فيقول ٱلرّضيّ عنه : " فَأمّا أَهْلُ ٱلتَّخْفِيفِ ، فَإِنَّهُمْ يُخَفِّفُونَهَا كَمَا هُوَ حَقُّ ٱلتَّخْفِيفِ ، فَإِنْ كَانَ مَاقَبْلَهَا سَاكِناً نَقَلُوا حَرَكَتَهَا إِلى مَاقَبْلَهَا ، وَحَذَفُوهَا ثُمَّ حَذَفُوا ٱلْحَرَكَةَ لِلْوَقْفِ ، فَحو ٱلْخَبْ وَٱلرّدْ وَٱلْبَطْ فَيَجِيءُ فِيهِ ٱلْإِسْكَانُ وَٱلْإِشْمَامُ وَٱلتَّضْعِيفُ وَفِي ٱلْمَنْصُوبِ ٱلْمُنَوَّنِ يُقْلَبُ ٱلتَّنْوِينِ أَلِفاً لَاغَيْرُ ، نحو : رَأَيْتُ بُطّاً وَرِدا وَخِبا ، وإِنْ كَانَ مَاقَبْلَهَا مُتَحَرِّكاً دُبِّرَتْ بِحَرَكَةِ مَاقَبْلَهَا ، فَٱلْخطا أَلِفٌ فِي ٱلْأَحْوَالِ ٱلثَّلَاثَةِ ، وَأَكْمُؤ واو وأَهْنِيءُ يَاءٌ ، فَلَا يَكُونُ فِيهَا إِلاّ ٱلْإِسْكَانُ دُونَ ٱلرَّوْمِ وَٱلْإِشْمَامِ " (١) .

ك ـ سين ٱلْكَسْكَسَة : قال ٱلرّضيّ : " وَأمّا سِينُ ٱلْكَسْكَسَةِ وَهِيَ فِي لُغَةِ بَكْرِبنِ وَائِل فَهِيَ ٱلسِّينُ ٱلَّتِي تَلْحَقُ بِكَافِ ٱلْمُؤَنَّثِ فِي ٱلْوَقْفِ " (٢) ، حتّى لاتلتبس بٱلّتي لِلْمذكر عند ٱلْوقف ، وقال ٱلرّضيّ : " وَجَعَلُوا تَرْكَ ٱلسِّينِ فِي ٱلْوَقْفِ عَلَامَةَ ٱلْمُذَكَّرِ (٢) ، وَذلِكَ نَحْوَقَوْلِهِمْ : أَكْرَمْتُكِسْ " .

وزعم ٱلْفرّاءُ (٣) أَنَّ ٱلْكَسْكَسَةَ عِبَارَةٌ عن ٱلْحاق كافِ ٱلْمذكر سيناً في لغة ربيعة ومضر ، ويشير هذا إلى إختلاط ٱلأمر عند ٱلْمتقدمين ؛ بل إنّ منهم من رأى أنّها إبدال الكاف سينا لا إلحاقها بها (٤) .

ل ـ شين ٱلْكَشْكَشَةِ : قالَ ٱلرّضيّ : " وَقَوْمٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يُلْحِقُونَ كَافَ ٱلْمُؤَنَّثِ ٱلشِّينَ فِي ٱلْوَقْفِ فَإِذَا وَصَلُوا ، حَذَفُوا ، وَغَرَضُهُم مَامَرَّفِي إِلْحَاقِ ٱلسِّينِ ، وناسٌ كَثِيرٌ مِن تَمِيمٍ وَأَسَدٍ يَجْعَلُونَ مَكَانَ كَافِ ٱلْمُؤَنَّثِ فِي ٱلْوَقْفِ شِيناً ، قَالَ :

تَضْحَكُ مِنّي أَنْ رَأَتْنِي أَحْتَرِشْ ... وَلَوْ حَرَشْتُ لَكَشَفْتُ عَنْ حَرِشْ

وَذلِكَ لِلْغَرَضِ ٱلْمَذْكُورِ ، وَإِنَّمَا أَبْدَلُوهَا شِيناً ، لِأَنَّهَا مَهْمُوسَةٌ مِثْلُهَا ، وَلَمْ يَجْعَلُوا مَكَانَها مَهْمُوسةً مِن ٱلْحَلْقِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ حَلْقِيَّةً ، وَقَدْ يُجْرِى ٱلْوَصْلُ مَجْرَى ٱلْوَقْفِ فَيُقَالُ : إِنّشِ ذَاهِبَةٌ ، قَالَ :

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وَجِيدُشِ جِيدُهَا ... سِوَى أَنَّ عَظْمَ ٱلسَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ " (٥)

وٱلظّاهرتان السّابقتان أرى أنّه يمكن أن تُفسّرا بوفق قانون ٱلأصوات ٱلحَنَكيّة حيث تميل أصوات أقصى ٱلْحَنَك ، كالكاف والجيم الخالية من ٱلتّعطيش ، كالجيم القاهرية مثلاً تميلُ بمخرجها إلى نظائرها من ٱلأصوات ٱلأماميّة حين تليها في ٱلنّطق حركةٌ أماميّة كالكسرة (٦) .

---

(١) ش ش ٢/٢١٣ ـ ٢١٥ .
(٢) ش ك ٢/٤٠٩ .
(٣) الاقتراح : ١٢٨ ، وفصول في فقه العربية : ١٤١ .
(٤) ينظر الصّاحبي : ٥٤ .
(٥) ش ك ٢/٤٠٩ ، وينظر ش ش ٣/٢٠٠ .
(٦) التطور اللغوي : ٩٢ (بتصرف) .

نتائج الفصل الثالث :

١ . لقد أبرز البحثان: الأول والثاني إدراكاً واضحاً للرضيّ في دراسة الظاهرة اللغوية بالاعتماد على مبدأ تداخل العلوم بقوله : بجزئيّة علم الصّرف من علم النّحو، وبما وقفت عليه في العلاقات المتبادلة بين النّظام الصّوتيّ مع النّظام النّحويّ من خلال ما يأتي :-

آ . الحركات دالةُ المعنى الوظيفيّ (وسمّاه الطّاريء) ؛ حيث يجعل الرّضيّ من هذه الأصوات مميّزات نحويّة بتوفّر شرط التّركيب (التّركيب الجمليّ)، وقد أبرزتُ دوره في تطوير هذه النّظريّة لتعمّ أقسام الكلام، حيث جعل : الرّفع علم العمدة والنّصب علم الفضلة والجر علم الإضافة، و بيّنتُ في إدراجه لعلامات الرّفع تحت هذا المصطلح، وكذلك في بقيّة المصطلحات اعتماده الأساس الصّوتيّ الخاص بالتّهيئة المخرجيّة . وقد وصل إلى استخدام الألفاظ الخاصّة بالمميّز النّحوي الحديث زيادةً على وضوح الفكرة .

ب. التّنوين علامة التّمام النّحويّ : حيث تُوظّف التّنوين في التّركيب للعمل مميّزاً نحويّاً بحسب اصطلاحه على عمله بـ " علامة تمام الاسم " متقدّماً جداً في الدّرس النّحوي العربيّ، وثمّ عرض دلالة التّنوين في بعدين: عام هو ما سبق، وخاص وهو في الدّلالات الجزئيّة، وأبرز ههنا قوله بإمكانيّة دلالة تنوين واحد على شيئين، كالتمكن والتنكير .

جـ . حالة الوقف : حيث أُبرز هنا الصّراع بين النّظامين، ويبدو أنّ التّفوق للنّظام الصّوتيّ، لشيوع الوقف بالإسكان وإسقاط التّنوين، وذلك لاعتقاده أنّ هذه الحالة تسبّبُ بتر الآخر، من خلال كلامه بأنّ الوقف موضع الاستراحة ، وقد أبرزتُ أنّ الرّضيّ قد اتّخذ له رأياً في قوّة حالات الوقف (الرّوم والإشمام والتّضعيف) يعتمد فيه على مدى بيان الحركة مخالفاً ما اعتمده سيبويه في ذلك .

٢ . أمّا في العلاقات المتبادلة مع النّظام الصّرفيّ فمن خلال ما يأتي :

آ . الحركات والبنى الصّرفيّة : و أبرزت فيه اهم مقولاته ههنا، وهي في: دور الحركات في " التّنبيه على البنية " و " دلالةً على أصل البنية " "والحركات إذا تغيّرتْ تغيّر الوزن" .

ب . التّغيير الصّرفيّ ـ الصّوتيّ : حيث بيّنتُ أن مفهومه للتّصريف ينطبق على القول بالتّغيير الصّوفي الصّوتيّ، وما وصفه ههنا ما هو إلا قواعد صوتيّة تأخذ بعين الاعتبار متطلّبات البنية الصّرفيّة ؛ وأيضاً يتمّ تعطيل القانون الصّرفي بسبب متطلّبات القانون الصّوتيّ، كما في جمع القلّة والكثرة للاجوف .

٣ ـ تبدو تميم ومن جاورها أكثر ميلاً للإنسجام الصّوتيّ وهو المستفاد من ظواهـــر الإمالة وكسر حرف المضارعة والتّخفيف والمماثلة بأنواعها والاتباع •
وخالفتها ٱلحجاز في أكثر ذلك وإن مالتْ في بعض ما ٱتّصفت به إلى هـــذا ٱلإنسجام كما في ألف التّفخيم •

٤ ـ لهجة تميم في ٱستعمالها صيغ ٱلتّخفيف كانت أكثر محافظة من غيرها على ٱلأُصول ٱلتّاريخيّة خاصة في ٱلاسم ٱلثّلاثيّ ٱلمجرد •
ويبدو أنّ ميلها إلى ٱلانسجام الصّوتيّ أدّى إلى ٱلتّطور في صيغ ٱلمضـــارع بإبدال ٱلصّائت الّذي يتبع حرف ٱلمضارعة كسرةً •

٥ ـ بدت لهجة ٱلحجازيين أكثر محافظة على كيان ٱلأصوات داخل البنية، ولهـــذا ٱختارت مخالفة ٱلأصل التاريخيّ في ساكن ٱلعين الثّلاثيّ، وقد ٱبتعدت عـــن ظواهر كثيرة في ٱلمماثلة وٱلإتباع •

٦ ـ معظم ماتمّ رصده في هذا ٱلفصل من ظواهر يسجّل فيها موقف تجاه ٱلصّوائـــت:
(ٱلميل نحو ٱلكسر وٱلضّمّ وٱلفتح ، وٱلتّخفيف وٱلإشباع وٱلوقف وٱلتّرنّم)
وقد وردت ظواهر سجّل فيها موقف تجاه الصّوامت (الادغام والمماثلة التناسبية والجزئية، وٱلإبدال) •

٧ ـ لم يقدّم الرّضيّ ٱختلافات في ٱلنّطق ٱللهجي للأصوات ٱللغويّة مفردة وماورد لا يعدو أنْ يكون من تفاعلات ٱلأصوات في التّجاور والتّركيب (ٱلتّعامليّة) •

٨ ـ يبدو لي أن الميل نحو الكسر متمثّل في البيئة المتبدّية لورود أمثلة ٱلظّاهـــرة مقترنة بتميم وهي قبيـــلة متراميـــة الاطراف ومنهم بنو عديّ بن يوناسٍ من بكـــر بن وائل، وهم مجاورون لتميم في نجد، وسُليمٍ وهم من قيسٍ وهي قبيلة باديـــة تسكن مجاورة لتميم عالية نجد بالقرب من خيبر • وكعب من بطون عامـــــن صعصعة من هوازن، وكانت تسكن العروض مجاورة لتميم، وغنيّ نسبت مرة إلـــى قيس وأخرى إلى أسد وكلتا القبيلتين بادية متجاورة مع تميم (١)

---

(١) ينظر : ٱللهجات ٱلعربية : ٢٣ـ ٢٤ ، ٢٠٧، ٱللهجات ٱلعربيّة ٱلغربيّة : ٥

وهذه النتيجة تتفق مع ما خرج به غالب المطلبي (١) ويبرز التكلف الذى وقع فيه د. إبراهيم أنيس (٢) ود. أحمد علم الدين الجندي (٣) عندما رأيا اتصاف اللهجة البدوية بالميل نحو الضمّ وحاولا أن يُبررا هذا الميل منطقياً، وهو ما يخرج عن طبيعة الدرس اللغوى الحديث .

٩ ـ تَمثّلَ الميل نحو الضمّ في البيئة المتحضّرة لارتباطه بأهل الحجاز ؛ إذ ورد أنّ قبائل عدنان كلّها وخالة إلا قريش بمكة ونجد، وتأثرت بها هذيل لأنّها حجازيّة لكنّها متبدّية

١٠ ـ يعدّ قارئ البصرة (أبوعمرو بن العلاء) ممثّلاً جيّداً لقبيلته تميم التي سكنت البصرة و " هي امتداد كما قُلنا للبيئة اللغويّة التي كانت تسود شرق الجزيرة، وعامة نجد " (٤) بإيثاره الكسر .

١١ ـ انعكس ميلُ الحجاز إلى الضمّ في الضّمير على حمزة القارئ الكوفيّ الأسديّ على الرّغم من أنّ الكوفة امتداد لبيئة تميم، وأُرجح أنّه أخذ ذلك بالتّلقين، إذْ ورد أنّه "قَرَأَ عَلَىٰ جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ بنِ ٱلْحُسَيْنِ بْن عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ " (٥)

١٢ ـ مع ميل الحجاز نحو الضمّ فإنّها أيضاً مالت نحو الفتح، ويبرز هذا بسلوكها الخاص أمام الامالة، وتشاركها في ذلك طيئ، وهي قبيلة متبدّية من الممكن تأثّرها بالحجاز؛ لأنّها تسكن على طريق عُمّال مكة (٦) ، ويؤكد هذا ما أُثِرعن القُرّاء المذكورين من ميل نحو الفتح الذين من الممكن أن يكونوا متأثرين بها عن طريق أساتذتهم أو معايشتهم للبيئة نفسها : فسعيد بن جبير أخذ من ابن عبّاس (٧) ، والكسائيّ أخذ عن حمزة (٨) ، وعليه اعتماده . وقد وقفتُ في الفقرة (١١) على تلقي حمزة عن الامام جعفر الصّادق ، ويحيى بن وثّاب عرض على السّلميّ الذي عرض على عليّ (عليه السّلام) (٩)

---

(١) ينظر لهجة تميم : ١٢٩، ١٤٢ .
(٢) ينظر في اللهجات : ٩١
(٣) اللهجات العربيّة في التّراث: ١/ ٢٥٢ .
(٤) الظّواهر اللغويّة في قراءة الحسن : ١١٥ .
(٥) كشف المشكل : ٢/ ٢٩٥، وينظر : السبعة : ٧٢ـ ٧٣ ، طبقات القراء: ١/ ١٩٦ .
(٦) اللهجات العربيّة : ٢٧
(٧) طبقات القراء : ١/ ٣٠٥ .
(٨) نفسه : ١/ ٣٥٠ .
(٩) نفسه : ٢/ ٣٨٠ .

وماكان من أمر ٱلْحسن ٱلْبصريّ فغير بعيدٍ تأثّره بٱلْحجاز لولادته في ٱلْمدينة [١] ،وقد آثرتْهذا السّلوك احدى بطون تميم،وهم بٱلْحرث بن كعب [٢]،وأيضاً بنو عامروهم مجاورون للحجاز [٣] .

١٣ـ أبرز ٱلْبحث في هذا ٱلْفصل بشكل واضح ٱلْأثر ٱلّذي سبّبه ٱلتّداخل اللهجيّ في ٱلدّرس ٱلْلغويّ ،فقد أوجد ثراءً كبيراً لأطراف ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة وخاصّةًماكان في مظاهر ٱلتّعاملية من ٱلإدغام،وٱلإبدال،وغيرها،وفي ٱلْجانب ٱلصّرفيّ،فقد سبّب هذا ٱلتّداخل تكاثراًيكاد يعسر على ٱلْباحثين تحديد أثره،بمافي ذلك تعدّد ٱلْبنى ٱلْلغويّة في أثناء ٱلْاستعمال،وفي حالة ٱلْاستقلال،وعند ٱلْوقف .

١٤ . انماسبق من النتائج (رقم ٣ ـ ١٤) وهي ٱلخاصة بالبحث الثّالث يمكن ان تعمّم على مجمل التّراث العربيّ في هذا ٱلمجال ،لأنّ ماذكره الرّضيّ من مادّة ههنا ماهو إلاّ ثمرة تراكم معرفيّ سابق عبر مئات ٱلسّنين .

---

(١) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن : ١٣ .

(٢) اللهجات العربيّة : ١٨٥ .

(٣) اللهجات العربيّة الغربيّة : ٥ .

+ + + + + + + + + + + +
+ + + + + + + + + +

نتائج الدّراسة : بعد هذه ٱلرّفقة مع رضيّ ٱلدّين ٱلأُستراباذي بكتابيه شرح شافية ٱبن ٱلْحاجب وشرح كافيته ،خرجتْ ٱلدّراسة بالآتي من ٱلنّتائج ؛ وتعدّ خاتمات الفصول المتقدّمة روافد لبعضها ، أمّا بعضها ٱلآخر ، فلم يُذكر سابقاً،وهي تحت عنوان نتائج موازنة بين ملاحظات جداول ٱلإدغام وٱلإبدال للعربيّة ٱلْمشتركة ولهجاتها ؟ والنتائج هي :

١ـ جاء مفهوم ٱلرّضيّ من مصطلحي " أحوال ٱلأبنية " و " لاأبنية ولا أحوال أبنية " إدراكا واعياً لِلنّاحيّة ٱلصّوتيّة لمحتوياتهما ؛ إذ أدخل في الاول : ٱلإبتداء، وٱلإمالة ، وتخفيف ٱلْهمزة ، وٱلإعلال ،وٱلإبدال وٱلْحذف ، وٱلإدغام في ٱلْكلمة الواحدة ، وٱلتقاء ٱلسّاكنين فيها أيضاً ، وأدخل في ٱلثّاني : بقيّة الإدغام وهو ٱلّذي بين كلمتين،وكذا التقاء ٱلسّاكنين وٱلْوقف .
وقد زدتُ إلى ٱلْموضوعات ٱلسّابقة موضوعاً أدخله ٱلرّضيّ في ٱلْأبنية وهو "ٱلْقلب ٱلْمكانيّ " ، وبذلك تكوّن مواضع ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة عشرة موضوعات من موضوعات شرح ٱلشّافية .

٢ـ أفرز الوقوف على منهج ٱلرّضيّ تعسفاً في فهم ٱلظّاهرة ٱلصّوتيّة عنده؛لما وجدتُ من ٱختلاط ٱلأنماط ٱللغويّة ٱلْفنية للغة ٱلْعربيّة ٱلْمشتركة ،وكذلك ٱختلاط ٱلأنماط ٱللغويّة ٱلأدائيّة (ٱللّهجات) بالعربيّة ٱلْمشتركة .

٣ـ افرز ٱلْبحث ثروة أصطلاحيّة صوتيّة ضخمة بما لم تتيسّر لكثير من ٱلْباحثين ،وقد سبقتها بٱلْمنهج ٱلّذي ينبغي ٱلتّمسك به عند رصد ٱلْمصطلحات،وٱلْوقوف على مفهوماتها ٱلدّقيقة ، وجاءت ٱلثروة الاصطلاحية بـ (١١٣) مصطلحاً صوتياً ؛ ابرز بعضها أصالةً للرّضيّ في وضع ٱلإصطلاحات بما وضعه لفظاً ومفهوماً أو أحدهما وهي : المستفلة (مخرجيّاً) / آلة ٱلْحروف / آلة الصّوت / آلة الضّمّة / ٱلأعلى / ٱلأنزل/ أوضاع آلة ٱلْحروف / فضيلة ٱلْحرف / شبه ٱلنّفخ / أحوال ٱلأبنية / لاأبنية ولاأحوال أبنية / ٱلإعتدال / بين بين ٱلْمشهور / بين بين ٱلْبعيد / ٱلتّبيين / تَنَافُر/الحذف نسياً / ٱلْحرف ٱلْمناسب (ٱلْمتوسط)/نسق واحد / ٱلصّوت ٱلسّاذج / جوهر (ٱلْحرف)/مادة ٱلْحرف / مُرَكّبُ ٱلصّوت / ٱلنّبر / ٱلتّفشي وٱلرّخاوة / مفهومه للجهر وٱلْهمس / مفهومه للإدغام / الخفاء / السلاسة / الازدواج / وما قدمه لمفهومي الساكن والمتحرك .

٤ـ أعتقد أنّ بحث المصطلحات أفرز تكاملاً في النّظرة إلى التّراث الاصطلاحيّ بما وضعته في الحواشي ممّا أطلقت عليه "حاشية المصطلح" حيث جرى فيها توثيق المصطلحات المستعملة سابقاً أو تعضيد أصالة الرّضيّ بذكرها عن المتأخرين عنه .

٥ـ الوقوف على المفهوم من دلالة الجهر والهمس عند الرّضي، وقد تبين أنّ ذلك يتم من خلال إطارين : الأوّل : مفهوم الآليّة المخرجية فالجهر يعني استمرار خروج مركب الصّوت (النّفس) أو ما يعني (بالموجة الأساس عند المعاصرين)، مع حبس الصّوت أو عدمه أي مع الشّدّة أو الرّخاوة .

الثّاني : مفهوم وظيفيّ : (الجهر = الهمس + صفة قوة) وفي صفة القوّة تدخل اعتبارات صوتيّة غير خالصة واعتبارات اجتماعيّة والهمس خلافه في كلّ ذلك

٦ـ اعتماداً على ما تقدّم من مفهومات الجهر والهمس، رأيتُ رأياً جديداً يفسّر وجود أصوات (الهمزة والقاف والطّاء) في المجهورات عند الرّضيّ وبقيّة الأقدمين، ويدخل هنا اعتبار الشّدّة صفة القوة المشار إليها سابقاً، كذلك امتلاك الهمزة للنبرة أمام صوت الهاء، وقرب القاف من الأصوات الّتي تحتاج إلى اعتماد قويّ (أعني : الحلقيّة) ، والطّاء والقاف من المستعليات، وهي صفة قوّة أمام المنخفضة، وكذا الإطباق أمام الانفتاح .

٧ـ تمّ معالجة ظاهرة القلب المكانيّ معالجةً تأخذ بعين الاعتبار دور الأصوات الّتي تكوّن الكلمة المقلوبة والمتطلبات المقطعيّة للكلمة المفردة بعدّه ظاهرةً (صوتيّةً ـ صرفيّةً)، وذلك ممّا أُهمل عند الدّارسين إلّا شيئاً مفرداً عن برجشتراسر، وتبعه هنري فليش في القلب الخاص بـ (افتعل) .

٨ـ أكّد البحث أنّ المقاطع العربيّة عند الأداء هي الأربعة الأولى المشار إليها من مكانها مع كراهيّة واضحة للمقطع الرّابع (ص م ص)، وأبرز البحث أنّ الرّضيّ عامل صوت المدّ المركّب (فتحة + وْ أو فتحة + يْ) معاملة الأصوات المدّيّة كما في (خُوَيْصَّة ودويبّة) ، ويعني هذا قبولاً بالمقطع الخامس (ص ح ص ص) .

٩ـ لقد أبرزت الدّراسة تفاعلاً واضحاً بين النّظام الصّوتيّ مع النّظامين النّحويّ والصّرفيّ، ووقفتْ على تصوّرات الرّضيّ منها، وبيّنتْ عمق إدراكه من خلال رصد المواضع البارزة لهذا التّفاعل فمع النّحو وقفتْ على (١) الحركات دالة المعنى الوظيفي (وقد سمّاه الطّارئ)، حيثُ ذهب إلى القول : بأنّ الرّفع علم العمدة

والنّصب علم الفضلة والجرعلم الإضافة، واعتماده على الأساس الصّوتيّ (التّهيئة المخرجيّة) في جمع: الضّم والواو والالف تحت مصطلح الرّفع، وكذا في النّصب، والجر.

٢) التّنوين علامة التّمام النّحويّ (٣) حالة الوقف.

ومع الصّرف وقفتّ على (١) الحركات والبنى الصّرفيّة ، حيث أبرزت إشاراته إلى الدّور الواضح للحركات في التّنبيه على البنية (٢) التّغيير الصّرفيّ ـ الصّوتيّ ، أُبرز فيه أنّ مفهومه لِلتّصريف ينسجم مع المفهوم من هذا التّغيير، وجرى في أغلب تلك المواضع الخضوع لمتطلّبات النّظام الصّوتيّ دونَ النّظامين الآخرين

١٠ • بيّن البحث الأخير أنّ بني تميم أكثر ميلاً للإنسجام الصّوتيّ من غيرهم، من خلال ماقستُ به من رصد الظّواهر الصّوتيّة اللّهجيّة الّتي وردتْ عند الرّضيّ ، وهي كسر حرف المضارعة والتّخفيف والمماثلة بأنواعها والاتباع .

١١ـ أكثر ماتمّ في الظّواهر اللّهجية يُسجّل موقفاً تجاه الصّوائت للقبائل العربيّة،كما في: الميل نحو الكسر ـ والضّمّ، والفتح، والتّخفيف، والإتباع، والوقف، والتّرنم، والإدغام بين المتماثلين .

١٢ـ تأكيد ميل تميم إلى الكسر والحجاز إلى الضّمّ مع ربط الأوّل منهما بالبيئة المتبدّية، والثّاني بالبيئة الحضريّة .

١٣ـ مثّلت القراءات القرآنيّة الّتي قدّمها الرّضيّ انعكاساً للهجات العربيّة على قراءة القرآن الكريم .

١٤ـ أبرزتْ الدّراسة في الفصل الثّالث منها خاصة الأثر الّذي سبّبه التّداخل اللّهجيّ في الدّرس اللّغويّ العربيّ القديم، فقد أوجد ثراءً لأطراف الدّراسة الصّوتيّة، ومنها مظاهر التّعامليّة خاصة، وفي الجانب الصّرفيّ سبّب هذا التّداخل تكاثراً يكاد يعسر تحديده من قبل الدّارسين ، وإنّ أبرز آثاره تعدّد البنى اللّغويّة للمفردة الواحدة بين الإستعمال، والإفراد، وعند الوقف (وينظر هنا الفقرة الخاصة بتفريعات لهجة تميم) .

ـ نتائج موازنة بين جداول حالتيْ الإبدال والإدغام للعربيّة المشتركة وللهجاتها(عُمِلتْ هذه الموازنة للوقوف على اعتبارات العربيّة في نظام التّمايز بين الأصوات)وتبيّن لي ما يأتي :

١ـ تدخل صفتا الرّخاوة والشّدّة عاملاً فعّالاً في هذا النّظام باتفاق الحالات المتقدّمة للحفاظ عليهما بشكل عامّ .

٢ـ وبشكل عامّ، لاتشكّل صفة الجهر عاملاً في عملية التّمايز، لِماكان من اتفاق الحالات على التّنازل عنها .

٣ـ إنّ الدّور الّذي أعطاه الرّضيّ للصّفات الفضيلة لاتؤيّده نتيجة الموازنة، إذ إنّ اللهجات اتفقت على التّنازل عنها في الإبدال والادغام بنسبة (٥٠ ٪)، أمّا الفُصحى فكانت (٣٥ ٪) في الإبدال مع التّنازل عنها الواضح في حالات الإدغام الخارجة عن الجدول: (إدغام حرف في مجموعة ، وإدغام المجموعات).

٤ـ يُعتمد نظام التمايز على منطقة مخرجية ضيقة لانقطة مخرجيّة محدّدة، لماكان من حالات التّنازل الواضحة جداً الكثيرة في الحالتين السّابقتين في اللهجات، ودونه قليلاً في العربيّة المشتركة .

ثبت المظان

١ـ القرآن الكريم .
٢ـ أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النّحو واللغة / علي مزهر الياسريّ /دار الرشيد / دار الحرية / بغداد ١٩٧٩٠
٣ـ أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربيّ (أبوعمرو بن العلاء) / د ٠ عبد الصبور شاهين / مكتبة الخانجي/ مط المدنيّ / القاهرة / ط ١ / ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م.
٤ـ اثر المقطع المرفوض في بنية الكلمة العربية / د ٠يحيى القاسم /أبحاث اليرموك (سلسلة الاداب واللغويات) / جامعة اليرموك / مج ١١ ع ٢/ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.
٥ـ إحياء النّحو / ابراهيم مصطفى / لجنة التاليف والترجمة والنشر / ١٩٥٩ م .
٦ـ إدغام القرّاء/ أبو سعيد السّيرافيّ (٣٦٨ هـ)/تح : د ٠ محمّد علي عبد الكريم الرّديني / دار اسامة / مط الرّازيّ / ط ٢/ ١٩٨٥م٠
٧ـ أداة التّعريف في العربية ـ دراسة تأريخيّة / د ٠ غالب فاضل المطلبيّ/ المورد / مج ١٩ ع ٢/ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م ٠
٨ـ أرتشاف الضّرب من لسان العرب / أبوحيان الأندلسيّ (٧٤٥هـ) / تح :د ٠مصطفى أحمد النمّاس / مط النّسر الذّهبيّ / ط ١/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م٠
٩ـ أسباب حدوث الحروف (رسالة)/ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ـ٤٢٨ هـ)/ تح : محمّد حسّان الطّيان ويحيى مير علم / مجمع اللغة العربيّة بدمشق /دار الفكر/ دمشق / ط ١/ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ٠
١٠ـ أسس علم اللغة / ماريوباي / ت : د ٠ احمد مختار عمر /منشورات جامعة طرابلس/ كلية التربية / ١٩٧٣م٠
١١ـ أصوات العربيّة بين التّحوّل والثّبات / د ٠ حسام سعيد النّعيميّ/ مط دار الكتب للطباعة والنشر / جامعة الموصل/ ١٩٨٩ م٠
١٢ـ الأصوات اللغويّة/ د ٠إبراهيم أنيس / مكتبة الانجلو مصريّة / مط دار وهدان/ ط ٥/ ١٩٧٩م ٠
١٣ـ أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة / د ٠ نايف خرما / عالم المعرفة رقم (٩) / المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب / الكويت / مط ٠ اليقظة / ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ٠
١٤ـ إعجاز القرآن / أبو بكر محمد بن الطّيّب الباقلانيّ (٤٠٣هـ) / تح : ألسيد أحمد صقر / دار المعارف/ مصر / ١٩٧٧٠
١٥ـ إعراب القرآن المنسوب إلى الزّجاج / تح : إبراهيم الأبياريّ / دار الكتاب اللبنانيّ/ بيروت / ط ٣/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م٠
١٦ـ الأقتراح في علم أصول النّحو (كتاب) / جلال الدّين عبد الرّحمٰن بن أبي بكر السّيوطيّ (ت ٩١١هـ)/ تح : د ٠ أحمد سليم الحمصيّ و د ٠ محمّد أحمد القاسم/جروس برس/ ط١/ ١٩٨٨م٠
١٧ـ الأقيسة الفعليّة المهجورة / د ٠ إسماعيل أحمد عمايرة / دار الملاحي /مط الفيصل /ط ١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م
١٨ـ الألسنيّة العربيّة / ريمون طحّان / المكتبة الجامعية/ دار الكتاب اللبنانيّ / بيروت ط ٢/ ١٩٨١٠

١٩ـ الألسنيّة (علم اللغة الحديث) «قراءات تمهيديّة / د . ميشال زكريـــا / المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ط ١/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
٢٠ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريين والكوفيين /كمال الدين عبد الرحمن أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) / ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف /محمّد محي الدّين عبد الحميد / المكتبة العصرية /بيروت / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
٢١ـ الإيضاح في شرح المفصّل / أبو عمرو عثمان بن عمرو بن الحاجب (٦٤٦هـ) / تح : د . موسى بناي العليلي/مط العاني / بغداد / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م .
٢٢ـ أين موقع اللغة في الدّماغ / كاترين بيلي / ت : د . مجيد الماشطة / آفـاق عربيّة / س ٩ ، ع ٨ / ١٩٨٤م .
٢٣ـ بحث في فونولوجيا اللغة العربيّة / أوديت بتي / الفكر العربيّ / معهد الإنمـاء القوميّ /لبنان/ س ١ ، ع ٨ ـ ٩ / ١٩٧٩ .
٢٤ـ البنية المقطعيّة العربيّة / عبد العزيز حليلي / المجلة العربية للدراسات اللغوية/ معهد الخرطوم الدّوليّ للغة العربيّة / مج ٤ ، ع ٢/ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٢٥ـ البيان والتّبيين / أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) / تح : عبـــد السّلام هارون/ دار الجيل ودار الفكر / بيروت .
٢٦ـ تاريخ اللغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين/ جورج مونين/ت : بدر الدّيـن القاسم / مط جامعة دمشق / ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .
٢٧ـ تاريخ اللغات السّاميّة /أ . ولفنسون/دار القلم/ ط١/ ١٩٨٠م .
٢٨ـ التّبصرة في القراءات السّبع (كتاب) / مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) / تح : د . محمد غوث الندويّ / الدّار السّلفيّة / الهند / ط ٢ /١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
٢٩ـ التّحديد في الإتقان والتّجويد / أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّانيّ الأندلســيّ (٤٤٤هـ)/تح : د . غانم قدّوري الحمد / دار الأنبار/ مط الخلود / ط ١ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م .
٣٠ـ تحليل الظّواهر الصّوتيّة في قراءة يعقوب الحضرميّ / د . سمير شريف ستيتيّـة / مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ / س ١٨ ع ٤٧/ ١٤١٤ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م
٣١ـ التّشكيل الصّوتيّ في اللغة العربيّة (فونولوجيا العربيّة) / د . سلمان حسـن العانيّ / ت : ياسر الملاح /النادي الثّقافيّ السّعوديّ/ مط دار البلاد / ط ١ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٣٢ـ التّصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث / الطّيب البكوش / تونس/ ط١/ ١٩٧٣م .
٣٣ـ التّصريف الملوكيّ / ابن جنّي (٣٩٢هـ) / تح : محمد سعيد النعسان / تع : أحمد الخانيّ ومحي الدّين الجراح / دار المعارف / ط ٢/ ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .
٣٤ـ التّطور اللغويّ مظاهره وعلله وقوانينه/ د . رضان عبد التّواب / الخانجـيّ بالقاهرة والرفاعيّ بالرياض/ مط المدني/ ط ١/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م .
٣٥ـ التّطور اللغوي التاريخيّ/ د . إبراهيم السّامرائيّ/ دار الأندلس / بيروت / ط ٢/ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
٣٦ـ التّطور النّحوي للغة العربيّة / برجشتراسر / ت : د . رضان عبد التّواب/الخانجيّ بالقاهرة والرفاعيّ بالرّياض/ مط المجد / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
٣٧ـ التّعريفات / أبو الحسن علي المعروف بالسّيد الشّريف الجرجانيّ (ت ٨١٦هـ)/تح : د . أحمد مطلوب / دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة / بغداد /١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٣٨ـ التّفسير الكبير / الفخرالرازي / مؤسسة المطبوعات العربيّة / مط البهية / مصر .
٣٩ـ التّفكيرالصّوتيّ عند الخليل / د • حلمي خليل / دار المعرفة الجامعيّة / الفنيّة للطباعةوالنشر / ط ١/ ١٩٨٨م •
٤٠ـ التّفكير الصّوتيّ عند العرب من خلال سرّصناعة الإعراب / هنري فليش / مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة / ج ٢٣/ ١٩٦٨ •
٤١ـ التّفكير اللساني في الحضارة العربيّة/ د • عبد السّلام المسدّي /الدّار العربيّة للكتاب/ ليبيا / مط الشّركة التّونسيّة / تونس / ١٩٨١م •
٤٢ـ التّمهيد في علم التّجويد / شمس الدّين أبو الخير محمّد بن الجزري(٨٣٣ هـ) / تح : د • غانم قدّوري الحمد / مؤسسة الرسالة / بيروت/ ط ١/ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٣ـ تهذيب اللغة / أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ(٣٧٠هـ) / تح : عبد السّلام هارون/ الدّار العربيّة للتّأليف والتّرجمة/ دار القوميّة العربيّة / ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
٤٤ـ جمهرة اللغة (كتاب) / ابن دريد (٣٢١ هـ) / تح : د • رمزي منير بعلبكي/ دار العلم للملايين / ط ١ / ١٩٨٧م•
٤٥ـ جهود الكوفيين في علم الأصوات / د • خليل إبراهيم العطيّة/ مجلة كليّة الآداب / جامعة البصرة/ س ٢٤ ع ٢٢/ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م •
٤٦ـ حاشية ابن جماعة شرح الجاربردي / ابن جماعة / ضمن مجموعة الشّافية من علمي الصّرف والخط/ عالم الكتب/ بيروت •
٤٧ـ حاشية الصّبان على شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك ومعه شرح الشّواهد للعينيّ/ محمد بن علي الصّبان/ دار إحياء الكتب العربيّة / مط عيسى البابي الحلبي •
٤٨ـ الحركات بين المعايير والخصائص النّطقيّة / د • سمير ستيتية / البلقاء للبحوث والدّراسات / جامعة عمان الأهلية / مج ٢ ع١/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٩٢م •
٤٩ـ الحروف (كتاب)/أحمد بن محمّد بن المظفر بن المختار الرّازيّ (ت بعد ٦٢٨هـ) / ضمن : ثلاثة كتب في الحروف / تح :د • رضان عبد التّواب / مكتبة الخانجيّ بالقاهرة ودار الرّفاعي بالرّياض / ط١/ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م •
٥٠ـ الحروف والأصوات العربيّة في مباحث القدماء والمحدثين / د • هادي نهر/ مجلة آداب المستنصريّة / ع ٨/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م •
٥١ـ الحقائق التّاريخيّة وأثرها في النّظم اللغويّة والوصفيّة / د • عبد الرّحمن أيوب/ المجلة العربيّة للعلوم الإنسانيّة / جامعة الكويت / ع ١١ مج ٣/ ١٩٨٣م•
٥٢ـ الخصائص / أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٥ هـ)/تح : محمد علي النّجار/ دار الهدى /بيروت •
٥٣ـ خواطر وآراء صرفيّة / د • فوزي الشّايب / مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ/ ع٤٧ س١٨ / ١٤١٤ـ ١٤١٥) هـ ـ ١٩٩٤م•
٥٤ـ الدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد / د • غانم قدّوري الحمد / وزارة الأوقاف (العراق) / مط الخلود /ط١/١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م •
٥٥ـ الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العربيّة / عبد الحميد الهادي الاصيبعيّ / كليّة الدّعوة الإسلاميّة/ليبيا/ط ١/ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٩٢م •
٥٦ـ دراسات في علم أصوات العربيّة / د • داود عبدة / مؤسسة الصّباح / الكويت •
٥٧ـ دراسات في علم اللغة /القسم الأوّل/ د • كمال محمّد بشر/ دار المعارف/ مصر/ ١٩٦٩م•

٥٨ـ الدّراسات اللغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث / د ٠ محمّد حسين آل ياسين / دار مكتبة الحياة / ١٩٧٩

٥٩ـ الدّراسات اللهجيّة والصّوتيّة عند ابن جنّيّ / د ٠ جسام سعيد النّعيميّ / وزارة الثقافة والفنون / دار الرشيد / بغداد / ١٩٨٠ ٠

٦٠ـ دراسة الصّوت اللغويّ / د ٠ أحمد مختار عمر / عالم الكتب / مطا سجل العرب / مصر / ط ١ / ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ٠

٦١ـ دقائق التّصريف / القاسم بن محمّد بن سعيد المؤدّب (القرن الرّابع الهجريّ) / تح : د. أحمد ناجي القيسي و د ٠ حاتم الضّامن ود ٠ حسين تورال / مط المجمع العلميّ العراقيّ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ٠

٦٢ـ دروس في الألسنيّة العامّة / فردينان دي سوسير / ت : صالح القرماديّ ومحمّد شاوش ومحمّد عجينة / الدّار العربيّة للكتاب / ليبيا / ١٩٨٥ م ٠

٦٣ـ دروس في علم أصوات العربيّة / جان كانتينو / ت : صالح القرماديّ / مركز الدّراسات والبحوث / الجامعة التّونسيّة / ١٩٦٦ م ٠

٦٤ـ الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة / أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) / تح : د ٠ أحمد حسن فرحات / دار عمّار / الأردن / ط ٢ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م ٠

٦٥ـ السّبعة في القراءات (كتاب) / ابن مجاهد (٣٢٤ هـ) / تح : د ٠ شوقي ضيف / دار المعارف / مصر / ط ٢ / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ٠

٦٦ـ سر صناعة الإعراب / أبو الفتح بن جنّيّ / تح : مصطفى السّقا ومحمّد الزّفزاف ود ٠ إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين / إدارة إحياء التّراث القديم / مط البابيّ الحلبيّ وأولاده / مصر / ط ١ (الجزء الأول) / ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م ٠

٦٧ـ سرّ الفصاحة / أبو محمّد عبد الله الحلبيّ الخفاجيّ (٤٦٦ هـ) / تح : عبد المتعال الصعيديّ / مط محمد علي صبيح وأولاده / مصر / ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ٠

٦٨ـ الشّافية / ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) / ضمن كتاب : أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب / د ٠ عصام نور الدّين / المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع / بيروت / ط ١ / ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ٠

٦٩ـ شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك / علي بن محمد الأشمونيّ / ينظر (حاشية الصّبان) ٠

٧٠ـ شرح الحدود النّحويّة / عبد اللّه بن أحمد الفاكهيّ (٩٧٢هـ) / تح : د ٠ زكي فهمي الآلوسيّ / مط ٠ دار الكتب / جامعة الموصل / ١٩٨٨ م ٠

٧١ـ شرح شافية ابن الحاجب / محمّد بن الحسن رضي الدّين الأستراباذي (٦٨٨هـ) / تح : محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محي الدّين عبد الحميد / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ٠

٧٢ـ شرح الشّافية / الجاربردي / ينظر : حاشية الجاربردي لابن جماعة ٠

٧٣ـ شرح شواهد الشّافية / عبدالقادر البغداديّ (١٠٩٣هـ) / وهو الجزء الرّابع من شرح شّافية ابن الحاجب لرضي الدّين (ينظر) ٠

٧٤ـ شرح العلامة رضي الدّين على متن الشّافية لابن الحاجب في فن التّصريف / محمّد بن الحسن رضي الدّين الاستراباذي (٦٨٨ هـ) / تح : عبد الرّحمن خليفة / مط محمد علي صبيح وأولاده / مصر / ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م ٠

٧٥ـ شرح الكافية (كتاب) الكافية في النّحو / محمد بن الحسن رضي الدّين الأستراباذيّ دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م .

٧٦ـ شرح المراح في التّصريف / بدر الدين محمود بن أحمد العينيّ (٨٥٥هـ) / تح : د . عبد السّتار جواد / مط الرّشيد / ١٩٩٠م .

٧٧ـ شرح المفصل / موفق الدّين ابن يعيش النحويّ (٦٤٣هـ) / عالم الكتب / بيروت .

٧٨ـ الصّاحبيّ في فقه اللغة وسنن العربيّة في كلامها / أبو الحسين بن أحمد بن فارس / تح : مصطفى الشويمي / مؤسسة أ . بدران للطّباعة والنّشر / بيروت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م .

٧٩ـ الصّناعتين (الكتابة والشعر) (كتاب) / الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكريّ (٣٩٥ هـ / تح : محمّد علي البّجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصريّة / بيروت / ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .

٨٠ـ الضّاد العربيّة : مثال للتّطور الصّوتيّ / د . يحيى أحمد / مجلة حوليات كلية الإنسانيّات والعلوم الإجتماعيّة / جامعة قطر / ع ١٦ / ١٩٩٣م .

٨١ـ ظاهرة كراهيّة توالي الأمثال في العربيّة / د . عبد القادر مرعي خليل / مؤتة للبحوث والدراسات أ ـ العلوم الانسانية والاجتماعية / مج ٩ ع ١ / ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٨٢ـ ظاهرة الوضوح السّمعي في الأصوات (جهاز سبكترلقياسها) د . سمير شريف ستيتيّة / أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويّات) / مج ٦ ع ١ / ١٩٨٨ .

٨٣ـ الظّواهر اللغويّة في قراءة الحسن البصريّ / د . صاحب جعفر أبو جناح / مركز دراسات الخليج العربيّ / مط جامعة الموصل / ط ١ / ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٨٤ـ العربيّة الفصحى نحو بناء لغويّ جديد / هنري فليش / دار الشّرق / المطبعة الكاثوليكيّة / بيروت / ١٩٨٣م .

٨٥ـ العربيّة وعلم اللغة البنيوي (دراسة في الفكر اللغوي العربيّ الحديث / د . حلمي خليل خليل / دار المعرفة الجامعيّة / مط . الفنية / مصر / ١٩٨٨ .

٨٦ـ العربيّة ولهجاتها / د . عبد الرّحمن أيوب / مكتبة الشباب / مطاسجل العرب / القاهرة .

٨٧ـ العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث / د . محمّد حماسة عبد اللطيف / جامعة الكويت / ط . أمّ القرى / ط ١ / ١٩٨٤م .

٨٨ـ علم الأصوات / برتيل مالمبرج / ت : د . عبد الصّبور شاهين / مكتبة الشباب / مط التقدم / القاهرة / ١٩٨٥م .

٨٩ـ علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربيّة) / بسّام بركة / مركز الانماء القومي / لبنان .

٩٠ـ علم الأصوات عند سيبويه وعندنا / أ . شادة / صحيفة الجامعة المصريّة / س ٢ ع ٥ و ع ٦ / ١٩٣١م .

٩١ـ علم اللغة / د . علي عبد الواحد وافي / دار نهضة مصر / ط ٩ .

٩٢ـ علم اللغة العام (القسم الثّاني : الأصوات) / د . كمال محمّد بشر / دار المعارف / مصر / ١٩٧٣م .

٩٣ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ د · محمود السّعران / دار النّهضة العربية/ بيروت ·
٩٤ـ العين/ الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)/تح : د · مهدي المخزوميّ و د · إبراهيم السامرائيّ/وزارة الثّقافة والفنون / مط الرّسالة / الكويت/١٩٨٠م (العراق)
٩٥ـ غاية النّهاية في طبقات القرّاء / شمس الدين أبو الخير بن الجزريّ (٨٣١هـ)/ تح : برجشتراسر / دار الكتب العلمية /بيروت / ط ٢/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.
٩٦ـ فصول في فقه العربية / د · رمضان عبد التّواب/مكتبة الخانجي بالقاهرة / ودار الرفاعي بالرياض/سفنكس للطّباعة / ط٢/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م ·
٩٧ـ الفعل الماضي مسنداً إلى ضمائر الرّفع المتّصلة « دراسة صوتية / تغريد السّيد عنبر/ المجلة العربية للدّراسات اللغوية/معهد الخرطوم الدولي للغة العربية/ مج ٢ ع ٢ / ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ ·
٩٨ـ فقه اللغات السّاميّة / كارل بروكلمان / ت : د · رمضان عبد التّواب / جامعة الرّياض/ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ·
٩٩ـ الفونيم بين النّحو العربيّ القديم وعلم اللّغة الحديث / د · عبد المنعم ناصر/ آفاق عربيّة/ دائرة الشؤون الثقافيّة / س ١٥ ع ٨ / ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م.
١٠٠ـ في الأصوات اللغويّة (دراسة في أصوات المد العربية) د · غالب فاضل المطلبيّ/ وزارة الثقافة والفنون / دار الحريّة/ بغداد / ١٩٨٤م·
١٠١ـ في البحث الصّوتيّ عند العرب/ د · خليل إبراهيم العطيّة / الموسوعة الصغيرة/ دار الحرية / بغداد ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ·
١٠٢ـ في حقيقة الادغام / د · جعفر عباينة/ أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب اللغويّة)/ جامعة اليرموك / مج ٣ ع ٢/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م ·
١٠٣ـ في اللهجات العربيّة / د · إبراهيم أنيس / مكتبة الانجلو مصريّة / مط الفنية الحديثة / مصر/ ط ٤/ ١٩٧٣م ·
١٠٤ـ في النّحو العربيّ « نقد وتوجيه/د · مهدي المخزوميّ/ المكتبة العصريّة/ لبنان / ط ١/ ١٩٦٤ ·
١٠٥ـ القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث / د · عبد الصّبور شاهين / مكتبة الخانجي بالقاهرة / ١٩٦٦ ·
١٠٦ـ القرائن النّحوية وأطراح العامل والإعرابين التّقديريّ والمحليّ/ د · تمّام حسّان/ اللسان العربي / مكتب تنسيق التّعريب بالرّباط / مج ١١ ج ١ (أبحاث ودراسات)/ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م ·
١٠٧ـ قواعد تحويليّة للغة العربية / د · محمد علي الخوليّ/ دار المريخ /السّعوديّة / ط ١/ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١م ·
١٠٨ـ الكتاب بين الوصفيّة والمعياريّة / د · أحمد سليمان ياقوت / دار المعرفة الجامعيّة / الإسكندريّة / ط١/ ١٩٨٩ ·
١٠٩ـ كتاب سيبويه / سيبويه/ تح : عبد السّلام هارون /عالم الكتب / بيروت ·

١١٠ـ الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسيّ (٤٣٧ هـ)/تح : د ٠ محي الدّين رضان / مؤسسة الرّسالة / ط ٣ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ٠
١١١ـ كشف المشكل في النّحو/ علي بن سليمان الحيدرة اليمنيّ (٥٩٩ هـ)/تح : د ٠ هادي عطية مطر / وزارة الأوقاف/ مط الارشاد / بغداد / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م٠
١١٢ـ الكلام ، إنتاجه وتحليله / د ٠ عبد الرّحمن أيوب / جامعة الكويت /مط ، ذات السلاسل / الكويت / ط١/ ١٩٨٤م٠
١١٣ـ كلام العرب (من قضايا اللغة العربية) / حسن ظاظا / دار النّهضة العربية/ بيروت / ١٩٧٦م٠
١١٤ـ لسان العرب / ابن منظور جمال الدّين محمّد بن مكرم الأنصاريّ (٧١١هـ)/ صورة عن ط ٠ بولاق / الدار المصريّة للتأليف والتّرجمة / مط كوستاتسوماس وشركائه ٠
١١٥ـ اللسانيّات وعلم المصطلح العربيّ/ د ٠ عبد السّلام المسدّيّ / اللسانيات في خدمة اللغة العربية/ سلسلة اللسانيات ـ 5 ـ / الجامعة التّونسيّة / ١٩٨١م٠
١١٦ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات / شهاب الدّين القسطلاني / تح : عامر السّيد عثمان ود ٠ عبد الصّبور شاهين/ لجنة إحياء التّراث / مط ٠ الأهرام/ مصر/ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م٠
١١٧ـ اللغات الساميّة / تيودورنولدكه/ ت : د ٠ رضان عبد التّواب/ دار النّهضة العربية بالقاهرة / مط الكمالية / ١٩٦٣م٠
١١٨ـ اللغة / فندريس / ت : عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصاص / مكتبة الأنجلومصريّة/ مط لجنة البيان العربيّ/ ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م٠
١١٩ـ اللغة العربيّة معناها ومبناها / د ٠ تمّام حسّان / مط الهيئة المصريّة للكتاب/ ط ٢/ ١٩٧٩ م ٠
١٢٠ـ اللغة وعلم النفس (دراسة للجوانب النّفسية للغة)/د ٠ موفّق الحمدانيّ /مديريّة دار الكتب / جامعة الموصل ٠
١٢١ـ اللغة والفكر/ د ٠ نوري جعفر/ مكتبة التّومي / الرّباط / ١٩٧١ م٠
١٢٢ـ اللهجات العربية الغربية القديمة/ حايم رابين/ ت : د ٠ عبد الرّحمن أيوب/ ذات السلاسل/ الكويت / ١٩٨٦م٠
١٢٣ـ اللهجات العربيّة في التّراث / د ٠ أحمد علم الدّين الجنديّ/ الدّار العربيّة للكتاب / ج ١/ ١٩٨٣ / ج ٢ ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م٠
١٢٤ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنيّة/ د ٠ عبده الرّاجحيّ / دار المعارف /مصر/ ١٩٦٨ م٠
١٢٥ـ لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة / د ٠ غالب فاضل المطلبيّ / وزارة الثقافة والفنون/ دار الحرية / بغداد / ١٩٧٨م٠
١٢٦ـ ماذكره الكوفيون من الإدغام / أبو سعيد السّيرافيّ (٣٦٨ هـ) تح :د ٠ صبيح التّميميّ/ مط دار الشّهاب/ الجزائر ٠
١٢٧ـ مجالس ثعلب / أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١ هـ) / تح : عبد السّلام هارون/ دار المعارف/مصر/القسم الاول/ ط ٥ /١٩٨٧/القسم الثاني / ط ٤ / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م٠

١٢٨ـ محاضرات في اللغة (القسم الأوّل)/ د ٠ عبد الرّحمن أيوب / جامعة بغداد/ مط المعارف/ بغداد / ١٩٦٦ م٠
١٢٩ـ محاولة ألسنية في الإعلال / د ٠ أحمد الحمو/ عالم الفكر/ مج ٢٠ ع ٣/ ١٩٨٩م٠
١٣٠ـ المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها / محمّد الانطاكيّ/ دار الشرق العربي / بيروت/ ط ٣ ٠
١٣١ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البّحث اللغوي/ د ٠ رمضان عبد التّواب /مكتبة الخانجي بالقاهرة / مط المدني/ط ٢/ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م٠
١٣٢ـ مدرسة براغ اللغويّة/ د ٠ أحمد مختار عمر /مجلة كلية الآداب والتّربية /جامعة الكويت/ ع ١١/ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م٠
١٣٣ـ مراكز الدّراسات النّحويّة/ د ٠ عبد الهادي الفضليّ/ مكتبة المنار/ الأردن/ط ١/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م٠
١٣٤ـ المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة / عبد العزيز سعيد الصّيغ /رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب / جامعة بغداد / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م٠
١٣٥ـ المصطلح اللغوي عند ابن جنّيّ من خلال الخصائص / د ٠ هادي نهر / مقدّم إلى مؤتمر النّقد الأدبي الخامس في جامعة اليرموك /الأردن/ ١٩٩٤م٠
١٣٦ـ الصوتيات عند علماء العربيّة / د ٠ غانم قدّوري الحمد / مجلة كلية الشّريعة/ جامعة بغداد / ع ٥/ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م ٠
١٣٧ـ مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم / أحمد بن مصطفى طاش كبري زادة / تح : كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النّور/ مط الاستقلال الكبرى ٠
١٣٨ـ مفتاح العلوم / أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر السّكاكي (٦٢٦ هـ)/ تح : أكرم عثمان يوسف/ جامعة بغداد /مط دار الرّسالة / ط ١/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٦ م
١٣٩ـ المفصّل في علم العربيّة / أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (٥٣٨ هـ)/ ويليه كتاب المفضّل في شرح أبيات المفصّل/ محمد بدر الدّين النّعساني الحلبيّ/ دار الجيل/ بيروت / ط ٢/ ١٣٢٣ هـ ٠
١٤٠ـ المقتصد في شرح الإيضاح (كتاب)/عبد القاهر الجرجاني / تح : د ٠ كاظم المرجان/
١٤١ـ المقتضب (كتاب)/أبو العباس محمّد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)/تح : محمّد عبد الخالق عضيمة / لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ/مصر / ٠
١٤٢ـ المقرب/ علي بن مؤمن ابن عصفور (٦٦٩هـ)/تح : أحمد عبد السّتار الجواريّ ود ٠ عبد الله الجبوريّ / وزارة الأوقاف/ مط العاني بغداد / ١٩٨٦م ٠
١٤٣ـ مقطع المضارعة بين العربيّة واللغات الساميّة / د ٠اسماعيل عمايرة/ أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويّات) / مج ١٢ ع ٢ / ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م٠
١٤٤ـ منازل الحروف /أبو الحسن علي بن عيسى (الرّماني (٣٨٨هـ)/ ضمن (رسالتان في اللغة)/تح : د ٠ إبراهيم السّامرائيّ /دار الفكر/ عمّان/ ١٩٨٤ م٠
١٤٥ـ مقاطع البحث في اللغة / د ٠ تمام حسان /دار الثّقافة / مط النّجاح الجديدة / الدّار البيضاء/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ ٠
١٤٦ـ من فكر الفراء الصّوتي (قراءة جديدة في تراثنا الصّوتي)/د ٠ صبيح التّميمي/ المورد / مج ١٩ ع ٢/ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ٠
١٤٧ـ منهاج التوفيق إلى معرفة التّجويد والتّحقيق/ علم الدين أبو الحسن علي السّخاويّ / (٦٤٣هـ) / تح : د ٠ صالح مهدي عبّاس / المورد / مج ١٧ ع ١٤٠٩/٤ هـ ـ ١٩٨٨م٠

١٤٨ـ منهج البحث الأدبيّ / د . علي جواد الطّاهر / مط أسعد / بغداد / ط٣/ ١٩٧٦م .
١٤٩ـ منهج البحث النّحويّ في القرن الثّالث الهجريّ / د . محمد علي العباسيّ / مجلة كلية التربيّة للبنات/ جامعة بغداد/ع ٤/ ١٩٩٣ م .
١٥٠ـ الموضح في التّجويد / عبد الوهاب بن محمّد القرطبي (٤٦١ هـ) / تح : د . غانم قدوري الحمد / معهد المخطوطات العربيّة/ الكويت / ١٩٩٠م .
١٥١ـ ميكانيكية النّطق والأصوات المهموسة والمجهورة في العربية / د . سمير شريف ستيتيّة / مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق / مج ٦٢ ج ٣/ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م .
١٥٢ـ النّحاة العرب القدامى وعلم اللغة الحديث / أ . د . ولفكانغ روشل / الاستشراق/ دار الشّؤون الثّقافيّة / بغداد / ع ٤/ ١٩٩٠م .
١٥٣ـ النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) د . عبده الرّاجحي / دار النهضة العربية / بيروت / ١٩٧٩ .
١٥٤ـ نشأة النّحو العربيّ في ضوء كتاب سيبويه / أ . جيرارتروبو / مجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ/ مج ١ ع ١ / ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
١٥٥ـ النّشر في القراءات العشر / أبو الخير محمّد بن محمّد ابن الجزريّ الدّمشقيّ / (٨٣٣ هـ)/تح : علي محمّد الضّباع/ دار الكتب العلمية /بيروت .
١٥٦ـ النّظريات الصّوتية في كتاب سيبويه / الطيب البكوش / حوليات الجامعة التونسيّة/ ع ١١/ ١٩٧٤م .
١٥٧ـ النّظريّة التحويليّة واللغة العربيّة / د . محمّد عليّ الخوليّ / مجلة دراسات كلية التربية / جامعة الرياض/ ع١ / ١٩٧٧م .
١٥٨ـ النّظرية اللسانيّة والشّعريّة في التّراث العربيّ من خلال النّصوص / د . عبد القادر المهيري و د . حمادي صمود و د . عبد السّلام المسديّ / الدار التّونسيّة / ط ـ العربية / ١٩٨٨م .
١٥٩ـ هديّة العارفين (أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين) / إسماعيل بن باشا البغداديّ/ مكتبة المثنى ببغداد / وكالة المعارف / مط إستنبول / ١٩٥٥م .
١٦٠ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربيّة / جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٩١١هـ)/تح : السّيد محمّد بدر الدّين النّعسانيّ / دار المعرفة / بيروت .

##########

Al-Radi depended on aslmple stanza basis represented by silent and moving letter , and the study was enable in his submitted information in the wtwo subjects of begii-ning and the two silents meeting in Al-Shafeh explanation to appear with the stanza system concerned with the per-formance process in arabic language and it has been shown from this study that Al-Radi has treated semi extension ((w,y) as he treated the extension sounds (i: , a:) across what has he saw of the lack of extension , and that accompained by an idea considered as an old expression of the depthong .

The results of the study was also amature theory on the sound and grammar levels in the work of grammairum discriminators which is the functioning of agroup of high sounds and punctuation to work as semantics for the gra-mmarion meanings in the nouns which they are :

1.Them and rhem case in the main part of the sentence .
2.Redundancy case residule .
3. Phrase case at the end of the word grammarim Indeendence .
4. Nunation is a mark of system perfection .

It also showed the realization of Al-Radi of the role of vecalization in the morphological aspect .

The variation of the dialects sound behaviour en-rich the linguistic subject matter obviously that this subject matter has showed astand of the details towards agroup of phanomena concerning the sound developments and their morphological , stanza and grammarium systems .

This study submitted a schema represents the speech system and the distribution of linguistic sounds on its members according to what has been submitted by Al-kadi, in his seperated word , about the phonetics and his accurate division of the teeth .

The study submitted also ajustification consisdered by the reseacher to describe the sounds : Al-Hamza, Al-ta, Al-Kaf) inpublicity in opposition of the modern lesson and the researcher has depended on what have been showed by him of the two concepts of publicity and whisporing of Al-kadi whom they are saw them as exposed to the overlaping of many sound views with social views which make the two concepts remote of what have been known to the moderns of the two semantic of the former terms .

The most important results of the study are : the most prominent results depended on the tables of amalgmation and substitution conditions in the common Arabic and its dialects showed that the two adjectives of stop and flexibility (continuity) are considered as on active factor in the system of their discrimination in opposition to what have been happened with the two adjectives of bublicity and whispering and also the virtue adjectives (tubaq , whistling soft, nasal speech , repetition , longitudity , displeasure , dissemination and flaccidity).

The depending in arabic language and the rest of its levels on the phonatic region in sound discrimination and not phonetic point .

ABSTRACT

This is a study in the phonology of the fluent arabic language , the language of the sacred divine text (The Holy Koran) , and pre-Islamic poetry until the mid of the second century of the prophet Muhammad Higera (God blessd him and grant him salvation) and it emphasizes on the effort of one of its prominent scholars the late Radi Al-din Muhammad Bin Al-Hassan Al-Astrabathi Dead 688 H. in Iraq and his efforts was limited separately between his two famous books: Shafeh Ibn -hagib explanation in morphology and Calligraphy and Kafeh explanation in Grammar , and the researcher has followed in his study the way of moderns whom they are carrying out the product of the old accross the dialectic between the old and the modern to show the features of the arab sound theory which didn't get its independence to be as Independent science like other linguistic sciences .

The most prominent results of this study is the richness of this scholar in sound terms and the researcher has discovered through some of his terms the important perceptions in the second sound ideas such as the terms sound structture , stress , structures adverbs (niether structures nor structures adverbs) , letters system sound system , damma system (Lip) letter virtue, integration and the letter material .

The Sound Lesson of Radi - Al-Din Al-Astrabathi (688 A.H.)

A Thesis Submitted by :

Hassan Abdul-Al-Shani Jawad Al-Asadi

To the Council of College of Arts in Al-Mustansiriyah University which ia a part of M.A. Degree Requirments in Arabic Language

Under the Supervision of

Professor : Hadi Nahar (Ph.D)

1995 A.D. 1416 H.